ALI JAWAD ALTAHER

دراسات
STUDIES

الدكتور علي جواد الطاهر

منهج البحث الأدبي

مكتبة
مؤمن قريش

منهج البحث الأدبي

مكتبة
مؤمن قريش
moamenquraish.blogspot.com

منهج البحث الأدبي/ دراسة
الدكتور علي جواد الطاهر/ مؤلف من العراق
الطبعة الخامسة، ٢٠٠٣
حقوق الطبع محفوظة

المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي:
بيروت ، الصنايع ، بناية عيد بن سالم،
ص.ب : ٥٤٦٠-١١ ، العنوان البرقي : موكيّالي ،
هاتفاكس : ٧٥١٤٣٨ / ٧٥٢٣٠٨
التوزيع في الأردن:
دار الفارس للنشر والتوزيع
عمّان ، ص.ب : ٩١٥٧ ، هاتف ٥٦٠٥٤٣٢ ، هاتفاكس : ٥٦٨٥٥٠١
E-mail : mkayyali@nets.com.jo
تصميم الغلاف :
طارق عبدالرحمن / الأردن
التنفيذ الطباعي :
المطابع المركزية /عمّان ، الأردن

All rights reserved . No part of this book may be reproduced , stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any mesns without prior permission in writing of the publisher .

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطّي مسبق من الناشر .
ISBN : 9953-36-150-9

دراسات
STUDIES

الدكتور علي جواد الطاهر

منهج البحث الأدبي

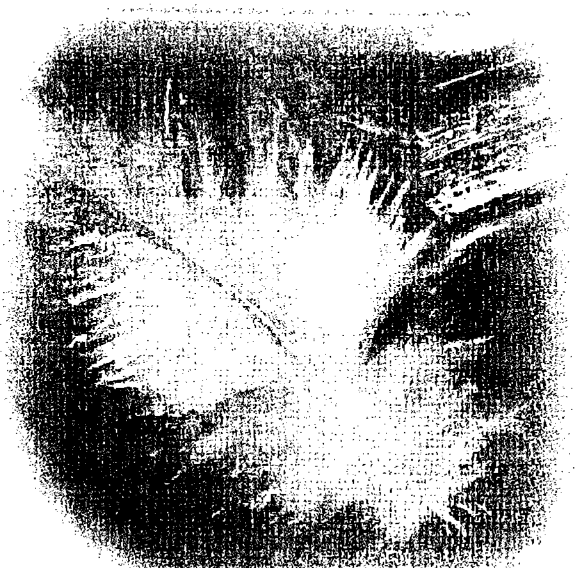

مقدمة الطبعة الأولى

لم نسمع بأي شيء يمت إلى «منهج البحث» يوم كنا في الثانوية ، ويسمع الطالب في الغرب الشيء الكافي عنه ، ويفهم منه أشياء ويقوم منه بأشياء.. وقد يقرأ كتاباً موجهاً في متناول طاقته وحاجته.

وفي عام ١٩٤١ دخلنا «دار المعلمين العالية - ببغداد» فلم نسمع به ، وكان لدينا - في السنة الأولى - أستاذ يدرسنا «الأدب» معتمداً ما يختلسه من كتاب اسمه «التوجيه الأدبي». وقد اكتشفنا سرقته وضحكنا به في سرّنا.

واذ حان وقت العصر وحل درس التاريخ القديم طلع علينا الاستاذ طه باقر فأكبرناه منذ الدرس الأول ، وبدأ الاستاذ يمهد لدرس التأريخ محاولاً أن ينقل إلينا أطرافاً من مادة شعلت الغرب فوعاها : هل التاريخ علم؟ وتحدث لنا في ذلك غير قليل عارضاً طبيعة المسألة ، مبيناً آراء المعارضين والمؤيدين ، حتى انتهى إلى أن التاريخ علم بالطريقة التي يتبعها في بحثه وتحريه الحقائق.

ويبدو أن ذلك كان فوق متناول حضارتنا. واننا لم نكن من سعة الأفق بحيث نتوسع بالموضوع فنشمل بالتاريخ الأدب ونسأل : هل الأدب علم؟ أو هل البحث في تاريخ الأدب علم؟ لم نفعل ذلك ولم نحاوله ولم يدر منا بخلد.

وفي درس اسمه «علم النفس» عُنينا عناية خاصة بالطريقة العلمية بما في خطواتها من فرضية وتجربة ونظرية...

ثم مرت سنوات ثلاث درسنا خلالها مواد متنوعة من الأدب واللغة والتاريخ والتربية... وطلب إلينا القيام بعدة بحوث - كنا نسميها تقارير - أديناها على ما أعقب الرضا ، وفينا من سرق أو نقل وفينا من استعان بغيره ، ولم نعدم من اعتمد نفسه ولكن الحاصل لديه قليل لأن البحث لم يكن أمراً مهماً ، لم يكن أساساً وقد تغني عنه نظرة الاستاذ إلى تلميذه ، وكان غالباً

ما يفترض من البحث أن يطّلع الطالب على شيء ما بأي أسلوب ، ولا بأس في أن يُهمَل بعد ذلك ... وكان للكمية ، أي لحشر المعلومات ،وقع خاص .

وكنت أرى لدى زملائنا في قسم التاريخ كتاباً استغربت عنوانه : «مصطلح التاريخ» كانوا يكثرون من حمله كأنه مقرر عليهم . ولم أحاول أن أسألهم عن مدلول العنوان ، كما انهم لم يدلوا على انهم ينظرون إلى مادة هذا الكتاب نظرهم إلى شيء مهم .

ورأيت في «المكتبة» كتاباً اسمه : «علم التاريخ» ترجمة عبد الحميد العَبادي ، ولكني لم أحاول أن أقرأ فيه ، أو اني قرأت شيئاً فلم أجد ما يشجع على الاستمرار .

وقرأنا المقدمة المسهبة التي كتبها طه حسين لكتابه «في الأدب الجاهلي» بما فيها الحديث عن ديكارت والشك وعمن يريدون أن يجعلوا من الأدب علماً كالكيمياء... ولكننا قرأناها لذاتها ولا ندري كم استوعبنا منها وكم نقدنا عليها .

وكنا نرجع في بعض «التقارير» إلى المصادر وان كان الذين يرجعون قليلين جداً ، وانهم يرجعون رجوعاً ذاتياً لرغبة خاصة فيهم . وقد يوجد من الأساتذة من يعنى بالمصادر في اعداد بحثه ، ولكننا لاحظنا مبكراً أن تلك المصادر لم تكن دائماً المادة التي ينبثق عنها البحث ، وانها قد تتخذ وسيلة للبرهنة على رأي سابق .

وكان للدكتور البصير منهج خاص في الاعداد والعرض والمناقشة .. والامتحان .. لم نوله حظاً من العناية ولم نشعر بأنه منهج .

ان مسألة «المنهج» لم تكن لتمر منا بخاطر ...

* * *

ثم كانت «القاهرة» ، وكانت كلية الآداب فيها تخصص للبحث درجة برأسها ويشترط في الطالب أن يقدم بحثين في كل سنة ، والمبدأ جيد ، ولكن العبرة بالتنفيذ وما يساعد على حسن التنفيذ . ثم كيف يبحث طالب لا يعرف أن يبحث؟ ولم يسمع بالمنهج؟

أشهد أن أحد الأساتذة قرأ البحث ، ولكنه قرأه لنفسه فلم يُعده إلى الطلبة . ولم ينبههم على الجيد والرديء . أما الثاني ، فاكتفى بأن القى نظرة على البحث عند تسلمه ، فاستطاله وقال مستغرباً : أهو رسالة ماجستير!؟ وانتهى الأمر ولم أدر مصيره . وكان عنوانه «أبو نواس في مصر» ؛ واكتفى استاذ في سنة تالية بأن ضم البحث إلى أمثاله ونقله إلى بيته ، وانتهى الامتحان ورغبت في أن أحصل على بحثي وسألت وألححت وأخيراً عرفت عنوان البيت فأخرجت لي أوراقي كما هي لم تمسسها يد فاختطفتها فرحاً بعودتها إلى قواعدها سالمة .

ثم جاءت مرحلة باريس. وماذا يأخذ طالب عربي في باريس؟ أو بمعنى أدق، من المستشرقين؟ انه لا يأخذ – أول ما يأخذ – لغة عربية، ولا علماً بمادة عربية ولا فهماً لنص عربي... إذاً لِمَ هذه المشقة؟ انه يأخذ منهج البحث، ويعينه تعلمه لغة أجنبية على سعة الأفق والاطلاع على ما ينفعه في تخصصه وقد يأخذ أكثر من ذلك من أدب القوم وفكرهم...

كثيراً ما تردد السؤال وجوابه. وكلاهما وارد وصحيح، ولكن الملاحظ على كثير من العرب الطارئين على ديار الغرب: البحث عن ورقة.

وبدأنا نعد العدة ونقابل بين هذا الاستاذ وذاك، ولا أطيل، فقد بلغنا مستشرقاً اسمه بلاشير، واذا بلغت بلاشير فقد بدأت تقترب من منهج البحث وأصوله فهو يناقش في الموضوع الذي يمكن أن يكون عنواناً لرسالتك، وفي مصادره ثم يطلب إليك أن تقدم خطته...

واذا كنت ممن لا يعتمد إلا نفسه رأيت قساوة ووقعت في شدة. ولا بأس، فان ذلك يعلمك أكثر ويحملك على ارضاء هذا الاستاذ العنيف الذي لا يرضيه غير المنهج فان له خبرات فيه وان لديه منه حظاً وافراً. وسيحملك خوفك منه على أن تحضر دروسه وأن تصغي إلى توجيهاته. فاذا كنت راغباً في البحث، مستعداً له، مختاراً اياه طريقاً في الحياة زاد فهمك للمنهج واتسع مجالك.

ثم إن له – بالاشتراك مع مستشرق آخر – كتيباً بعنوان «قواعد لتحقيق... النصوص العربية». تقرأه، وتستوعبه، وهو على قلة صفحاته وعلى انه في التحقيق، ينفعك في التأليف ويشعرك أن المسألة مسألة دقة وقواعد أصبحت مقررة وليست أموراً «يبتكرها» الاستاذ مرة و«يبتكرها» الطالب مرة أخرى.

وتبدأ العمل، وتلم بهذا الكتاب أو ذاك مما ألف بالفرنسية في موضوع فرنسي فتحس بالرصانة والمتانة والحذر والدقة؛ وتستمع إلى هذا الاستاذ أو ذاك من أساتذة السوربون في الأدب الفرنسي، والسعيد من تهيأ له أن يندس في صفوف طلبة الاستاذ بيير مورو فرأى البحث اخلاصاً وعمقاً.. وشخصية و«بلاغة».

المسألة، إذاً، أخطر مما تتصور، وأن الغرب كما سبقنا في الصناعة والحضارة... سبقنا في شيء آخر اسمه الطريقة... أو منهج البحث، وقد يكون الأمر متكاملاً مترابطاً. ولم لا؟

أشهد أن البحث القائم على المنهج مظهر حضاري جليل.

* * *

وتعود إلى الوطن سنة ١٩٥٤، وترى الطلبة في دار المعلمين العالية يكلفون بالبحث دون

أن يزودوا بالضروري من المنهج ثم ان كثرتهم في العدد تحول – فيما يحول – دون قراءة بحوثهم وتوجيههم في ضوء هذه القراءة : ولا تبقى – بعد ذلك – للبحث أهمية أو دلالة أو فائدة...

وعليك أن تعمل ما تستطيع ، ومن ذلك توجيهات عامة في البحث قبل البدء بالبحث في تاريخ الأدب ، ومنه استغلال فقر من درس «النقد الأدبي» لها علاقة بالبحث ، وفي مقدمة تلك الفقرة : الخطة والبناء ، والفرق بين الانشاء والتعليم..

ويسمح منهج كلية الآداب بما هو أكثر من ذلك ، ثم يسمح أكثر بعد ان أدخل عليه درس باسم : البحث ، تخصص له ساعة واحدة في الاسبوع ، يزود خلالها الطلبة بالضروري جداً من مواد المنهج ثم يزاولون البحث عملياً.

وتغادر إلى جامعة الرياض سنة ١٩٦٣ وتجد في مواد المنهج ما يسمح لك بتحويله إلى منهج بحث وبحث ؛ ويجري تغيير جذري في مواد الدراسة وتجد ساعة طريقها إلى منهج البحث وما يبين أهمية هذا التخصيص نظرياً وعملياً ، يساعد على ذلك قلة عدد الطلاب في الصف.

واستدعت ظروف معينة أن تملي على الطلبة خلاصة لمادة الدرس بلغت أكثر من ستين صفحة مركزة يمكن أن تبعث استاذ المادة على أن يعيد النظر فيها قليلاً ويزيد فيها ما كان ناقصاً ويشرح ما كان غامضاً ويفصّل ما كان موجزاً... ينشرها في كتاب يمكن أن ينتفع به وأن يوفر عليه وعلى الطلبة الوقت الذي يضيع في الاملاء وشرح ما يستطيع أن يقرأه طالب ويفهمه من دون وسيط. وزاد الأمر اغراء ما لحظه على الطلاب من اهتمام جدّي بالدرس ومن نتائج ملموسة.

أجل ، دراسة «منهج البحث» نافعة ، وقد أصبحت – مع الزمن – ضرورة ، لأن البحث يكوّن أهمّ مقياس للمعنى الجامعي. والدرس يوجه ويثقف ، واذا لقي طالباً «موهوباً» في هذا المجال هيّأ للبلد باحثه المنتظر على أن أخطر ما في الموضوع أن يصبح الدرس غاية ، ومنهج البحث غاية ؛ ويجر حينئذ الباحث أو استاذ المادة إلى الضحالة أو الجمود أو «الشكلية».

* * *

وتعود إلى الوطن ثانية سنة ١٩٦٨ [1] وتزداد ثقة ، حتى إذا وجدت منفذاً إلى تدريس طلبتك «منهج البحث» رأيت اهتمام الطلبة بالدرس ، واذ حانت فرصة أخرى كان هذا الدرس بين المواد على الوجه الرسمي.

---

(١) وردت في مقدمة الطبعة الأولى : سنة ١٩٦٧ وهو خطأ. وقد أجرى المؤلف تنقيحاً طفيفاً جداً في هذه المقدمة لدى اعادة الطبع.

وترجع إلى أوراقك ودفاترك ، المبيّض والمسوّد تضيف إليها ما جدّ لك بالتجربة أو المطالعة معتزماً أن تجعل منها كتيباً يبيّن للطالب أهمية البحث والمنهج وما يلزم فيهما ، ويأخذ بيده ويسير واياه خطوة خطوة منذ البداية حتى النهاية ، منذ الدفتر المساعد واختيار الموضوع والخطة والجزازات إلى المسودّة والمبيضّة ... والطبع ؛ متوخياً الوضوح والسهولة ، عامداً إلى ان يكوّن الكتيب من الأمر هيكله العظمي ، يغذيه بما يمكن أن يثير من التفكير ويزيد في الثقافة آملاً أن يكون دليلاً وصديقاً يسد حاجة الطالب الآنية إذا لم يرد أكثر من أن يكتب بحثاً للنجاح فقط ، وينبه امكانات الطالب الطامح ليرى فيها ما يمكن ان يكون عليه في المستقبل.

وحاول المؤلف في كتيبه هذا عن المنهج الاّ ينسى القديم وهو يقتبس الحديث ، ولا ينسى العرب وهو يأخذ عن الغرب... غير مفرّط بتجاربه الخاصة - على أي حال. ولكي تتم للطلبة الفائدة إذا ما أرادوا الاستزادة بقراءة في كتب أخرى ، حرص المؤلف على أن يزود هؤلاء الطلبة أهم المصطلحات مقرونة - حيث يأتي بها السياق - بما يقابلها باللغة الانكليزية والفرنسية (بين قوسين عادة). ثم ذيل الكتاب بقوائم مختلفة لكتب عربية ومترجمة إلى العربية وانكليزية وفرنسية في منهج البحث أو ما يتصل به ، وفي أصول التحقيق وما إليها.

اننا لا نستغني كثيراً عن المصطلحات الغربية والمراجع الغربية لأن هذا الفن - في جملته ، وكما هو اليوم - غربي أخذناه عن الغرب ، واننا إذ نستعمل كلمات مثل : المنهج ، البحث ، الخطة ، الموضوع ، المصدر ، الجزازة ... التحرير ... انما نستعمل مصطلحات أخذناها عن الغرب وأوجدنا لها ترجمات معتمدين ثقافتنا أو الرجوع إلى المعجمات القديمة للوقوف على صلة رابطة بين كلمة عربية ومصطلح غربي. ولا شك في أن الذين أخذوا على عاتقهم ذلك قد وفقوا في كثير مما ذهبوا إليه. ولكننا لا نفهم هذه الكلمات التي صارت مصطلحات عربية في استعمالنا العلمي بالرجوع إلى معجماتنا القديمة لأنها ليست الأصل في التحديد والتعريف ؛ ان الأصل في ذلك ، الكلمات الغربية كما يحددها الغرب في جامعاته ومعجماته وكتبه واستعماله اليومي.

• • •

وكان من الممكن أن يحمل هذا الكتيب أكثر من اسم : دليل الباحث. دليل الطالب إلى البحث. منهج البحث العلمي. كيف تبحث؟ كيف تكتب بحثاً؟ منهج البحث. المنهاج في البحث. مصطلح الأدب... ويمكن أن تكون هذه الأسماء ذات مدلول واحد. إلا ان المؤلف اختار ما كثر جريانه على الألسن في الدرس : «منهج البحث» ، وزاد عليه «الأدبي». وهو اذ يحس بكلمة «الأدبي» خصوصاً بموضوعات تاريخ الأدب ، فقد يرى في كلمتي «منهج

البحث» ان ينتفع بكتيبه هذا طلبة البحوث اللغوية والتاريخية والجغرافية وما إليها من مواد التاريخ الحضاري بأعلامها وعصورها وموضوعاتها - وكان هذا جزءاً من قصده لدى التأليف، حتى لقد اقترح بعض الاخوان حذف كلمة «الأدبي» من العنوان خشية أن تتخذ دليلا على المغالاة في التخصص فتحول دون أن يفيد منه أهل الدراسات غير الأدبية.

وانا إذ نقول «منهج البحث الأدبي» فاننا لا ندّعي حصر الأدب كلّه، عامه وخاصه، بهذا العنوان؛ لأن ادّعاء مثل هذا خروج عن المنهج، وانك لا تستطيع أن تحصر كل شيء وأن تحيط بكل شيء، فلكل ميدان خاص طبيعته ومشكلاته لا يصعب على المزوَّد بالعموم حسن التصرف في خصوصها.

انك لا تستطيع أن تحصر... ولا تريد، لأنه لا بد من أن يترك للطالب مجال يعرب فيه عن شخصيته ازاء المواقف الجديدة.

وقد يلاحظ محبو الأدب الحديث وطالبو درسه أو تدريسه أن نصيبهم من «منهج البحث الأدبي» قليل - أو قليل جداً - والملاحظة صحيحة، ويمكن أن يسجل أمثالها المعنيّون بميادين خاصة أخرى. ويعرف السبب في ذلك إذا تذكرنا ان المألوف في البحث الجامعي الاختصاصي بالقديم والمصادر القديمة، وعلمنا أن الكتاب - أيّ كتاب - يرسم الخطوط العامة؛ وأن الأدب الحديث والأمور الأخرى تدخل في هذه الخطوط وتنتفع بمدارها العام.

لقد بذلنا في سبيل تأليف «منهج البحث الأدبي» غير قليل من الجهد والوقت في التجربة والاطلاع والتفكير، والتسويد والتبييض، وما كنا لنصرح بهذا لولا اننا نريد القول انه لا بد من أن يكون قد فاتنا شيء أو أشياء، وأن نكون قد نظرنا الأمور من زاوية اهتمامنا دون عناية تذكر بزوايا اهتمام الآخرين. وهذا يعني الترحيب بملاحظات الاساتذة والقراء والطلبة للعمل على ايفائها حقها لدى أول فرصة تسنح.

بغداد - كلية الآداب   **أيلول ١٩٧٠**

مقدّمة الطبعة الثانية

هذا كتاب ألف لخدمة الباحثين، ولخدمة الطلبة منهم بوجه خاص. والطلبة على درجات منهم طلبة البكالوريوس (الليسانس) الذين يواجهون البحث العلمي للمرة الأولى إذ يطلب إليهم أن يزاولوه في درس مستقل أو في درس متصل بغيره، ومنهم طلبة الدراسات العليا في الماجستير أو الدكتوراه. ومن هنا عُني الكتاب بالخطوط العامة وميّز في كل موقف البحث الصفي من غير الصفي، وبسط المادة على وجه بدأ المؤلف معه يفصل مالا يحتاج إلى تفصيل ويلح على نقاط تدخل في باب تحصيل الحاصل ودافعه إلى ذلك الحذر من ضياع نقاط قد يحسبها هو سهلة وما هي كذلك، والحرص على أمور هي سهلة على فلان وصعبة على غيره. وللقارئ بعد ذلك أن يمر سريعاً بما هو بديهي لديه مدخراً الوقت لما هو صعب أو جديد.

ولئن كان واجباً أن يزاول الطلبة كلهم البحث، ان ذلك من باب العلم بالشيء والتجربة العامة واكتشاف النفس. وفي هذا الضوء يكون حساب البحوث الصفية، أما في المراحل العليا فالمسألة على الغاية من الجد والخطورة، والواجب يقضي ألا يفتح الباب إلا لأهله من أصحاب «المواهب» الخاصة في البحث ومن يكون البحث لديهم كشفاً وذكاء وعقلية وشخصية أكثر منه جمعاً أو تنسيقاً جامداً للمادة المجموعة. ولا نقول هذا على سبيل التخويف والتثبيط وانما نقوله تنبيهاً لمن هم أهل ليتقدموا، وانذاراً ونصيحة لمن ليسوا كذلك ليتأخروا؛ ومن هنا كانت شدة اللهجة لدى الحديث عن مؤهلات الباحث وفي صفات البحث الذي لا يتهيأ لكل طالب – اننا ندعو إلى البحث ولكننا نربأ به من العبث، ونريد له أن يكون في المجتمع العربي عزيزاً كريماً رفيعاً كما يجب أن يكون في المجتمعات الراقية التي تعرف قدره.

لقد نقيت الطبعة الأولى من هذا الكتاب قبولاً حسناً، وكان اهتمام الزملاء والباحثين والطلبة عاملاً مشجعاً ومقنعاً بأن للكتاب فائدته وجدواه وضرورته... فمن قائل انه فريد في بابه، ومن قائل انه دليل للمبتدي وتذكرة للمنتهي.. وفيهم من اثنى على الجهد المبذول لدرجة التعجب من التأليف في هذه الاحاطة والدقة والاستفادة من التجارب العامة والخاصة، وفيهم

من أطرى لغة الكتاب – بوجه خاص – كأنه يستغرب أن تعرض مادة جافة بنسغ من الطراوة دون وقوع في الثرثرة .. وفيهم .. ومنهم .

ذلك من حسن الظن ...

ومن حسن الظن كذلك أن توجه عدد من الزملاء والطلبة بملاحظات نافعة على هذه المادة منه أو تلك الفكرة . وكنت أسعى إلى جمع هذه الملاحظات و «أتوسل» لاثارتها اصلاحاً للخطأ وسداً للثغرة .

وكان اسم الكتاب (منهج البحث الأدبي) مما لفت النظر ، ودعا كثيرون إلى تغييره ، فاقترحوا مرة حذف كلمة «الأدبي» لأنه منهج «علمي» ، واقترحوا مرة حذف كلمة «منهج» لأنها أدخل في الفلسفة ... وللاقتراحات وجاهتها وكنت قد انتظرتها في مقدمة الطبعة الأولى فذكرت ما يمكن أن يحمل مثل هذا الكتاب من أسماء ولو حضرني آنذاك كتاب بدر الدين بن جماعة (المتوفى سنة ٧٣٣ هـ) : «تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم» لزدت على تلك الأسماء اسماً جديداً ذا صلة بالتراث هو : «تذكرة الباحث ... ومع هذا كله يبدو أن الاسم الذي وضع على الغلاف هو أنسب الأسماء في الوقت الحاضر أو انه لا بأس به – في أقل تقدير .

وكان الاستاذ عبد الاله أحمد أكثر من اهتم بالكتاب وقدم من اقتراحات ونبه إلى نقص ، خصوصاً فيما يتصل بالأدب الحديث ؛ وكان من الزملاء الذين أمدوني بفوائدهم وأعانوني بخبراتهم الدكتور جلال الخياط والدكتور كمال نشأت والدكتور رزوق فرج رزوق والدكتور قنبر مجيد الطويل ... ومن الذين كتبوا عن الكتاب الدكتور صلاح خالص في مجلة «الثقافة» ، والسادة الأدباء يوسف نمر ذياب في مجلة «ألف باء» ، ومهدي شاكر العبيدي في مجلة «العلوم» البيروتية ثم ضم مقالته هذه إلى مواد كتابه «في رحاب الكلمة» ، ونبيل العطية في جريدة الجمهورية (وعنها في مجلة الأديب البيروتية) ... وعرضت الكتاب للمناقشة على «دورتين» من طلبة الماجستير فكان لهم أثرهم في التنقيح ... وكان فضل الدكتور مهدي المخزومي سابقاً على كل أولئك ، وقد كان «الخبير» الذي اختارته جامعة بغداد فالتقت بذلك ثقتها بثقة المؤلف .

ولقد لبيت ما أمكنني من الملاحظات آملاً أن تتاح فرصة أخرى لتلافي ما بقي من نقص ، والاستجابة إلى ما سيجد من تنبيه .

اني على الحالين شاكر .

بغداد – كلية الآداب **حزيران ١٩٧٢**

مقدمة الطبعة الثالثة

ولقيت الطبعة الثانية اهتماماً يشجع على مواصلة السير ، ويدل على الحاجة إلى مثل هذا الكتاب ، ويؤيد الصحة في الخطوط العامة منه .

أما في الخطوط الخاصة فكلمة هنا وتعليق هناك وثغرة في هذا الفصل وافاضة في ذاك... مما لا يمكن أن ينجو منها كتاب ولا سيما كتاب من هذا النوع ... يسعى صاحبه إلى امتحانه ويتوسل جاداً إلى الوقوف على نقاط ضعفه ويتابع جاهداً ما جد – أو يجد – في موضوعه ... ليكون أهلاً لحسن الظن وليؤدي أكثر ما يستطاع من الفائدة .. تعينه في ذلك طبيعة عمله في التدريس والاشراف على إعداد رسائل الدراسة العالية أو مناقشتها ، وتساعده الأيدي الأمينة التي تتولى تدريس « المنهج » ودراسته . ويزيد – هنا – على أسماء الزملاء الذين ذكر فضلهم في مقدمة الطبعة الثانية الدكتور هادي الحمداني ؛ وعلى الأقلام التي تناولته بالكتابة والنقد ، اسم الدكتور كمال نشأت (مجلة الأديب البيروتية ، نيسان ١٩٧٣) والاستاذ عبد المطلب صالح (الأقلام – تموز ١٩٧٣ ثم في كتاب دراسات في الأدب والأدب المقارن ١٩٧٤) ؛ وعلى الأذهان الشابة التي ناقشت المؤلف واياها الكتاب ، طلبة الماجستير في قسم اللغة العربية بجامعة بغداد لسنة ١٩٧٣ – ١٩٧٤ .

وللدكتور عناد غزوان فضل خاص – في هذه الطبعة ، وسابقتها – بما يتعلق بالأنظمة الجامعية الانكليزية وعدد مصطلحاتها – فشكراً مكرراً .

وتعود مسألة عنوان الكتاب مجدداً ، وكلما عرضت فكرة إعادة الطبع والتنقيح ، وكان من الاقتراحات الجديدة : المنهج العلمي في البحث الأدبي... وكان من المناقشات ما أشار إلى ضرورة ربط حديثنا بقديمنا...

وكنت – لدى الطبعة الثانية – قد عدت إلى التراث استلهمه اسماً فسرني اني وجدت رسالة بعنوان « آداب البحث » ، ولكني إذ أطلعت على فحواها علمت جيداً أن المقصود

«بالبحث» هو «المناظرة» وليس ما نقصد إليه اليوم نحن ، فطويت الفكرة خشية الخلط ، وأدى ذلك – على غير قصد – إلى اهمال الحادثة لدى كتابة المقدمة .

ثم مضت أيام وشهور ورأيتني أكتب مقالة في (١٩٧٣/٧/١٢) بعنوان «آداب المقابلة الصحفية» ورأيتني أفهم أن «الآداب» – هنا – وهي آداب البحث الذي يعني المناظرة – تعني ما نعنيه اليوم بالمنهج – وربما زادت في الدلالة فجعلت المنهج مسألة أخلاقية كما هو مسألة طريقة... وهذا صحيح... وله نظائر..

أجل ، ان كلمة آداب أو أدب (القديمة) يمكن أن تساوي كلمة منهج (الجديدة) ، ولكن التمسك بها يبدو ضرباً من التنطع لأن كلمة المنهج (الجديدة) أخذت سمتها ودلالتها وتسنمت مكانها من عنوانات الكتب أو فصولها ، ومن مواد الدراسة والجامعات....

ولدى العرب كلمة أخرى تعني «الآداب» وتعني «المنهج» ، وهي أقل غرابة وأكثر استعمالاً ألا وهي «الأصول» بمعنى «القواعد»... واذا قيل «آداب البحث» فمن الممكن أن يقال «أصول البحث»... والملاحظة وجيهة ، ولكن المسألة تبقى حيث هي : ما الداعي إلى كل هذا وقد سارت كلمة «المنهج» وشاعت ، وصارت كما كانت «الآداب» و «الأصول» وزيادة .

هذا إلى ان كلمة «منهج» لم تكن عديمة الجذور ولم تكن مستوردة ، وكل ما في أمرها اننا إذ رأينا لدى الغربيين مصطلح الـ method (= méthode) خففنا – عن علم بالقديم أو عن غير علم – إلى ترجمته بالمنهج – ولم لا؟ واذا كان الاستعمال الجديد لكلمة «المنهج» يستدعي علاوة وزيادة ، فان الاستعمال الجديد «لأدب» أو «آداب» أو «أصول» سيستدعي مثل هذه العلاوة أو الزيادة . واذا كان في استعمال «المنهج» محذور اختلاطه بالمنهج الفلسفي فان لأية كلمة أخرى اختلاطاتها المتصلة بها ، ولا يحددها أو يميزها إلا الاستعمال ، بل ان (method) الغربية نفسها تختلط لدى أهلها الغربيين ، كما يختلط «المنهج» لدينا ولا يزيل اللبس إلا الاستعمال .

وهكذا ، عدنا ، بعد جولة جديدة في موضوع اسم الكتاب من حيث بدأنا ، وليس في ذلك أية خسارة فقد تنبهنا إلى جذور لحاضرنا . وهذه العملية في البحث عن الجذور ضرورية جداً ، واذ ألمح المؤلف إلى صلة الحاضر بالماضي في مقدمة الطبعة الأولى ودعا إلى البحث في الجذور في مقدمة الطبعة الثانية فانه كان يعي أبعادها ويرى ضروباً من مادتها ، بل كان يرشح – في سره – شخصاً بعينه للقيام بهذه المهمة الصعبة ، وكان ذلك الشخص طالباً نجيباً عمل تحت إشرافه رسالة للماجستير فدل على امكانات خاصة لو أسند إليه موضوع «منهج البحث الأدبي عند العرب» رسالة للدكتوراه . وهكذا كان . وقد بدأ الطالب يجمع ويقابل

ويكتب ويصل إلى نتائج مهمة كان لا بد من اصدار كتاب فيها ليؤرخ جانباً حضارياً غفل عنه الدارسون في الغرب والشرق، على عظم دلالته، وقد آن وقت تأليفه - ذلكم الطالب الباحث : أحمد جاسم النجدي.

بقي - إذاً - اسم الكتاب كما هو، للأسباب المذكورة، ولأنه اكتسب صفة شرعية قد يؤدي سحبها إلى اعتراضات وجيهة - أيضاً -

وهم المؤلف أن يجرد الطبعة الثالثة من المقدمتين السابقتين أو أن يلخص هاتين المقدمتين بصفحتين فما جرؤ، ولم ير من يشجعه أو يقنعه بقيمة العملية. ولم تكن الحال بأحسن من ذلك - اذ هم بأن يلخص التمهيد وان يجمع الفصل الأول والثاني في فصل واحد لا يزيد حجمه على حجم أحد الفصلين المجموعين. لِمَ؟ وما الداعي؟ ان الطلبة ينتفعون بما يقرأونه في المقدمتين والتمهيد والفصلين، ويأخذون منها ما يشاؤون دون أن يجبرهم أحد على قساوة الأخذ.

أجل... وفي الزملاء من طالب بالإفاضة في أمور من التمهيد والمنهج العلمي والمنطق والتعريف بالأقلام الواردة والمقال الفكري الذي ورد الكلام عليه في آخر الفصل الثاني ترجمة لـ (dissertation)... والخطة وشخصية الباحث... والطبع... وقد استجاب المؤلف إلى ذلك في حدود الضرورة القصوى من الزيادة والنقصان، متكئاً في التفصيلات بالاحالة إلى مراجع تولت ذلك أو شيئاً منه، وردت في الطبعتين السابقتين أوجد العلم بها مؤخراً. منطلقاً من مفهومه الخاص الذي استوعبه منذ البداية وهو أن يكون «الكتاب» - قدر الامكان - جامعاً مانعاً فيه ما ينفع طالب التفصيل والزيادة وما يكفي طالب الايجاز والأساس، هو كتاب للمختص كما هو كتاب للمثقف، وقد أولى اللغة عناية خاصة فكسر عليها مادة من مواد الفصل الثامن زيادة على اشارات إلى أهميتها انبثت هنا وهناك في غضون الكتاب.

وكان بود المؤلف لو لقي «المقال الفكري (dissertation) من اهتمام الأساتذة والطلبة ما لقي «منهج البحث» لما فيه من دليل على النضج ولما يؤدي إليه من سعة الأفق ويعين على التفكير السليم المتزن، ومنه هذا التفكير ازاء قضية أو خبر أو نص بعيداً في العمق والسعة مما يقوي الشخصية، ويهيئ للبحث نفسه عنصراً يمكن أن يعد من أهم عناصره، وأي بحث أدبي يخلو من حكم أو نص، وأي حكم أو نص لا يستدعي وقفة طويلة وخطة متماسكة وعرضاً جميلاً لثمرة الوقفة الطويلة.

ولكن، يبدو أننا ما زلنا نعنى في دراستنا بالكمية قبل الكيفية وبالظاهر دون الباطن، واننا من ضعف الثقة بالنفس بحيث نتجنب المواجهة ونخشى المصارحة. ولن يبعد اليوم الذي نتنبه فيه إلى أهمية «المقال الفكري» ونحله محله اللائق ونعد له الأساتذة المؤهلين... أما اليوم،.

فقد يكون الأفضل التريث في أمره وتأجيله وتخفيف الالحاح عليه لئلا يفسد مدلوله ويستحيل ثرثرة وادعاء شأن كثير من الأشياء التي يتولاها من ليس لها.

إن المؤلف لا يقطع أمله في العودة إلى المقال الفكري، وفي تخصيص ساعة معينة له من كل أسبوع من بعض سنوات الدراسة.

أما فيما يتعلق بمراجع منهج البحث، فلم يتصل بعملنا جديد ذو شأن خاص بما صدر باللغة الانكليزية، ويا حبذا لو أعلمنا المتخصصون بذلك. وظلت عناية فرنسة بالمقال الفكري قائمة، واحتفظت آثار لانسون - ومنها الكتيب الذي نقله الدكتور محمد مندور إلى العربية - بقيمتها، ولا أدل على ذلك من اعادة طبعها مجدداً مجموعة في كتاب واحد. وشرعت الجامعات فيها تولي المنهج - والمناهج - اهتماماً خاصاً حتى انها لتجعل ذلك مادة رئيسية في الدراسة العالية. ولكنها لم تصدر في ذلك كتاباً. وصدر للاستاذ J. Perus كتاب عن طرائق (مناهج) العمل في تاريخ الأدب وتقنياته.

ونهضت البنيوية (وقد تترجم بالهيكلية) (structuralisme) في اللغة والنقد وغيرهما منذ أوائل الستينات ومضت تقوى وتسعى إلى أن تكون علماً فتعددت المجلات التي تتبناها والكتب التي تشرحها والاعلام الذين دعوا إليها ودافعوا عنها راجعين بمنطلقهم إلى أوائل القرن العشرين (أو الثلث الأول منه) حيث الدروس اللغوية التي ألقاها د. سوسير في جامعة جنيف وحيث الاتجاه الشكلي الذي رأته روسيا، وحلقة براغ من اللغويين.

وكان طبيعياً - على هذا - أن تدخل البنيوية الجامعة وأن تمتد إلى البحث الأدبي وأن تكون المجلات والمؤلفات الصادرة عنها مراجع جديدة لميدان البحث الأدبي.

حدث هذا على الرغم من المعارضين، وبغض النظر عما يكون على مذهبها من مؤاخذات تأتي في مقدمتها «شكليته» واهماله العوامل المؤثرة عامة في العصر وخاصة في الأديب المنشئ، لأنها تتعامل آنياً مع النص الذي ازاءها تحليلاً وتركيباً، فهي خطوة من بحث وليست البحث، أنها عناية خاصة بوقفة من الوقفات الناقدة التي يقفها الباحث، يمكن أن تشبه وقفات أخرى تزودنا محاسنها مناهج (أنواع) النقد الأدبي المعروفة.

ويعنى الغربيون فيما يؤلفون للطلبة باسم «الاسلوب» بدلالته اللغوية يعرفونهم قيمة العبارة السليمة ويعينونهم على تقويم العبارة غير القويمة مما يحتاج إلى العلم به والتنبه له طالب البحث في مادة لغة البحث لدى الكتابة (التحرير) مما يجب أن يكون... أو لا يكون من المفردات وادارة الكلام... كأنهم يقصدون «بالاسلوب»: كيف تكتب؟ وربما سموه - لذلك - فن

الكتابة – وقلما عنينا نحن بهذه الناحية ، ولم أجد في آثارنا ما يذكر . ولعلنا لو استوعبنا «علم المعاني»... و «النحو» و «فقه اللغة» وأخلصنا في «درس التعبير»... وتأملنا جيداً تركيب النص العربي وبناءه... لكان لنا شيء منه... ولاستقامت لدينا العبارة عند كتابة البحث.

وبذل الغرب عناية خاصة للاستفادة من العقل الالكتروني (Computer) في الدراسات الأدبية. والف في ذلك الكتب (نجد نموذجاً منها في آخر هذا الكتاب – مراجع نافعة) ونجح إلى حد يخفف عن كاهل الباحث الحقيقي أعباء الجمع والمقابلة والتفريق... والفهرسة... ويدعي ما هو أكثر من ذلك ويطمح إلى نجاح أكبر، وروت الصحف ان عالماً باكستانياً يشغل منصب أستاذ الكومبيوتر في جامعة مونتريال قد توصل إلى نتائج موفقة في التطبيق على المادة المكتوبة بالحرف العربي.

أما الطريقة المقترحة لتدريس الكتاب – أي كتاب منهج البحث الأدبي هذا – فيمكن أن يعيِّنها الهدف الذي أُلف الكتاب من أجله في الأخذ بيد طالب البحث خطوة خطوة ليزداد علماً وتجربة واستيعاباً ، ويقتضي ذلك أن يقرن الأستاذ – إذا شاء – في المرحلة الجامعية الأولى النظرية بالتطبيق ، فيقوم كل طالب ببحث صغير ، ويحسن ، لكي يحقق هذا البحث الغاية منه ، ان يتم خلال عدة شهور ، على مراحل ، كل مرحلة تستغرق فصلاً من فصول الكتاب متسلسلة ، فبعد أن ينتهي وإياهم من المقدمات والتمهيد والباحث والبحث يدخل فصل «اختيار الموضوع» ويطلب إليهم جميعاً التفكير بموضوع بل اعداد ثلاثة موضوعات يتم الاتفاق بشأنها علناً ثم يدخل فصل الخطة فيعد الطلبة جميعهم خططهم لموضوعاتهم المتفق عليها ، ويناقش اثنين أو ثلاثة منهم علناً.. ويسير العمل كذلك في المصادر والجزازات والمسودة والمبيضة والفهارس... حتى إذا انتهى الكتاب وبعيد النصف الأول من السنة ، يكون الطلبة قد أنهوا معه بحوثهم. ويجمع الأستاذ هذه البحوث ويقرؤها ويسجل عليها ملاحظته وينبههم على أهم هذه الملاحظات وما كان منها عاماً على وجه الخصوص موجهاً للغة عناية خاصة. ثم يختار بحثاً – أو أكثر – يقرأه الطالب في الصف (الفصل) استعداداً للمناقشة. وتنجح العملية أكثر لو أمكن أن يطبع هذا البحث – على الاستنسل – بعدد من النسخ يناسب عدد الطلبة ، توزع عليهم قبل المناقشة. وقد يرى الاستاذ – اكمالاً للعملية – ان يشرك معه في المناقشة استاذاً آخر.

لا شك في أن هذه الطريقة متعبة ، ولكنها مجدية . ومن هنا وجب تخصيص ساعة معينة بمنهج البحث ، وقامت خطة الكتاب المؤلف في التدرج عليها حتى لو اقتضى ذلك التدرج تقطيع مادة واحدة على أكثر من فصل.

انها طريقة متعبة للاستاذ وهذا يعني أن الاستاذ الواحد يتجنب أن يدرس المادة لعدة صفوف (فصول) أو شعب وانما يكتفي بشعبة واحدة أو شعبتين في أكثر تقدير، والا أرهق، أو تهاون، وضاعت مكتسبات تجربته.

يمكن اتباع الطريقة التدريجية نفسها لدى تدريس منهج البحث في المراحل المتقدمة من الدراسة العالية مع التوسع في كل مرحلة بما يناسب سن الطلبة والتجارب التي اكتسبوها... ويمكن أن يبحث الاستاذ عن طريقة أخرى كالمنافشة المشتركة لكل فصل من فصول الكتاب - لا سيما إذا ثبت لديه أن طلبته قد اجتازوا المرحلة الأولى واستوعبوها نظرية وعملية.

وقد يكون من المستحسن - في الحالين - أن يقرأ الطلبة الكتاب كله قراءة عامة يلمون بالنقاط الرئيسة منه ويعيشون حيناً في جوه... ويستعدون للقراءة الخاصة المجزأة.

وبـــعد

فما زالت بالمؤلف حاجة إلى آراء الأساتذة والطلبة في وجوه النقص والكمال، وربما كانت الحاجة أمس إلى بيان العيوب منها إلى إعلان المحاسن، ويا حبذا لو نهد الاساتذة إلى نشر خبراتهم الخاصة، والحديث عن المناهج التي ساروا عليها في جامعاتهم التي درسوا فيها لتتهيأ الفائدة على وجه أوسع وليتيسر العلم بما في مناهج العالم المختلفة من عموم وخصوص - وهو ينتظر جاداً.

واذا كان فيما كتب عن الكتاب وأرسل إلى المؤلف ما دعا إلى أن يخرج منهج البحث الأدبي عن دائرته المحصورة بقطر بعينه إلى ما هو أوسع من الأقطار والجامعات... وكان في الواقع من العلامات ما دل على صدق الدعوة... فإن ذلك يزيد في المسؤولية ويضاعف الحاجة إلى النقد والملاحظة.

بغداد - كلية الآداب **حزيران ١٩٧٤**

تمهيد

المنهج the method (= La méthode) في أبسط تعريفاته وأشملها : طريقة يصل بها انسان إلى حقيقة .

ولا بد من أن يكون الانسان قد اكتشف المنهج مبكراً بحكم ما له من ذكاء وما يجتاز من صعاب وما يحمله على الوصول إلى نتائج ويعينه على ادخار خبراته واستغلال هذه الخبرات فيما يجد عليه من مواقف. ولكن هذا المنهج كان ساذجاً وفردياً ، ثم تقدم كلما تراكمت التجارب واتسع الاجتماع.. ان المنهج يوفر عليه كثيراً من الجهد والعناء، ويسهل مهمته في العيش.

ثم خطا خطوة أخرى عندما كانت له حضارة وثقافة وصور شتى من المعرفة والعلم. ولا يمكنك أن تتصور الحضارات الأولى في العراق ومصر والصين - مثلاً - من دون منهج ومناهج... حتى إذا كان الاغريق كان منهج وكانت الكلمة نفسها بمعنى «البحث أو النظر أو المعرفة»[1] وقد حفظتها الكتابة وحفظت أصولاً منها وأموراً إليها. ولكل فيلسوف كبير منهجه.

ويسير الزمن ، ويتقدم الفكر الانساني ويكثر الفلاسفة والعلماء فيزداد الأمر وضوحاً ورسوخاً ويزاد على التليد طريف ، وتتضح من المنهج أنواع بمقتضى العلم الذي يقصد إليه

---

(١) ينظر عبد الرحمن بدوي - مناهج البحث العلمي ٣ ، ٤ - ١٨ . وجاء في كتاب الدكتور عثمان أمين - ديكارت (ط ٤ ، القاهرة ١٩٥٧) ص ٧٥ «تميز القرن السابع عشر بـ... عناية المفكرين فيه بالمنهج أو الطريقة الواجب اتباعها في البحوث العقلية. والواقع ان الكتب في المنهج كثيرة في ذلك العصر ، وخصوصاً ابتداء من سنة ١٦٢٠ : ففي ذلك التاريخ ظهر كتاب «الارجانون الجديد» لفرنسيس بيكون (ويعني به المنطق الجديد (novum organum) وبعد ذلك بنحو سبع عشرة سنة نشر ديكارت «المقال في المنهج»، وفي ذلك العصر أيضاً نشر «اسبينوزا» رسالته في «اصلاح الذهن»، كما أصدر «تشرنهاوس» كتاب «طب العقل» ونشر فلاسفة «بول رويال» منطقهم المشهور المسمى «فن التفكير»، ونشر «مالبرانش» كتاب «البحث عن الحقيقة» وكتب «ليبنتز» مصنفاً من عدة رسائل نجد في عنوان بعضها لفظ «المنهج».

ويصير جزءاً من المنطق. ويعد القرن السابع عشر من العصور المهمة في تاريخ الكلمة. ويكفي أن يذكر الباحثون - فيمن يذكرون - علمين كبيرين هما: الفيلسوف الانكليزي بيكون (Bacon) (١٥٦١ - ١٦٢٦) والفيلسوف الفرنسي ديكارت (Descartes) (١٥٩٦ - ١٦٥٠)، وينصون على طريقين في العلم الصرف: الاستدلالي في الرياضيات، والتجريبي في الطبيعيات[١]. وبلغ الأمر من اعلاء مكانة الطريقة ان قال ديكارت: «خير للانسان أن يعدل عن التماس الحقيقة من أن يحاول ذلك من غير منهج»[١].

وللفيلسوف الألماني «كانت (Kant)» (١٧٢٤ - ١٨٠٤) مكانته في «علم المنهج methodology (= méthodologie)الذي هو جزء من المنطق يدرس مناهج المعرفة المختلفة ومناهج العلوم بخاصة[٢]. ولنتذكر اننا هنا في القرن الثامن عشر: عصر النور كما يسميه الفرنسيون.

واذا كانت هذه الميادين فلسفية، وفي الفلسفة المثالية بخاصة، فقد بدأت ميادين للفلسفة المادية تشتد وتنهض وتقوى ويكون لها منطقها ومنهجها في هذا المنطق لبلوغ المعرفة واقرارها.

وكان القرن التاسع عشر مخاضاً كبيراً، ولم تقف المسألة عند الفلسفة والعلوم الصرف. فقد بدأت معارف أخرى - بعيدة عنها جوهراً - تسعى إلى أن تقترب منها وتنتسب إليها وتندس فيها كأنها تنظر بذلك إلى ما ستناله من رفعة وما تستضيفه من مجد. واذ بلغ العلم شأوا باذخاً كان كثير من أصحاب الدراسات التي لم تكن يوماً ما علماً أو من العلم ينظرون في صفاته ويتأثرون به وتخالجهم الخطرات لأن يكون علماً هذا الذي يزاولونه وينسب إلى الخرافة حيناً وإلى الخيال حيناً...

وكان المؤرخون من هؤلاء. واشتد الجدل وطال واستنفد في ذلك كثيراً من الأحاديث وكثيراً من الأقلام والورق، وألقيت المحاضرات وأقيمت المناظرات وألفت الكتب، فمن قائل: التاريخ قصة والقصة انشاء أدبي، والانشاء فن. ومن السخف ان نرى في «التاريخ علماً بالمعنى الصحيح» و«ان العلم، بالغاً ما بلغ، لا يعطينا من التاريخ سوى العظام المعروقة اليابسة»... ومن قائل: «ان التاريخ علم لا أقل ولا أكثر»[٣].

---

(١) عن كتاب «قواعد لهداية العقل» - بدلالة كتاب الدكتور عثمان أمين - ديكارت ص ٧٨.

(٢) هذا هو التعريف العلمي للمتودولوجي. وقد تستعمل لتعني المنهج أي منهج، وكأن الأولى أن تستعمل لهذه الأخيرة كلمتها الخاصة بها - كما رأينا - وهي المتود (method)

(٣) ينظر هرنشو ١ - ٤، طه باقر - مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط ٢، بغداد، ١٩٥٥. وكانت الأولى بغداد، ١٩٥١.

ثم تهدأ العاصفة وتعتدل النظرة فاذا بالعين ترى انه يمكن أن يكون للتأريخ شيء من العلم ، نعم ، ان التاريخ ليس علماً كالهندسة أو كالفيزياء ، ولكن يمكن أن يكون له شيء من طريقة البحث في العلم الصرف في الجمع والاستقصاء والنقد والتصنيف وطلب الحقيقة وشيء من صفات العالم الطبيعي في الموضوعية والحياد ، أو ليست الجيولوجيا علماً ؟ [1].

يطمئن عدد كبير من الناس إلى هذه النتيجة ، وتؤيد النظرية بالعقل ؛ فقد بدأ المؤرخون يقلعون عن شطحات الخيال والقاء الكلام على عواهنه وراحوا يناقشون وينقدون وينتفعون بالمخطوطات ويحققون هذه المخطوطات ، ويرجعون إلى السجلات ويعنون بهذه السجلات.

بل انهم جمعوا تجاربهم في هذه الطريقة وسجلوا سبلهم في التأليف فكان من ذلك مقالات وكتب في المنهج الجديد ، منهج البحث في التاريخ ، وكان من الكتب المهمة جداً في ذلك الكتاب الذي ألفه لانكلوا وسنيوبوس سنة ١٨٩٨ باسم «المدخل إلى الدراسات التأريخية»[2] (نقله إلى العربية الدكتور عبد الرحمن بدوي). واذا كان قد أطلق على منهج العلوم الرياضية : الاستدلالي ، وعلى منهج العلوم الطبيعية : التجريبي ، فقد رؤي ان يطلق على منهج الدراسات التاريخية : الاستردادي ، وعرف بأنه «الذي نقوم فيه باسترداد الماضي تبعاً لما تركه من آثار ، أيا كان نوع هذه الآثار»[3].

وهكذا اقترب التاريخ من العلم وابتعد عن الأدب. ولا شك في انه ربح بذلك كثيراً وهو يبتغي بلوغ حقيقة من الحقائق. وقد خطت أوروبا – في ذلك – خطوات هائلة بدأتها المانية ثم فرنسة ثم انكلترة... وأمريكة. وأحرز الوصف الجديد للتاريخ نصرا متلاحقاً في الجامعات ، وكان ان أخذ الاساتذة يوجهون الطلبة إلى البحث العلمي في التاريخ ، بل انهم أدخلوا درساً جديداً اسمه : منهج البحث التاريخي ، ووضعوا له في ذلك الكتب المناسبة.

واذا استطاع المؤرخ أن يحقق هذا النصر المؤزر ، بدأ الباحث في الأدب يتأثر بما تأثر به وينحو نحوه ،... وان النصر الذي أحرزه العلم الصرف لا بد من أن يدخل إلى نفوس أهل الأدب... أجل وكان أن قيل : ان البحث في الأدب علم أيضاً ، له ما له ، وكما كان في العلم

---

(١) هرنشو ١٠١ – طه باقر – مقدمة.

(٢) لانكلوا (Longlois) (شارل فكتور) مؤرخ واستاذ للتاريخ ، عمل في عدّة جامعات فرنسية آخرها السوربون ، عني عناية خاصة بمنهج التاريخ وبالعلوم المساعدة للتاريخ والوثائق (ولد سنة ١٨٦٣ – توفي سنة ١٩٣٩).
وسنيوبوس (Seignobos) (شارل) مؤرخ واستاذ في السوربون ، اهتم بالمنهج التاريخي وتدريس التاريخ (١٨٥٤ – ١٩٤٢).

(٣) بدوي – مناهج البحث العلمي ١٩.

«نظرية تطور» يمكن أن تكون في الأدب أيضاً، وكما كان في العلم «البيئة والجنس والعصر» يمكن أن يكون في الأدب كذلك... ومنهم من سار – مأخوذاً بانتصارات العلم في القرن التاسع عشر – إلى المبالغة في علمية الأدب... ومنهم من اعتدل فاعترف بأن الأدب ليس كالهندسة أو الكيمياء ولكنه تاريخ أو كالتاريخ، ان للباحث الأدبي أشياء من طريقة العلم وأشياء من صفاته. ولم لا؟ ان عليه أن يجمع ويستقصي وينقد ويبوب ليصل إلى الحقيقة المبتغاة.

انك، لكي تدرس أدباً أو عصراً أو أديباً، لا تدرس النص مجرداً، وانما تدرس معه ما يحيط به من مظاهر الحياة العامة والخاصة.. وتدرس هذا كما يدرس التاريخ، وقد أصبح التاريخ نوعاً خاصاً من العلم، فيجب أن تصبح الدراسة الأدبية كذلك. وهكذا كان، فنشرت المقالات وأثيرت المجادلات، لأن ذلك لا يمكن أن يمر – والمسألة مسألة أدب أي فن وذوق – من دون اعتراض وتطرف في الاعتراض، واذا قال قائل: الأدب علم أو من العلم، قال آخر: الأدب انطباع[(١)].

ولكن قافلة علمية الدراسة الأدبية سارت، وسادت ووجد «تاريخ الأدب» وصار درساً معترفاً به في الجامعات له أساتذته، وله كتبه، وتوجيهات مقررة في منهج البحث الأدبي لم تلبث ان كانت رسائل... ودروساً خاصة.

وحين كتب لانسون[(٢)] «منهج البحث في تاريخ الأدب» سنة ١٩٠١ قال في مفتتح مقاله: «ليس المنهج الذي أحاول أن أعطي فكرة عنه من ابتكاري، وما هو الا نتيجة لتفكيري في الخطة التي جرى عليها عدد من سابقيّ بل واللاحقين من الناشئين»[(٣)].

ثم قال: «واذن، فنهجنا هو في صميمه المنهج التاريخي، وخير اعداد لطالب الآداب هو أن يطيل التفكير في «المقدمة للدراسات التاريخية» التي وضعها «لانجلوا» و «سنيوبوس» أو الفصل الذي كتبه «جبرييل مونو...»[(٤)].

---

(١) ينظر كتاب الدكتور محمد مندور – في الادب والنقد – القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٤٩، ص ١١–١٧، ص ٨٥–٩٤.

(٢) لانسون (Lanson) استاذ للأدب الفرنسي في السوربون. من مؤلفاته «تاريخ الأدب الفرنسي»، أرسى منهج البحث الأدبي نظرياً وتطبيقاً (١٨٥٧–١٩٣٤).

(٣) لانسون. منهج البحث في الأدب، ترجمة الدكتور محمد مندور ص١٦.

(٤) نفسه ١٩. ولانجلوا هو لانكلوا السابق ذكره، و«المقدمة...» وهي «المدخل...» ويرجع الاختلاف في الاسم إلى المترجمين.

واذ يقرر لانسون هذا، فانما يعني التقاء في الخطوط العامة بين منهج البحث التاريخي ومنهج البحث الأدبي. أما في الخطوط الخاصة فهناك اختلاف لا بد من الاعتراف به ولا بد من أخذه بنظر الاعتبار. ولا غرو أن قال لانسون نفسه: «ثمة فروق هامة بين المادة العادية للتاريخ بمعناه الدقيق ومادتنا، وعن تلك الفروق تنشأ فروق في المنهج».

«موضوع التاريخ هو الماضي، ماض لم تبق منه الا أمارات أو انقاض بوساطتها يعاد بعثه. وموضوعنا نحن أيضاً هو الماضي، ولكنه ماض باق، فالأدب من الماضي ومن الحاضر معاً... نحن في موقف مؤرخي الفن، مادتنا هي المؤلفات التي أمامنا والتي تؤثر فينا كما كانت تؤثر في أول جمهور عرفها. وفي هذا ميزة لنا وخطر علينا. وهي بعد حالة خاصة يجب أن تلاقيها وسائل خاصة في منهجنا... والأدب يتكون من كل المؤلفات التي لا يدرك معناها الا بالتحليل الفني لصياغتها.

...وبهذا تتميز دراستنا عن الدراسات التاريخية الأخرى، ويتضح أن التاريخ الأدبي ليس علماً صغيراً من العلوم المساعدة للتاريخ. نحن ندرس تاريخ النفس الانسانية والحضارة القومية في مظاهرها الأدبية. ونحن نحاول دائماً أن نصل الى حركة الأفكار والحياة خلال الأسلوب...[1]».

وقد عم فرنسة (والغرب) في القرن التاسع عشر سلطان العلم الصرف، وكان لهذا العلم - بفضل اختراعاته الباهرة - ما جعله سيداً في كل ميدان ومثلاً أعلى لكل نشاط بما في ذلك الأدب. وقد خضع نقاد فرنسيون كبار مثل سنت بيف (Sainte-Beuve) وتين (Taine) وبرنتير (Brunetière) لسلطان العلم. وصحيح أن النظرة العلمية تخدم الدراسة الأدبية بما تدخل عليها من صفة الموضوعية، ولكنها تخرج الأدب عن دائرته وتنأى به عن طبيعته، وكان صعباً أن يدوم سلطانها، فقد أدى التطرف فيها بآخرين الى أن يقفوا مهاجمين أو مدافعين أو أن يدعوا الى الاعتدال، وقد نجحوا فأثرى موقفهم المنهج.

وأدرك لانسون سلطان العلم الصرف، وكان لا بد له أن يعكس أطرافاً من أجواء العصر، ولا بد له من أن يقول كلمة معقولة مناسبة وهكذا قال سنة ١٩٠١:

«لقد كان تقدم علوم الطبيعة خلال القرن التاسع عشر سبباً في محاولة استخدام

---

(١) لانسون-منهج البحث في الادب ٢٠-٢٢.

مناهجها في التاريخ الأدبي غير مرة، وذلك أملاً في اكسابه ثياب المعرفة العلمية وتجنيبه ما في تأثيرات الذوق من تحكم وما في الاحكام الاعتقادية من مسلمات غير مؤيدة. ولكن التجربة قد حكمت باخفاق تلك المحاولات.

[...] واستخدام المعادلات العلمية في اعمالنا بعيد عن أن يزيد من قيمتها العلمية، هو على العكس، ينقص منها اذ إن تلك المعادلات ليست في الحقيقة الا سراباً باطلاً عندما تعبِّر في دقة حاسمة عن معارف غير دقيقة بطبيعتها. ومن ثم تفسدها.

[...] الشيء الذي يجب أن نأخذه عن العلم ليس كما قال فردريك رو (Frèderic Rau) «هذه الوسيلة أو تلك» بل روحه... ذلك لأنه يلوح لنا أن ليس هناك علم عام أو منهج عام وانما هناك منحى علمي عام... هناك منحى نفسي نواجه به الطبيعة وهو منحى مشترك بين العلماء.

«منحى نفسي نواجه به الطبيعة» هذا ما نستطيع أن نأخذه عن العلماء فتنقل الينا النزوع الى استطلاع المعرفة والامانة العقلية القاسية والصبر الدؤوب والخضوع للواقع والاستعصاء على التصديق، تصديقنا لأنفسنا وتصديقنا للغير أن نكون أقل استسلاماً لأهوائنا وأقل تسرعاً الى الجزم»[١].

واستأنف لانسون القول عام ١٩٠٩ حين ألقى في بروكسل محاضرة تحدث فيها عن «الروح العلمي» بدأها ببيان ما للأدب من خصوص يميزه من العلوم الصرف ثم ذكر سنت بيف (Sainte-Beuve) أنموذجاً للدارس الأدبي الذي عرف العلم عن كثب، وانه اذ اعتزم ان يؤلف التاريخ الطبيعي للأدباء لم يأخذ من العلم أكثر من التشابه العام ولم يدع أنه يقوم بما كان يقوم به لامارك - العالم بالتاريخ الطبيعي.

ثم ذكر كَاستون پاري المتخصص بفقه اللغة وأدب القرون المتوسطة وقال انه لم يمثل دور كلود برنار أو دارون، «لقد كان كَاستون پاري - أيها السادة - يعرف ما يجب أن يستعيره من العلم، ضميره. لنترك أطره وقوانينه، ان طريقنا الوحيد الذي لا يخطىء الى الاسهام في الحياة العلمية أن ننمي فينا الروح العلمي.. لنأخذ من المناهج العلمية الحذر، فكرة ما يكون عليه برهان... أن نكون أقل استسلاماً لأهوائنا وأقل تسرعاً الى الجزم»[٢].

---

(١) لانسون-منهج البحث في الادب. ترجمة مندور ٣٠-٣٥.
(٢) Lanson Methods.. 21-37

ان اهتمام لانسون هذا يعكس لنا أشعة مما جرى للغرب وما أحدثه فيه العلم من ثورة، وما شمل منهج الدراسة الأدبية من هذه الثورة. وهو أمر لم يجر لدينا ولكن لا بد لنا من الالمام به للالمام بمرحلة مهمة من مراحل المنهج ولنأخذ من العلم ما أخذه الغرب(١).

وقد تقرر في عهد لانسون وعلى يده أهم ما وصل اليه منهج الدراسة الأدبية وأجل ما تفخر به. وأكمل المنهج وسد كثيراً من نواقصه الجانبية باحثون تولوا المهمة بعد لانسون في فرنسة وغير فرنسة من ديار الغرب، فقد وجهوا وكتبوا وألفوا، وكلما تعددت الدراسات وتعقدت كثرت الكتب التي تعلم الطلبة البحث وتدلهم على السبيل اليه.

* * *

هذا طرف من المنهج في تاريخ الغرب، ولم يكن تاريخ العرب ليخلو من مادة للمنهج وحسبك أن تذكر أهل الحديث... ثم أهل التاريخ... والأدب والتراجم... والفلسفة، فيما نصوا عليه من قواعد أو مما يمكن أن تستنبطه استنباطاً وفيما بنوا به كتبهم في الجمع والنقد أو في التبويب على الجزء والباب والفصل... وفيما سلكوه في مذاهبهم العقلية أو النقلية.

ولكننا، مع هذا، لم نبدأ المنهج في العصر الحديث من حيث انتهى العرب، وانما بدأنا من حيث انتهى به الغرب... وحيث درسناه في الغرب وعدنا به إلى بلادنا، لما أصاب حضارتنا من توقف طويل وأصاب قومنا من سبات عميق، حتى اذا استيقظنا كنا بعيدين عن الأجداد ورأينا الغرب قد جد وجوّد.

وقد يكون من حسن الحظ أن يفتح باب منهج البحث عندنا استاذ كأسد رستم فيعرف كيف ينهج وكيف يحفظ ما للعرب وهو يحفظ ما للغرب. ولنستمع اليه وهو يقدم كتابه في منهج البحث التاريخي الذي سماه «مصطلح التاريخ» ويقول:

«لما عدت من جامعة شيكاغو سنة ١٩٢٣ وباشرت عملي في جامعة بيروت توليت تدريس علم المتودولوجية فيها. وأول ما عملته أني أخذت أجمع أهم المؤلفات التي تدور حوله فتوافر لديّ عدد منها في اللغات الاجنبية. ولكني لم أعثر على شيء في العربية، فصممت آنئذ أن أتلافى هذا الفراغ وأكتب شيئاً في هذا الموضوع.

---

(١) كان الدكتور طه حسين من أوائل من لخص لنا خبرة الغرب في المقياس العلمي والمقياس الأدبي في مقدمة كتابه «في الأدب الجاهلي» الذي صدرت طبعته الأولى في القاهرة سنة ١٩٢٧.

ورأيت أن أتريث في الأمر فأبدأ بتدريس الموضوع بلغة أجنبية ريثما تتوافر لديّ الأمثلة التاريخية المحلية والاصطلاحات الفنية العربية. فاضطررت أن أرجع الى مصطلح الحديث لسببين أولهما الاستعانة باصطلاحات المحدِّثين والثاني ربط ما أضعه أول مرة في اللغة العربية بما سبق تأليفه في عصور الأئمة المحدِّثين».

وقد فعل وجوّد، فكان رائداً وأكثر من رائد... وتلت الجامعة الاميركية في بيروت جامعات عربية... وتلا الدكتور اسد رستم مؤلفون عرب آخرون... وسيظل الباب مفتوحاً، والمؤلفات تتوالى... والخبرات تتجدد.

* * *

واذ بيَّن أسد رستم ما في الحديث (والتفسير) من مادة لطالبي المنهج، بيّن روزنتال ما لدى المؤرخين والعلماء المسلمين من مادة أخرى لهؤلاء الطالبين. ولا يبعد أن يتجرد باحث فيغوص في أعماق التراث العربي الانساني، ويعود ليؤلف من أشتات ما اصطاده من شؤون البحث كتاباً قيماً نفيد منه في توضيح منهجنا الحديث، ويثبت أن الانسان في سعيه الى الحقيقة يسلك طرقاً تتشابه بدافع من الجد والاخلاص وتراكم الخبرات[١].

ولكن هذا الماضي - على احترامنا اياه - شيء من أشياء. ولقد حقق الغرب في تاريخه الحديث اموراً خارقة كان مناسباً أن ننتفع بها لدى يقظتنا، وقد انتفعنا - كما رأيت - اذ درسنا المنهج وألفنا فيه. وكان لا بد لنا من مجال آخر للانتفاع الا وهو الترجمة، وقد وقع لنا شيء حسن فيه اذ ترجم مندور لانسون وترجم بدوي لانكلوا وسنيوبوس؛ وحضارة اليوم متشابكة لاغنى فيها لشرق عن غرب أو غرب عن شرق.

ولم ننتفع بمنهج البحث التاريخي وحده وانما انتفعنا كذلك بمناهج النقد الأدبي من لغوية وعقائدية ونفسية.. مما تكمل محاسنها هذا المنهج وتزيد من عمق الدراسة الأدبية في وقفتها ازاء الاسلوب بمعناه الابداعي، ومما يعين على فهم النص بما حول النص.

وستظل مناهج البحث المختلفة في نمو وازدهار، وسيظل منهج البحث الأدبي كذلك. واذا أخذنا اليوم مادتنا من هنا وهناك من الشرق والغرب، فقد قطعنا شوطاً حسناً[٢]، وسنقطع اشواطاً، ولا يبعد أن تمد تجاربنا المنهج العالمي بمفيد وجديد.

---

(١) وقد تجرد الى ذلك السيد أحمد جاسم النجدي فوصل إلى نتائج مهمة.

(٢) ينظر في آخر كتابنا هذا «مراجع نافعة».

الفصل الأوّل

البحث والبحوث[1]

البحث (research =) recherche) طلب الحقيقة وتقصيها واذاعتها في الناس. والبحث الأدبي: طلب الحقيقة الأدبية في مصادرها وإذاعتها.

وفي كلمة الحقيقة ما يبين المعنى الانساني للبحث. ويدخل في هذا المعنى الشمول فيما يتصل بالفكر البشري وعاطفته وخياله... دون أن يمنع هذا الشمول في القصد أن يرى باحث بارع عناصر الانسانية بمعناها الواسع خلال موضوع محلي يبدو ضيقاً جداً.

ومن هنا يلتقي الباحثون من كل صنف: الفلاسفة والعلماء... والنقاد ودارسو الأدب، ويجب أن يلتقوا أو أن يكون اللقاء - في الأقل - من أهدافهم ومما لا يغيب عن بالهم.

ومنهج البحث الأدبي: الطريقة التي يسير عليها ليصل الى حقيقة في موضوع من موضوعات الأدب أو قضاياه منذ العزم على الدراسة وتحديد الموضوع... حتى تقديمه ثمرة عمله الى المشرفين أو الناقدين والقراء «مقالاً» أو «رسالة» أو كتاباً...

وهو يفيد كثيراً من المناهج الأخرى في خطوطها العامة. خصوصاً من منهج التاريخ. ولكنه يتميز بأنه يتعامل مع مادة فنية ونص انشائي على الباحث فيه أن يغور الى اعماقه ويقرأ ما وراء حروفه فيصل خياله بخيال صاحبه وعاطفته بعاطفته[2]... متخذاً من المادة التاريخية عوناً ومساعداً على بلوغ هذه الغاية، مؤيداً اياها بعوامل مساعدة أخرى تتكون من كل ما يستطيع أن يحوز من فنون المعرفة من لغات وجغرافية وفلسفة... وعلوم صرف.

---

(١) جاء في لسان العرب: بحوث جمع بحث.

(٢) ينظر لانسون في ترجمة مندور ٢٠-٢١.

ودرس منهج البحث : يوجه الطلبة في عملهم ويبين لهم صميم رسالتهم ويزودهم الضروري مما يلزمهم في كل خطوة يخطونها منذ البداية حتى النهاية.

ودواعي هذا الدرس : أن منهج البحث مظهر حضاري تشتد الحاجة اليه بعد الحاجة الى الدرس والتأليف وما يصحب ذلك من تراكم الخبرات وتضخم المادة، وما يتصل بها - عادة - من اضطراب و «فوضى» أو تعصب وجهل وجور يضيع في مجاهلها القارئ وتضيع الحقيقة فتختلط الأمور على الجيل الناشئ ويصعب عليه أن يتبين دربه ويخشى عليه أن يأخذ الباطل مأخذ الحق، ويسلك الى هدفه مسالك لا توصله في يسر، أو لا توصله أبداً، فيزيد على ضلال الاسلاف ضلال الاعقاب وينقص من محاسن الماضي ما يحتاج اليه المستقبل.

وإذ وقع ذلك - وهو واقع - انبرى الغيارى يوجهون ويرسمون طريقاً يبين صواب المصيبين ويفضح خطأ المخطئين، ويسهلون أمر البحث على الناشئة والطلبة مستفيدين مما حققته البشرية في تاريخها العلمي.

وكان طبيعياً أن يرتبط «منهج البحث» بالجامعات ارتباطاً وثيقاً، لأنها موئل الحقيقة - أو ما يفترض فيه أن يكون كذلك - ولأنها تتعامل مع طبقة لها من السن العقلية ما يؤهلها للبحث ولفهم مناحي البحث. ولا يقوم التعليم الجامعي على التلقين أو تقديم المعلومات مجموعة (أو مشتتة!) من هنا وهناك على غير رابط وغير هدف، وانما يقوم على المحاضرة الناضجة التي يعدّها الاستاذ خير اعداد، وعلى البحث الذي يعده الطالب نفسه.

واذا وجب على الطلبة أن يبحثوا أحياناً - كما يبحث الاستاذ - وجب الأخذ بأيديهم وتيسير مهمتهم. ولا أجدى في المساعدة من تدريسهم - بوجه أو آخر - هذه الطريقة وتزويدهم خلال هذا الدرس المهم من الخبرات - أو القواعد التي يحتويها هذا الباب. ولك أن تقابل - لكي تدرك قيمة هذا الدرس - بين بحث جامعي وبحث غير جامعي، وبين بحث لجامعي ملم بالقواعد والأصول، منبّه عليها وبحث للجامعي نفسه قبل أن يعي هذه القواعد والأصول. ستجد أن الفرق كبير، وترى بذلك دليلاً على ضرورة الدرس.

واذا كان الغرب - على ما قطع من أشواط وعلى ما في حياته اليومية من منطق - يُعنى بمنهج البحث، كان أولى بنا ان نعنى به. وكم يسوؤنا أن نرى الكثيرين ممن تصدوا للبحث من الجيل الأول قد استهان بالامر ولم يأخذ عن الغرب ما يجدر أن

يأخذه، فجاءت مؤلفاتهم - في الغالب - خلطاً أو سرقة ونقلاً أو شطحات من الخيال والعصبية ... والمغالطة.

ثم إننا أصبحنا نريد من طلبتنا ما تريده الجامعات الغربية من طلبتها، وذلك من حقنا؛ لكن الواجب يلزمنا بما الزم الغربيون به أنفسهم في المنهج العلمي.

والخلاصة في فوائد الدرس أنه يعلم الطلبة كيف يبدأون ... وكيف ينتهون، ويوفر عليهم الوقت ... والجهد، ويجنبهم الوقوع في الخطأ الذي وقع فيه السابقون، ويعودهم الدقة ويحفظهم من الضياع والسأم والشعور بالعجز ويعينهم على أن يستغلوا الفائض من حالات الضياع وما اليها في التجويد والانصراف الى صميم الموضوع والى كشف ما يستطيعون كشفه ضمن نطاقهم.

وهو الى ذلك، واذ يحبب الى الطلبة البحث ويهيئ لهم الاستمتاع بثمرة عملهم ويعدهم لبحث أوسع وتأليف أخطر في مدى انساني أبعد، يدلهم على أنفسهم ويحدد لهم موقفهم من هذا الميدان ويكتشف المتفوق ويرعاه ويوجد للطالب المتفوق الذي يضيق ذرعاً بالمعلومات التي يقدمها الاساتذة للمستوى الوسط متنفساً يحبب اليه مجموع عمله المدرسي.

ولا بد من معرفة القدْر المناسب، فالبحث - مثل أي ميدان آخر - واسع ومتنوع ومعقد، بمعنى أن فيه تعميماً وتخصيصاً.

أما التعميم فيقصد به القدر العام الذي يحسن أن يعرفه أي طالب ليقوم بما يطلب منه على وجه مقبول؛ فلا يعذر طالب على الجهل بما أصبح قاعدة في البحث، ولا يحسن أن يترك طالب دون أن يزود هذه الأمور التي باتت أصولاً.. وليقدم - بعد ذلك - بحثه في حدود طاقته، وليقف من دراسته الجامعية ومن سيره التأليفي حيث تقف به هذه الطاقة؛ فليس من المنهج أن تخرج عن المنهج، وليس منه أن تسير على خلاف طبيعة الاشياء وان تكلّف بما لا يطاق وأن تطالَب بالمستحيل. انك ازاء طالب محدود النطاق في هذا الميدان، فاكتف منه بالممكن، ولا تلح عليه، واتركه يتفوق في ميدان غيره - خارج الجامعة ان اقتضى الأمر.

أما التخصيص فيقصد به ما نتوجه به الى الخاصة من الطلبة، الى البارزين الذين يدلون على ميل خاص في البحث ويبدون تفوقاً ملحوظاً ويشيرون الى نبوغ منتظر.

تشبث بهؤلاء وشجِّعهم، وزوِّدهم الكثير مما كسبته وما يمكن أن يفيدهم نظرياً وعملياً؛ فمن هؤلاء سيولد المؤلف الخطير والاستاذ القدير.

ولا غرو في أن وضعت بعض الكليات مواد خاصة «للشرف» أو «الامتياز»، ولسبب من هذه الاسباب تعددت مراحل الدراسة العالية. وما كل طالب بمستحق للماجستير، وما كل طالب تنتظره الدكتوراه.

وتقول بعد هذا: هل المنهج مما يدرس في صف؟ وأقول نعم، ولا سيما بعد أن تعددت سبل الدراسة وتعقّدت مناهجها. إن الاستاذ يقدم في هذا الدرس من خلاصة الخبرات أو من تفسيرها ما يصعب جداً أن يتهيّأ للطالب في سعيه الفردي. والعبرة – كما هي في كل درس – بالاستاذ الذي يتولى تقديمه والكتاب الذي يتضمن مادته. على أن الدرس الأمثل منه ما شفع فيه العملي بالنظري والبحث بالمنهج.

ويبقى الطلبة – بعد ذلك – منازل... شأنهم في المواد الأخرى. وقد نجد طالباً لم يتلقَ المنهج في درس خاص خيراً من طالب تلقاه سنة أو سنتين، عدته في ذلك – بعد نباهته – ما استوعب من اسراره قراءة في هذا الكتاب من كتب المناهج أو استقراء في بحث قائم على الأصول. ولكن، لو كتب، لهذا الطالب النابه أن يبني استيعابه واستقراءه على أساس من الدراسة لكان أمتن... وأرقى.

وتسأل: ما الصفات العامة التي يتميز بها «البحث العلمي»، ما الصفات التي اذا توافرت في بحث أدبي قلنا أنه «بحث علمي» واذا فقدت قلنا انه ليس بحثاً وليس علمياً؟ والسؤال وجيه. ولئن كان مجموع الكتاب جواباً عنه وبياناً له، لا بأس من وقفة قصيرة خاصة تقول فيها: ان البحث العلمي يعرف من العنوان الذي يجمع بين الجدة والدقة، والتبويب وما بين الفصول والفقر من ترابط وتجانس وتناسب، والهوامش وما هي عليه من ايجاز في الدلالة على المصادر ثم ما يصحب كل ذلك من فهارس وقائمة تامة المعلومات عن المصادر والمراجع...

واذا كانت هذه أمور أدخل بالجانب الشكلي من البحث فان قراءة فقرة هنا وهناك بين المقدمة والخاتمة تؤيد علمية البحث اذا وقع القارئ منها على حسن الرأي وجودة المناقشة وشخصية الكاتب وسيطرته على المادة واعرابه عن كل ذلك في لغة سليمة جميلة بعيدة عن التطويل والثرثرة. وكلما زاد في القراءة ازداد قرباً من المؤلف – والعكس بالعكس [1].

* * *

---

(١) سنبحث في الفصول القابلة تفصيل هذه الصفات.

والبحوث أنواع، تختلف حجماً وأهمية بحسب الغرض الذي تطلب من أجله والمرحلة الجامعية التي يحلها الطالب. وهي - بهذا - تتناسب طرداً مع السن الجامعية. وهي - لهذا - على درجات... وأنواع. من اهمها:

١ - البحث الصفي: وهو مايكلف به الطلبة خلال دراستهم في مرحلة من مراحل الليسانس (البكلوريوس...) أي أن تقوم به وأنت تتلق الدروس في الصف الفلاني أو الصف الفلاني من كليتك (أو معهدك أحياناً). ولذا شاعت تسميته بالبحث الصفي (نسبة الى الصف وهو ما يسمى في عدد من الأقطار العربية: الفصل).

ويقصد منه - فيما يقصد - الرجوع الى المصادر من أجل اطلاع أوسع مما هو في الكتاب المقرر أو المحاضرة الملقاة أو لم يدخل فيهما أصلاً؛ والتدريب - بعد ذلك - على مزاولة البحث اعداداً للمستقبل.

وهو - لهذه العوامل والظروف - ذو خطورة خاصة هي خطورة البداية والأساس من كل شيء فاذا وجه الطالب جيداً وأحس بأن استاذه جاد، يقرأ بحثه ويناقشه على منهجه ورأيه، جدّ واعتمد نفسه، ومن ثم يزداد نفعه وتزداد صلته بالبحث الحقيقي، وقد يأنس به ويكتشف شيئاً من نفسه خلاله فيسعى الى بحث آخر.... وآخر.

أما اذا ترك وشأنه، وأحس بأن كلامه يبقى حبرا على ورق يتساوى فيه الزين والشين، فانه يكسل وتخمد همته. وقد يسرق وينقل مادته من أقرب كتاب وأيسر مجلة أو من بحث لطالب من سنة سبقت أو أن يستعين استعانة كبيرة بغيره. ثم يعتاد الحال، ويفوته جوهر الشيء.

وعلى الكلية ان تهيئ للاستاذ - والطلبة - فرصة القيام بالواجب. ويمكن أن يتحقق ذلك بأن تزود الطلبة في السنة الأولى بالمكتبة وفي السنة الثانية بالمنهج وشيء من التطبيق وبأن تجعل البحث العملي درساً مستقلاً له ساعته الخاصة به في السنة الثالثة والرابعة ويكون العدد من الطلبة المنسبين اليه محدوداً، ولا يثقل طلبة السنة الواحدة بالبحوث. ولا بأس في أن تكتفي ببحث واحد للطالب الواحد لأن العبرة بالكيفية. على أن يمر الطالب الواحد بأكثر من مادة واحدة من مواد البحوث ليلم بالتجربة بطبيعتين مختلفتين كأن يعمل بحثاً في السنة الثالثة في موضوع من تاريخ الأدب وأن يعمل بحثاً ثانياً في السنة الرابعة في موضوع من النحو.

ومن الشروط المهمة في البحث الصفي: الضيق، ويحسن أن يكون في حدود عشر صفحات لأن الطالب في دور التجربة وطاقته محدودة.

ومن الطلبة (والأساتذة) من يرى – لسبب وآخر – ان عشر صفحات قليلة فيزيد ويزيد على غير قياس أو ضرورة، وينقل من هنا وهناك، ويطيل فيما لا طائل تحته. وهذا غير صحيح؛ لأن «التركيز» شرط في البحث الصفّي، وفي كل «بحث». ويعني التركيز – فيما يعني – الرصّ.

نحن نسميه بحثاً صفياً. وقد نكتفي بكلمة «بحث» ولا بأس، لأنها ذات دلالة، وكلنا يعلم أنه بحث في صف.

وقد نسميه تقريراً، والتسمية مقبولة – إن كان المقصود بالتقرير المقصود بالبحث– كأننا نترجم بذلك الكلمة الانكليزية: (report).

وقد نجد من يفضل تسميته بالمقال أو المقالة وهو ينظر في ذلك إلى الكلمة الانكليزية (essay (= essai)). هذا مقبول أيضاً، ولكن الخوف فيه أن «يتبادر» إلى ذهن الطلبة ما يمكن ان يتبادر عادة عندما نطلق كلمة «مقالة» أي الانشاء القائم على الذاتية أو المقتضى الصحفي. وقد تكون – لهذا – كلمة «المقال» خيراً.

وعلى أي حال، فكلمة «بحث» وحدها research (= recherche) تغني لأن التخصيص يأتي من الحالة القائمة – أي الصف...

وقد يكون هذا البحث الضيّق المركز ترجمة للكلمة الانكليزية: (paper) وكثيراً ما نسمع الطلبة الذين تغلب على دراستهم اللغة الانكليزية يتحدثون فيقولون عندنا بيپر، وعندي بيپر، وطلب مني الأستاذ أن أعمل بيبر، وهم يقصدون في كل ذلك الى ما نقصده هنا من كلمة «بحث صفي».

وكما تطلق البيبر على البحث الصفي، تطلق على ما هو أعمق منه، أي البحث الذي يطلب منك استاذك أن تجريه بغض النظر عن المرحلة التي أنت فيها، كأن القصد منه، الضيق والتركيز. وأن الشدة في حسابك تتناسب طرداً مع المرحلة. وتطلق «البيبر» ضمن هذين الشرطين من الضيق والتركيز على ما يقوم به الأساتذة أنفسهم مختارين من بحوث ينشرونها في المجلات العلمية (الاكاديمية)، وقد اعتدنا أن نسمع من الاساتذة العرب الذين تلقوا دراستهم بالانكليزية: اني أكتب بيبر، ونشرت بيبر ويبالغون في استسهال اللفظة الاجنبية فيقولون: يشترط للاستاذية ثلاث بيبرات في الأقل.

وفي هذه الحالة، حالة بحوث الاساتذة – يزيد البيبر على عشر صفحات، ولكنه

يبقى محدوداً كأنهم يفرقون بها عن الكتاب وتأليف الكتاب. ولم تؤلف ترجمة البيير هذه بالورقة.

* * *

٢ - تشترط بعض الكليات بحثاً للتخرج، وقد يسمى رسالة (ترجمة للكلمة الانكليزية: (thesis) أو الفرنسية (thèse) يكتبه الطالب في سنته المنتهية ويكون شرطاً في منحه الدرجة العلمية (الليسانس أو البكالوريوس). ولا بد من أن يكون هذا البحث أوسع من سابقه وأن يكون الحساب فيه أشد، وتبلغ عدد صفحاته الخمسين أو تزيد - والمعقول الا تزيد كثيراً حرصاً على النوع.

ويبدو أن هذا تقليد يغلب أن تلجأ اليه هذه الكلية أو تلك الجامعة يوم يكون طلبتها معدودين، وليس لديها مرحلة علمية بعد مرحلة الليسانس، حتى اذا اتسعت الامور لم تر ضرورة اليه.

لقد كانت دار المعلمين العالية ببغداد تشترط رسالتين ثم تنازلت عن شرطها كاملاً، وكانت جامعة دمشق تشترط رسالة ثم أقلعت، على أنه بقي في عدد من جامعات العالم ومنها الجامعات السوفييتية.

٣ - ويمكن أن يطلب بحث (أو بحوث) مقدمة لمرحلة تلي مرحلة الليسانس أو مرحلة متممة لها. ويقع ذلك في الغالب من أجل تدريب الطلبة الذين لم يدلوا على علم بالبحث ومنهجة أو من أجل الاطمئنان الى قدراتهم، أو استكمال نواقصهم السابقة في مواد الدرس أو التقدير الذي حصلوا عليه، أو في سنة تحضيرية تشترطها جامعة من الجامعات قبل البدء بالمرحلة الجديدة.

ويتوقف حجم البحث على الموضوع المقترح. فقد يكون عشر صفحات وقد يزيد. وقد يكون ما بين الـ ٢٠ - ٣٠ طولاً معقولاً.

وليست المسألة هنا مسألة الطول قدر ما هي مسألة الحساب الدقيق، لأن الاستاذ يفترض أن الطالب الماثل ازاءه قد تعدى الطور البدائي وأنه سيؤتمن على عمل ضخم وخطير.

٤ - الدبلوم والماجستير. والدبلوم (diplôme =) diploma) في ابسط تعريفاته شهادة للتخصص في دراسة ما. وقد تمنح هذه الشهادة بعد درس وامتحان في مرحلة تأتي بعد الليسانس، وقد تمنح دون علاقة بالليسانس وشرط الشهادة العالية. وقد تمنح

بعد بحث معين أو بحثين معينين لتكون شهادة محدودة الدلالة في الدراسات العليا أو لتكون المرحلة التي تسبق الدكتوراه.

ويمكن أن تبلغ صفحات هذا البحث الـ ٢٠٠ (وتقل أو تزيد قليلاً) ويمكن أن تسمى في هذه الحالة رسالة.

أما الماجستير (أو الماستر master) فهو مرحلة لدرجة عالية بعد البكالوريوس يقتضي بحسب غالب الانظمة - فيما يقتضي - تأليف رسالة في حدود الـ ٢٠٠ صفحة (وقد تزيد، وقد تعد هذه الرسالة نفسها رسالة الدكتوراه اذا دل فيها صاحبها على تفوق - كما هو الشأن في النظام الانكليزي).

ونشترط بعض الجامعات كما في العراق ومصر - قبل البدء بتحضير الماجستير، سنة تحضيرية في دراسة مواد متخصصة جداً[١].

وتكون كلمة دبلوم أخص بشهادات المعاهد من الماجستير. ومع هذا ولهذا - فان معهد الدراسات العالية بالجامعة العربية يسمي شهادته: ماجستير[٢].

٥ - الدكتوراه (ويفضل بعضهم كتابتها: الدكتوراة) (Ph.D doctorate (= doctorat)) وهي - عادة - أعلى الشهادات الجامعية، ومعنى هذا افتراض الشدة في الطلب والدقة في الحساب. ويسمى البحث (thesis (= thèse)) ويترجم الى العربية بالرسالة أو الاطروحة، وقد غلبت الكلمة الثانية على بحوث الدكتوراه حيناً، وما زالت، ولكنها في تضاؤل كأن لفظة الرسالة اسهل على اللسان والأذن.

وليس صحيحاً أن ينصرف الفهم في هذه المرحلة الى ضخامة البحث، فيتصور المتصور من الطلبة (والاساتذة أحياناً) أن الدكتوراه - لأنها الدكتوراه تعني العدد العديد من الصفحات ٥٠٠، ٧٥٠، ١٠٠٠ (أو يزيد) كأن المسألة مسألة كم. ان استاذا ماهراً في منهج البحث يضحك بك اذا زدت في المساحة.

وقد تخسر ثقته بك وبعقليتك وبالجامعة التي تخرجت فيها، ان ٢٥٠ صفحة

---

(١) وتشترط الجامعة التونسية لنيل الكفاءة في البحث رسالة محدودة النطاق. مالت إلى تطبيق البنيوية (الهيكلية) على عدد من بحوثها، ومن ذلك كتابان صدرا مؤخراً: الأول بعنوان البنية القصصية في رسالة الغفران لحسين الواد، والثاني بعنوان البنية الهيكلية والاجتماعية في حديث عيسى بن هشام لمحمد رشيد ثابت.

(٢) أصل الـ(Master) في الانكليزية الحديثة الـ(magester) في الانكليزية القديمة وهذه أصلها اللاتيني (mogister).

٣٠٠، ٣٥٠ حجم مناسب جداً، والعبرة قبل ذلك في عمق البحث والتزامك الأصول... ورصه ووحدته.

ومن الجامعات ما تمنح الدكتوراه بعد الماجستير (الماستر)[1] على رسالة واحدة خاصة بالمرحلة. وعلى هذا تجري الجامعات المصرية مثلاً. أما الجامعات الاميركية فتشترط دروساً خاصة، وجرت على هذا جامعة بغداد. ومن الجامعات ما لا يشترط دراسة بين الليسانس والدكتوراه ولكنها تجعل الدكتوراه لقاء ذلك على نوعين:

١ - دكتوراه جامعة وتقتضي مدة (لا تقل عن سنتين) في تحضير رسالة محدودة (١٥٠ صفحة أو يزيد).

٢ - دكتوراه الدولة وتقتضي رسالتين: واحدة رئيسة (في حدود الـ ٣٥٠ صفحة)، وثانية ثانوية (يفضل فيها أن تكون تحقيقاً لمخطوطة تحقيقاً علمياً).

وكان هذا هو النظام المتبع في فرنسا - في الدراسات الأدبية - الى وقت قريب، الا أنها غيرت وعدلت فيه الى درجة التعقيد (وقد قسمت جامعة باريس بهذا النظام الى عدة جامعات (١٤ جامعة) منها جامعة السوربون الجديدة.

وخلاصة ما يقال بشأن النظام الجامعي الجديد، أن فيه الدرجات الآتية:

١ - الليسانس la licence

٢ - المتريز la maitrise

٣ - الدكتوراه le doctorat

يشترط للحصول على الليسانس عدد معين من الوحدات (٢٤، مثلاً، بمعدل ٣ ساعات للوحدة) (unité de valeur) لا يستطيع أن يحصل عليها الطالب في أقل من ثلاث سنوات

فاذا كان نابها جاداً منصرفاً للدرس واثقاً من نفسه، وحصل على عدد عال (١٦) من الوحدات خلال سنتين أمكن منحه الدُبل (D.U.E.L. DUEL) وهو اختصار «لدبلوم جامعي للدراسات الأدبية».
(diplôme universitaire d'études littéraires)

ويطلق على الدراسة في مرحلة الليسانس والديل اسم الدائرة الأولى من الدراسات

---

(١) وتستعمل (thesis) للماجستير أيضاً.

الجامعية (le premier cycle) وتعد الليسانس والدبل الى الحصول على شهادة المتريز ؛ ويحصل حامل الليسانس على المتريز بسنة واحدة يقوم خلالها بكتابة بحث (un mémoire) وينجح في دراسة مجموعتين من المواد ينال بهما شهادتين (certificats).

ويحصل حامل الدبل على المتريز بسنتين، والمتريز هذا نوعان ، نوع لا يقتضي بحثاً من الطالب وانما يحصل عليها بعد أن ينجح في اربع مجموعات من ينال بها أربع شهادات (certificats) ، ونوع - وهو ما يعرف بالمتريز المتخصصة (spécialisée) يقتضي بحثاً (mémoire) يستلزم عمل أحد عشر شهراً والنجاح في مجموعتين من المواد ينال بهما شهادتين.

ويطلق على الدراسة في مرحلة المتريز هذه اسم الدائرة الثانية (le deuxième cycle).

تعد الليسانس ومتريزها ذات السنة الواحدة الى شهادات عليا كالتبريز (agrégation) والدكتوراوات (doctorats) ، وتعد المتريز ذات السنتين بعد الدبل الى الدكتوراوات فقط.

والدكتوراه على ثلاثة أنواع :

١ - دكتوراه الجامعة (doctorat d'université) وهي بموجب النظام الجديد لا تمنح الا للاجانب ، وتقتضي رسالة (thèse) غير مطبوعة (inédite) وامتحاناً شفهياً. تجري المناقشة (la soutonance) لجنة (un jury) من ثلاثة أعضاء.

٢ - دكتوراه الدائرة الثالثة (doctorat de 3e cycle) ويمكن أن يتقدم عليها حاملو (les titulaires) المتريز (أو ما يعادلها). وعلى الطالب أن يتفق مع استاذ مشرف على موضوعه وأن يؤدي قبل نهاية السنة الأولى امتحاناً يتألف من تقرير (un rapport de travail) قام به واختبار شفهي ، ولا تناقش الرسالة قبل نهاية العام الثاني.

٣ - دكتوراه الدولة (doctorat d'état) وتمنح للطالب بعد اعداد رسالة ونجاحه في مناقشتها (أو بعد نجاحه في مناقشة مجموعة أبحاث أصيلة من طراز عال) ويشترط ذلك مدة لا تقل عن خمس سنوات.

ودكتوراه الدولة شرط في مزاولة التعليم العالي. ويطلق على الدراسة في مرحلة الدكتوراه اسم الدائرة الثالثة (le troisième cycle)[1].

أما النظام الانكليزي فقد رأينا الغالب فيه أن يسجل الطالب باسم الماستر حتى اذا اقتنع أستاذه بجدارة بحثه لما هو أعلى من المرحلة التي سجل عليها رشح بحثه للدكتوراه. وهناك نوع من الدكتوراه بعد الدكتوراه ويرمز لدرجته بـ (D. Litt).

هذه خطوط عامة للدرجات العلمية والبحوث المرتبطة بها. ويستطيع الطالب أن يستزيد علماً بنظم جامعة من الجامعات بالاطلاع على دليل تلك الجامعة. (guide de l'étudiant أو livret de l'étudiant)

وقد يكون حصوله على نسخة من الدليل وكتاب أنموذجي من كتب منهج البحث الأدبي المعترف بها من أولى الخطوات التي يجب أن يتوافر عليها.

علماً أن جامعات العالم ليست على مستوى واحد من المتانة، ومنها ما يمكن أن تمنح الدرجة في يسر وعلى بحث لا يؤهل صاحبه في جامعة أخرى لدرجة، وأكثر ما يقع هذا التفاوت في الجامعات الاميركية، ومن الدول - ومنها العراق، ما لا يعترف الا بالشهادة التي تمنحها جامعات معروفة لديها بالقوة والامانة.

وفي البلاد الغربية من يتساهل مع عدد من الطلاب الاجانب لغاية في نفسهم وفي رأس هذه الغاية الطمع في أن يكون الدكتور الجديد الى جانبهم اذا ما عاد الى بلاده واحتل منصباً مرموقاً.

وتبقى المسألة - بعد كل ما قيل ويقال - مسألة تتوقف بالدرجة الأولى على جهد الطالب وثقافته وعقليته واخلاصه. فرب بحث عال صدر عن جامعة غير عالية، وقد يحدث العكس. وما كل حملة الدكتوراه في مستوى واحد شأنهم في ذلك شأن طلاب في صف واحد من سني أية دراسة.

ملاحظات:

١ - كثير من الدرجات (degrees (= grades)) لدى الغربيين من أصل اغريقي أو لاتيني ثم تبناها الاستعمال الديني فكانت من مصطلحات الكنيسة ورجالها.

---

(١) وقد اعتمدنا هذا الدليل لدى الكلام على النظام الفرنسي - علماً ان جدة هذا النظام تستدعي التعديل والتبديل.

فالليسانس (licence) تعني في الأصل الاجازة (permission) التي تمنح صاحبها حق أن يكون محامياً أو معلماً... ثم أطلقت على السنتين اللتين يمضيهما خريج الدراسة الثانوية في دراسة اللاهوت (théologie) قبل أن يقبل للدكتوراه (doctorat) على مقاعد الدرس.

والدكتور - في الأصل هوبالذي يعلم علناً، وأطلقه اليهود على الرباني (أو الحاخام) العالم بالشريعة، وأطلقه المسيحيون على الذي يفسر الكتب المقدسة. ودخل اللقب الجامعات لأول مرة بجامعة بولونيا (Pologna) في ايطالية في القرن الثاني عشر، ثم تبعتها جامعة باريس - بعد قليل.

وفي عام ١٣٤٠ جُعلت جامعة باريس أربع كليات هي: اللاهوت، القانون، الطب، الفنون (أي الآداب والعلوم) وبقي اللقب في الكليات الثلاث الأولى دون الفنون. ولا يمنح الا بعد دراسة صعبة قاسية تستغرق ما بين الـ ٨ - ١٤ سنة تعقبها مناقشة علنية يحصل الطالب على أثر نجاحه فيها الدرجة - شعار الدكتوراه - وهي الجبة (الروب) (la robe) والخاتم (l'ânneau) والقبعة المربعة (le bonnet carré).

ولم يسمح لكلية الفنون (الآداب والعلوم) بلقب الدكتور الا بعد الثورة الفرنسية، بموجب مرسوم ١٧ مارس سنة ١٨٠٨، الذي نص على نظام جديد للدكتوراه تمنح بمقتضاه في كلية الآداب والعلوم والقانون والطب. ثم الغت الجامعة كلية اللاهوت سنة ١٨٨٥.

وليلاحظ أن الرسالة أو الاطروحة (la thèse) لم تكن في الأصل لتعني ما تعنيه اليوم؛ فقد بقيت حتى أواخر القرن التاسع عشر تمريناً شفهياً أشبه بالمناظرة بين الطالب وممتحنيه. كان على الطالب المتقدم الى الدكتوراه أن يجيب علناً (أمام جمهور من الحاضرين) عن قضية معينة يطلب اليه الحديث عنها وأن يدافع عن رأيه وأن يرد الاعتراضات التي توجهها اليه اللجنة الممتحنة. أي أنها لم تكن لتعني تأليف كتاب يعتمد موضوعه مصادر كثيرة.

٢ - أول لقب علمي يعد لدراسة أعلى في النظام الانكليزي الـ (bachelor) والـ (bachelor) نوعان: في العلوم (bachelor of sciences) ويرمز لها اختصاراً بـ (B. Se)، وفي الآداب (bachelor of arts) ويرمز لها اختصار (B.A) و(arts) هذه التي تعني هنا الآداب

تعني أيضاً- في مكان آخر يتوطد أزيد وأزيد على مر الزمن - الفنون. ومن هنا وجدنا من العرب من يترجمها بكلوريوس في الفنون؛ وهذه ترجمة حرفية ليست بذات دلالة عندنا بل انها تؤدي الى الاضطراب ويذهب معها الظن الى الفنون الفنون، والأولى أن تكون الترجمة بكالوريوس في الآداب.

أما لدى الفرنسيين فالـ (licence) (وحاملها (licencé) وهي للعلوم... والآداب.

ويلي لقب الـ (bachelor) في النظام الانكليزي الـ (master) (الماجستير) وهي نوعان: للعلوم (master of sciences) ويرمز لها اختصاراً (M. Sc.) وللآداب (master of arts) ويرمز لها اختصاراً (M.A.) والوقوع في ترجمتها الحرفية أي أستاذ في الفنون أكثر وأشنع، لأن «الاستاذ» هذه تذهب لدينا الى عملية الاستاذية أي مزاولة التدريس في الجامعة والحصول على لقب استاذ بعد تدرج من المدرس الى الاستاذ المساعد... وهذا ما لا يذهب اليه ظن الانكليزي عندما يقرأ: (M.A.)

وتلي الماستر (الماجستير) في النظام الانكليزي الدكتوراه: (doctorate) (وحاملها دكتور (doctor) والدكتـــوراه هذه واحدة للعلوم والآداب ومختلف أنواع المعرفة والتخصص ووصفها الوحيد انها في الفلسفة (doctorate of philosophy) ويرمز لها أختصاراً (Ph.D.). وكثيراً ما نترجمها بـدكتوراه في الفلسفة، وفلان دكتور في الفلسفة، نطلقها على الدكتور في الطب وفي علم الحيوان... والآداب... والفلسفة... فيسبب لنا ذلك اضطراباً في الدلالة فنحسب الـ (p.h.d.) في الطب دكتوراه في الفلسفة، وكذلك الدكتوراه في التربية وفي الآداب... مما يجعل المستحسن أن نفك المصطلح الى دلالته الجزئية... فاذا كان حامل الـ (p.h.d.) في الطب قلنا دكتوراه في الطب واذا كان يحملها في القانون قلنا: دكتوراه في القانون، واذا كان يحملها في الآداب قلنا: دكتوراه في الآداب.

أما الفرنسيون فيفرقون في الدكتوراه منذ البداية الى علوم وآداب، ثم أن الدكتوراه نفسها على درجات - كما رأينا - جامعية، والدائرة الثالثة ودولة.

وللانكليز نوع آخر من الدكتوراه منها ما هو خاص بالعلوم ويرمز له بـ (D. Sc.)، ومنها ما هو خاص بالآداب ويرمزون له بـ (D. Lit.) وهذه الدكتواراه تمنح «تشريفا» بعد الدكتوراه السابقة (الدراسية) للباحثين الكبار الذين

يحققون اصالة واستمراراً – ومن هنا حسن ان نترجمها بدكتوراه شرف في العلوم... ودكتوراه شرف في الآداب.

٣ – وفي تاريخ التعليم الاسلامي مصطلحات وألقاب علمية لم يكتب لها أن تتطور فتدخل الحياة التعليمية الحديثة فتصبح الليسانس – مثلاً: الاجازة، ويصبح الدكتور: الفقية أو العلامة... وانما أخذنا الالقاب الأوربية كما وصلت هناك في آخر أطوارها[١].

ونبقى المسألة – بعد ذلك وقبله – مسألة المعنى والجوهر.. والحرص على ايفاء اللقب حقه من الجد والجهد والذكاء والشخصية، وصيانته من الابتذال ومواضع السخرية. ويتحمل المسؤولية في ذلك الغرب والشرق على حد سواء.

فلتكن للالقاب حرمتها، ولنسهر نحن – الباحثين وطالبي البحث – على رعاية كرامتها.

٤ – ان فرنسة لا تميل كثيراً الى أن تقيم العمل الصفي على الرجوع الى المصادر العديدة والعودة منها بمعلومات وحواش في صفحات كثيرة؛ وانما تميل الى تربية الجانب العقلي للطالب وتوجيهه نحو المنهج السليم في فهم موضوع أدبي والاعراب عن فهمه وما كون عنه من آراء في خطة متماسكة. ولذلك فهي تختار من الموضوعات التي تلقيها عليه ما يستثير أفكاره ويستنهض شخصيته ويدل على مقدرته «الانشائية» كأن يطلب اليه رأيه في مسرحية أو قصة أو قصيدة؛ وموقفه من نظرة نقدية أو حدث تاريخي أو مشكلة لغوية أو قول متداول، وحكم سابق، وكثيراً ما تضع الطالب ازاء نص من شعر أو نثر وتطلب اليه أن يتحدث عنه حديث المدرك المفكر.

والمهم في كل ذلك السعي الى تنمية مقدرة الطالب على تنظيم افكاره وعرضها واضحة دقيقة والسير بها متراصة متماسكة الاجزاء من دون سخف أو اضطراب، وتقديمها بلغة سليمة – جميلة أحياناً، كأنهم يعدونه بذلك الى الحياة والى المراحل القابلة ومنها مرحلة البحث العلمي الذي يقوم على المصادر ولا يعني البحث على أي حال اهمال الجانب العقلي، كما أن العناية بالجانب العقلي لا تستغني عنه المادة العلمية.

---

(١) كأننا نرى في الالقاب الغربية دلالة الرقي والمدنية، وبلغنا في ذلك أن تخلى علماء الأزهر وشيوخه عن القابهم فصاروا دكاترة.

وأهم المصطلحات المستعملة هي :

le mémoire, la dissertation, l'essai, l'exposé

ولا غرو ان كانت العناية بهذا الفن تبدأ في مرحلة الدراسة الثانوية، وانك تجد في الأسواق عدداً لا بأس به من الكتب التي تعلم الـ (dissertation) وما اليها، وقلما نجد كتاباً في تعليم البحث (la recherche

وقد تنفعنا هذه الملاحظة في أمرين :

الأول : ألا نبالغ في محاسبة طلبتنا بشأن البحث العلمي القائم على المصادر والحواشي، وأن تكون أهم غاياتنا فيه تزويد الطلبة بالمنهاج العام في حدود مستطاعهم وقد رأينا شيئاً من ذلك.

الثاني : أن نعنى بالجانب الفكري للطلبة وما يعينهم على عرض رأيهم سليماً بلغة سليمة، فنسعى الى ايجاد درس جديد باسم «المقال» ترجمة لكلمة (essai) ليكون ضرباً من الـ (dissertation)[1] وليؤيد درس البحث (recherche) كأننا نريد به الى «المقال الفكري».

والمناسب في موضوعات درس المقال أن تكون قوية تهز الطالب وتستثيره على الكلام إيجاباً أو سلباً بما له علم سابق أو بما هو في متناول افقه الفكري، على ألّا يلقي الاحكام جزافاً والآراء مشتتة، لأن الدرس يقتضي أن يقف الطالب ازاء الموضوع فاحصاً متأملاً لكي يفهم اجزاءه ويحدّد صميمه ويقرّر موقفه منه وموقف المؤيدين والمعارضين-كما لو كان في مناظرة يبغي بها الحقيقة- ويبيّن الأدلة والشواهد التي تمنحه المتانة والرصانة فيرسم لذلك -وبذلك- خطة متماسكة تقرر طريقه من البدء إلى الانتهاء، حتى اذا شرع يكتب -أو يتحدث- كان قد سيطر على المادة وتمكن من عرضها بلغة تجمع بين الوضوح والجمال.

---

(١) وقد يكون اللبنانيون أكثر من غيرهم ادراكاً لضرورة الـ (dissertation) المقال الفكري بحكم صلتهم بالثقافة الفرنسية وما يمكن أن يرتبط بذلك من عدم وجود كتاب مقرر للأدب ومن طبيعة أسئلتهم في الامتحانات.

ان الاسئلة الفكرية ضرب من «المقال الفكري»، لأن السؤال-اذا كان قائماً على حكم أو قول أو نص-يضعك وجهاً لوجه ازاء قضية ويستبرك الى ان تستثمر شخصيتك كاملة.

ينظر كتاب «الجديد في البحث الأدبي»، لحنا الفاخوري، بيروت. منشورات مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني. د.ت.

ونذكر من الموضوعات الصالحة للمقال: الأدب حاجة انسانية. الشعر ديوان العرب. السجع لعب لفظي. عمود الشعر. القديم والجديد. الشعر الشعبي. الشعر في النثر. عندما تصير القصة فلما. قصيدة قرأتها. مسرحية شهدتها. العقل يخرج الشعر عن طبيعته. وقفة تحليلية ازاء نص أدبي. حاجتنا إلى الأخذ عن الغرب. موقفنا من تراثنا الأدبي. مضى عهد الخطابة. قال المعري: أنا وأبو تمام حكيمان والشاعر البحتري. قال البحتري وقد سئل عن أبي تمام: جيده خير من جيدي ورديئي خير من رديئه. الاوبرا ترف ما بنا حاجة إليه...

ان «المقال الفكري» هذا اذ يربي في الطلبة القدرة على التفكير وتنظيم الافكار وحسن عرضها وقوة الشخصية، يعدهم اعداداً جيداً للبحث نفسه، لأنهم - لدى اعداد بحوثهم غداً - يلاقون مثل هذه الاحكام والنصوص وعليهم أن يقفوا عندها - في غضون رسالتهم - وقفات خاصة للمناقشة أو التحليل.

الفصل الثاني

الباحـــث

اذا درست باحثاً معدوداً في أخلاقه وآثاره رأيت فيه صفات خاصة : فطرية ومكتسبة ، خلقية ومهنية. واذا نظرت إلى هذه الصفات وجدتها كثيرة ، ووجدت فيها ما يشارك به المختصين الآخرين في كل حقل من ذكاء وعلم وثقافة عامة وخاصة وتجربة وما إلى ذلك ، ومن اخلاص وامانة وما اليها ؛ ومنها ما يشارك به غيره ، ولكنها لديه ذات دلالة مرتبطة بعمله الخاص ، ومنها ما يجب ان يتفرد به بحكم «البحث».

ويمكن أن نوجز أهم شروط الباحث بما يأتي :

الرغبة وهي شرط للنجاح في كل عمل ، وشرط في البحث ، فاذا فرض عليك البحث فرضا ضقت ذرعا وكنت كالمضطهد. ويصعب في هذه الحال ان ينجلي ليلك عن نهار. أما اذا كنت راغباً في ان تبحث ، أنست بعملك ولازمتك خلاله نشوة فبذلت بسبب ذلك الجهد واستهنت بالوقت ولم يشغلك شاغل.

ولا يعني هذا حجة رخيصة يتوسل بها الطالب الذي يؤثر الراحة ، فقد يحسب امرؤ انه غير راغب على التوهم ، أما اذا بدأ وسار قليلاً فانه يكتشف حقيقته فيحس بمتعة البحث ويسير ويسير.

انك في الصفوف المتقدمة من الثانوية وفي مرحلة «الليسانس» أو (البكالوريوس) في دور التجربة ، ولا بد من ان تقبل على البحث وتحمل عليه نفسك ، أول الأمر في الاقل.

ثم ان قلة الرغبة لا تكون سببا وجيها للانصراف عن البحث ، لانه أمر لا بد منه. أما التوفيق فيه ودرجة هذا التوفيق فذلك ما يقدره الأستاذ (وبقدر معه ظروفك).

وطريق البحث طويلة شاقة ، ومثل هذه الطريق لا تقطع بالرغبة وحدها. وما أكثر الراغبين الذين ينكصون منذ البدء ، فقد تكون الرغبة الظاهرة نزوة عابرة يجهل صاحبها

كنهها. ومن هنا وجب أن يصحب الرغبة الصبر على المكاره والثبات إزاء المعوقات والمثبطات، والمثابرة وبذل الوقت دون تأفف أو تذمر - في الجمع والمناقشة والتأمل. وقد تنتهي وقفة طويلة إلى ما لم يرد باحث فتذهب جهوده هباء أو كالهباء. فاذا كان صبوراً جدد عزمه وبدأ مجدداً... وهكذا، حتى لقد بالغ بعضهم فقال: البحث صبر.

ويقترن بالصبر التتبع وحب الاطلاع على ما قيل ويقال وكتب ويكتب وصدر ويصدر، والارتياح للاقامة في دور الكتب مراجعاً هذا الكتاب و «متصفحاً» ذاك، ومقتبساً ملاحظة من ذلك، لان البحث لا يعتمد عدداً محدوداً من مشهور المصادر، وانما لا بد من الرجوع إلى كتب أخرى تبدو أقل أهمية ولكنك قد تجد في زواياها ما يمكن ان يجلو غامضاً أو ان يفتح بابا أو ان يسد طريقاً على آخرين.

ثم ان البحث لا يحد في ميدان واحد، وانما هو متشابك مع الميادين الأخرى. يعطيها ويأخذ منها. فلا تقل أن حقلي الأدب ولا يهمني التاريخ، ولا تمت إلي الجغرافية بسبب، أو ان بحثي حديث فلا حاجة لي بالماضي القريب أو البعيد.

يقرأ الباحث كل شيء... بما في ذلك المجلات والدوريات والفهارس... ويستمتع بما يقرأ، ويقتبس من ذلك ما يتصل بموضوعه.

من الناس من يحسب أن البحث لا يقتضي من العلم الا ما اتصل بالموضوع مباشرة، وهذا خطأ يجر صاحبه إلى ضيق الأفق وجفاف المادة، والصحيح أن يكون الباحث ملماً بأمور كثيرة وعارفاً بكل ما يتصل بالمادة من بعيد ليكتسب السعة وليسير في ثقة، والقراءة الكثيرة لا تعني شيئاً كثيراً مالم يبقَ الأساس من المادة في الحافظة، ويبقى معه أسم الكتاب واسم المؤلف وأمور أخرى تتصل بالاعلام والاحداث والسنوات... ونصوص الاقوال.

والحافظة هذه لا تجدي كثيرا ما لم تؤيدها ذاكرة تمد الباحث بمخزون الحافظة في الوقت المناسب ليستشهد به ويستعرضه ويعود إليه. ولا خير يرتجى بأن تذكرها متقطعة، لان الشرط في الامر ان يربط الباحث بين الاجزاء المتباعدة ويصل ما قرأه اليوم بما قرأه أمس، ويجمع بين ما رآه في كتاب قديم وما رآه في كتاب جديد... وهكذا يستكمل كثير من العناصر.

وقد تتوافر هذه الشرائط في امرىء على القدر المطلوب، ولكنه اذا تولى البحث قدم مادته مرتبكة لم يميز فيها الأهم من المهم من التافه، ولا ما من شأنه أن يهمل وما

من شأنه أن يقدم أو يؤخر... كأن شيئاً يعوزه، واذا نظرت ملياً رأيت هذا الذي يعوزه هو المقدرة التنظيمية، مقدرة المهندس الحاذق.

ان العلم بالشيء وحده لا يكوِّن باحثاً بالمعنى الحديث. وقد يكون المرء علامة في الأدب: أعلامه، عصوره، شعره، نثره، مصادره؛ وفي اللغة نحوها، صرفها، فقهها، تاريخها... ولكن ذلك لا يعني حتما انه يستطيع ان يكتب بحثا منهجياً، ولا ينفعه مع علمه ما له من صبر وتتبع وحافظة، وأنه زاول البحث مراراً. انه يبقى حيث هو.

والسبب معروف، ذلك ان المقدرة على التنظيم أمر لا يستهان به ولا يستغنى عنه، وما كل امرئ يستطيع تبويب المادة وتوحيد أجزائها ووضع كل منها في مكانه اللائق بقدره المناسب—بعد طرد ما هو تافه وخارج عن الصدد.

انك الآن تبني وتكوِّن من موادك الخام عمارة، ولا بد من ان تكون مهندساً بارعاً ليجيء عملك متناسقاً مترابطاً متكاملاً من دون زيادة هنا أو نقصان هناك ومن دون اضطراب أو تفكك أو رخص في الربط.

البحث المنهجي عمل تركيبي لا يستغنى فيه عن الخيال...

° ° °

ان المرء بجمعه المادة والصبر على الجمع... وهندسة تقديم المادة... يستطيع ان يقدم شيئاً له مظهر البحث، وهيكله بمنأى عن الروح التي تهبه القوة والشخصية والحياة بمعنى أن هناك شروطاً أخرى قد تختلف طبيعة مع ما رأينا ولا بد منها للتكامل.

ومن هذه الشروط: الشك والتثبت. وكثيراً ما يقال «سوء الظن من حسن الفطن»، والقول ثمرة لتجارب طويلة في خضم الحياة، وليس البحث بمنفصل عن خضم الحياة، فا أولانا، اذاً، أن نأخذ به ونحن ندرس الحياة ونستعيدها ونستشرفها.

أجل، نقرأ كثيراً، ونسمع كثيراً.... على الا نقبل كل ما يقدم الينا في يسر، دون نظر، ودون تقليب على الوجوه، بل دون ممانعة وشك في صحة ما نسمع أو نرى أو نقرأ؛ فقد تخدعنا النظرة الأولى وقد يغشى بصرنا بهرج ويلوي ببصيرتنا هوى، وكثيرا ما علمتنا الحياة ان لوجه وجها و «لعل له عذراً وأنت تلوم».

نقرأ الخبر مرة كما هو، ومرة على أسوأ مما نراه عليه، ومرة على أحسن، وفي كل وقفة نطيل التأمل مناقشين ما له وما عليه حتى نبلغ ما نطمئن اليه.

هذا شك من دون سوء في القصد، شك نقاد، بناء، لأنه يبغي وجه الحقيقة ولا يقوم على المماحكة أو المغالبة أو المرض النفسي. ومن هنا كانت ضرورته، وكانت جدواه. ويمكننا أن نسميه شكا علميا.

والشك العلمي مظهر حضاري لم يصل اليه الانسان الا بعد أن قطع أشواطاً من المعرفة وسار طويلاً في تاريخ العقل. أما رأيته عند الاغريق أما قرأت بعضاً مما اشترطه الباحثون العرب أما قرأت بعضا مما رواه الجاحظ. وأمر الفيلسوف الفرنسي «ديكارت» مشهور، ولا غرو ان كان هذا الفيلسوف مؤلف «مقالة في المنهج». وللشك في دنيا العلم الصرف مكانه المرموق. وقد رأيت كيف أوصانا لانسون أن نأخذ من المناهج العلمية الحذر، وأن نكون أقل استسلاماً لأهوائنا وأقل تسرعا إلى الجزم وأكثر استعصاء على التصديق.

الشك ضروري على أن يكون علمياً وفي حدود الحقيقة، وأن يقع في السلب والايجاب، وفيما لنا وما علينا. أما الشك المرضي أو الشك الذي تدفعك اليه نزوة في مخالفة المألوف وخيانة توجه بها الباطل وتخرب الحق، الشك الذي صار فيك سوء ظن نتيجة تجارب مرة خاصة بك فجعلت منك «شكاكاً» على صيغة المبالغة وشكوكياً أو ظنونياً كما في الاستعمال الدارج لها... فهو خارج حدودنا وليس من وكدنا.

نفهم المادة التي إزاءها كما هي في معناها القريب ثم نبتعد قليلا قليلا حتى نصل إلى أبعد ما يمكن، فاذا وصلنا شككنا في صحة ما بأيدينا، وانها هكذا وصلت، وأنها.. وأنها.. ونجمع الأدلة الذكية اللبقة فاذا ثبتت لنا صحة الشك وبان الزيغ والضلال في المادة المدروسة نبذناها، والا وثقنا بها واعتمدناها.

ان الشك المناسب ضروري وهو دليل صحة في العقل الفلسفي. والعقل الفلسفي (وسمه أن شئت الذهن الفلسفي، أو الافق الواسع، أو العقلية أو الذهنية) شرط في عمق البحث وسعة جوّه، وهو ثمرة للذكاء والتجربة والملاحظة الواعية، ينفذ به المرء إلى الاسرار ويحيط بالاجزاء.

واذا ألمَّ الباحث بالفلسفة وأخذ قدراً صالحاً مما هو عام بالكون أو خاص بالتاريخ والجمال كان أبعد نظراً وأقدر على الفهم والتفسير، لأنها تزوده–مع مكونات عقليته الأخرى–بنظرة شاملة ووجهة نظر علمية، وتجعله هذه النظرة–اذا كانت بناءة–أكثر جداً في أمره وأكثر حرصاً على الخروج بنتائج ذات بال وتدله على ما لا يحتمل أن يتنبه اليه لو واجه الأمور فطرياً. واذ تلفت الفلسفة نظره إلى التناقض تبعثه على تفسير الأشياء

بطبيعتها وظروفها وبما هناك من صلة بين الجزء والجزء والكل وعلاقة بين الاثر والمؤثر والادب والبيئة.

ويرى بعض الباحثين في المناهج ضرورة ان ينطلق الباحث عن ايمان بفلسفة معينة ويتخذ ذلك شرطاً أساساً لا يمكن التنازل عنه. ويرى آخرون في هذا تطرفا قد يخرج البحث عن ميدانه، فصحيح ان الالتزام بالفلسفة هذه يمكن أن يفتح الآفاق ويجنب صاحبه تكرار الخطأ ويجهزه بموقف ويبعده عن الخرافة وربط لاحداث بغير أسبابها... الا أن الذي يخشى - في هذه الحالة - أن تؤدي به هذه الفلسفة إلى خلاف ما هو مرجو منها فتقيده وتحدده وتضيق عالمه وتجعله ينظر إلى الاحداث المختلفة بمنظار واحد جاهز فلا ينطق - حينئذ - الا بما نطق به الآخرون فتضعف شخصيته ويقرب ان يكون نسخة مكررة عن غيره... هذا إلى ما يمكن ان يقع فيه هو نفسه من تناقض بين السبب والنتيجة والقول والفعل.

ومن هنا احتجنا إلى التحذير واكتفينا من الفلسفة بالثقافة الفلسفية والعقل الفلسفي... وبالنظرة الانسانية إلى ما هو في الماضي والحاضر والمستقبل وإلى ما هو أبعد أثرا وأطول دواماً... لاننا بقدر ما نطالب بالفلسفة وبالشك نطالب بألا يجور ذلك على شرطين آخرين من شرائط البحث العلمي وهما: الانصاف والموضوعية.

والانصاف قرين العدل، والعدل يقتضي ان تتجرد من الهوى وان تنظر وتحكم بمقتضى الحقيقة.

وهو يعني الا تقبل على موضوعك بعصبية معينة له أو عليه فتجرفك الاهواء بعيداً عن صميم عملك وعن الحق الذي يشترط ان يكون رائدك؛ فليست البحوث أعمالا تقوم على العاطفة يشبع بها فلان نهمه أو يرضي فلان نزوته فيرفع من يريد ان يرفع ويخفض من يريد ان يخفض.

ان البحث أمر يتطلب الارادة، وقوة الارادة في ان يسيطر المرء على نفسه ويروضها ويرتفع بها عن مستوى الانتقام أو المغالطة أو النفاق أو التهريج... والكسب الحرام.

وعرف الغرب ثمرة لحضارته ونهضته العلمية صفة خاصة اشترطها في علمائه سماها «الموضوعية» (objectivity (objeotivite =)) وهذا الخلق مما يتصف به الكيمياوي والفيزياوي ومن اليهما. وهو في هذين الميدانين سهل لان المرء فيهما يتعامل مع مواد جامدة في محيط منعزل. هو المختبر وما أشبهه؛ أما في غير هذين الميدانين

من الميادين الأخرى فهو صعب لما في النفس الانسانية من أهواء او لما تخضع له هذه النفس من عادات وتقاليد ومعتقدات ومصالح، ولما يكتنفها من رواسب. ولكن، مع هذا، لا بد للباحث من أن يكون موضوعياً وأن يسمو بنفسه عن أن تضعف ازاء هذا الغرض أو ذلك العرض، لان الحقيقة أكبر، وقد جاءت الموضوعية ضداً للذاتية (subjectivity) (subjectivité) أو حداً من طغيانها في الأقل.

وقديما اشترط العرب العدل في المحدث وفي الراوي وفي المؤرخ كما اشترطوه في الحاكم والشاهد.

ومما يتصل بالانصاف والموضوعية: الامانة... والضمير. والامانة ان تنقل رأي غيرك في دقة وتنسبه إلى صاحبه فلا تشوهه اذا لم يعجبك ولا تزوقه اذا أعجبك ولا تسرقه ان رأيته صالحاً فتكون بذلك كأي سارق يصدر عن دناءة، ولا ينجو من عقاب عاجل أو آجل. ولا ينفعك ان تتصرف برأي غيرك أو ان تغير صياغته ثم تدعيه لان ذلك إن يخف عليك وعلى آخرين فلن يخفى على الباحثين والناقدين.

والامانة شرط في فهم آراء الآخرين وشرط في مناقشتها، فلا تجعل المناقشة منافسة ومباراة ومغالبة ومحاولة الاتيان بجديد بكل سبب فتغالط وتلجأ إلى الكذب حينا والعبث بالنصوص حيناو «السفسطة» حينا، وإنما عليك ان تعرض آراء الآخرين وحججهم كما هي واضحة ثم تبدي آراءك، اذا كان لا بد من المناقشة.

لا تسرق رأيا ولا تسرق بحثا وان فعل ذلك آخرون، لان ذلك لا يشرفك، ولا يشرفنا.

ومن كان ذا ضمير كان أميناً وكان متأثماً وكان في نفسه شيء يمنعه من أن يسرق أو ان يعبث، ويعلم جيداً ان الأمانة خير من الخيانة والمغالطة وما يمكن ان يحقق عن طريقها من نصر عاجل و «درجة عالية»، واذا كان الذين يعرفون هذه البديهية كثيرين فان الذين يتحملون ثقلها ليسوا كثيرين لما تقتضي من ارادة وتضحية. والتضحية فيها تكاد تبلغ ما يتحمله الباحث في الجرأة.

والجرأة ان تقول عن الباطل انه باطل، وعن الحق انه حق، غير خائف أو وجل، ولا يهمك بعد ذلك من ينازعك من اعدائك أو يجتنبك من اصدقائك. وليس في البحث صديق أو عدو قدر ما فيه من حق وحقيقة.

يجر البحث أحياناً إلى نتائج خطيرة يطمئن اليها صاحبها تمام الاطمئنان لانه سار

اليها بمنهج قويم وقلب سليم ولكن أموراً تحول دون اذاعتها. فاذا رأى انه أضعف من ان يتحمل عواقبها طواها فاضاع فرصة على التاريخ وجهل الناس مكانه من البحث. أما اذا نشرها فانه يربح من جهة ويخسر من جهة اخرى - وكثيرا ما يحدث هذا في البلدان التي لا تمنح الباحثين حظاً مناسباً من حرية وفي المجتمعات التي لا تملك المرانة وسعة الافق ونضج الأعصاب.

وهناك موضوعات لا تزجك في مزالق شديدة لانها ليست ذات علاقة بمواطن الحساسية الاجتماعية ولكنها مع ذلك تقتضيك قدراً مناسباً من الشجاعة حتى لو بدت وكأنها من الأدب الصرف والمادة اللغوية. فقد يكون لشخصية أدبية أو لشخصية مهمة في ميدان البحث والنشر رأي، وقد تكون هذه الشخصية استاذك أو الاستاذ المشرف أو عضوا يحتمل ان يكون في لجنة المناقشة. فماذا تفعل؟.

الجرأة تحقق لك النجاح في منهج البحث وفي المجد الأدبي، ولكنها يمكن ان تفوّت عليك فرصة آنية للارتقاء المباشر في الحياة. فقد تحرم الدرجة العلمية، وقد... وقد تحرم الوظيفة التي تراها حقا لك.

عليك ان تعرف ذلك سابقاً لتقرر موقفك وترى مدى ما تطيق. وأعلى درجات الجرأة في البحث العلمي ان تكون صريحاً وان تضحي، ولكنها درجة عالية جداً ليست في متناول كل الباحثين، فان استطعتها فبها، والا فالانسب لك الا تلج بحثا لا تجرؤ ان تفرح بنتائجه.

واياك اياك - على أي حال - ان تخضع لضغط فتغير وتبدل بما يخالف الحقيقة والرأي السليم، واياك اياك ان يستهويك طمع أو ان يطوّح بك خوف فتغالط وتكذب وتصل إلى نتائج غير صحيحة بمقدمات غير صحيحة متخذا من الشكل الخارجي للبحث العلمي وسيلة لتغطية الباطل أو اظهاره مظهر الحق!

* * *

ان مجموع هذه الشروط من صبر... وعقل فلسفي... وجرأة وما يمت اليها لا تلتقي في سهولة أو قصد لدى كل طالب بحث فان اجتماعها نادر، ونادر جداً، ومن هنا نسمح لأنفسنا، اذ نوحدها بشرط واحد، أن نسميها ونسميه: الموهبة وان كانت هذه التسمية غير مألوفة ويراها أناس غير مشروعة لأننا ألفنا اطلاقها في ميادين محدودة معدودة هي الشعر والرسم والنحت... والموسيقى.

أما في النقد الأدبي فتتردد في اطلاقها كثيراً ، ويصعب عليك ان تقطع بالايجاب ، واذا قطعت وجدت أنصارك قليلين.

وأما في البحث فاذا سألت : هل يستطيع أي انسان ان يكون باحثاً كبيراً؟ جاءك الايجاب في الجوابِ سريعاً ، وكان المجيبون كثيرين ، وكثيرين جداً.

لماذا؟ لأن المفهوم الشائع عن الباحث سهل ، وان الباحث لم يحتل في المجتمع مكانة ذائعة صحيحة ، وان المعروف عن الباحث انه انسان يقرأ كثيراً ، يعلم كثيراً ، يلازم الكتب والمكتبات ، وينشر ويؤلف... الخ. وهذه أمور لا تعلو متوسط الأشياء، وهي مما يحصل بالصبر والمثابرة والابتعاد عن متع الحياة ، فهي ليست خارقة ولا ما يصعب على طالبه ، ولا أدل على ذلك من كثرة «الباحثين» بهذا المعنى ، وامكان كثرتهم.

ولكن ، ليس هذا هو البحث ، وان كان منه فهو شيء ضئيل ، وهو كالشعر الرديء. وهل يحتاج الشاعر الرديء إلى موهبة؟ لا.

البحث شيء أبعد مما يراه عامة الناس ، هو بحث وراء البحث. ان جمع المعلومات وضمها بعضها إلى بعض لا يكوِّن بحثاً ، لانك لو وجهت ثلاثين طالباً إلى موضوع واحد لحاؤوك – في هذه الحال – باجابة واحدة أو متقاربة أو بثلاثين اجابة متكررة وشبه متكررة. وليس البحث الحقيقي على هذا الشأن ، لانه قوة تتهيأ لفلان دون فلان ، وقد يوجد بين الثلاثين طالباً باحث واحد ، أو لا يوجد وقد يوجد في المئة... أو الالف... أو لا يوجد. انه روح وحياة وعقل ، انه شخصيته ، انه أسلوب ان شئت.

ان البحث الذي يعده الباحث الكبير لا يتهيأ لكل من يطلبه ، وان القارئ ليجد فيه أشياء غير المعلومات المجمعة من هنا وهناك على طريقة مألوفة وجادة مطروقة. ان القارئ ليشعر انه ازاء عمل ضخم وأثر عميق عملت على شده عوامل كثيرة منها ظاهرة معروفة كالصبر والمثابرة والجمع المنظم... ومنها غير منظورة لانها لا توجد الا في هذا الباحث الكبير. كانت فيه استعداداً فطريا من سماته الشك والميل الفلسفي... غذاه بالاكتساب والجهد.. حتى يؤتي أكله ويؤدي إلى هذه الثمرة اليانعة. ولم لا نسمي هذا الاستعداد : «موهبة»؟.

لو تولى باحثان كبيران موضوعاً واحداً سلكا اليه على مقتضى خطوات البحث العلمي التي أصبحت مقررة معروفة : الاختيار ، الخطة ، الجزازات ، التحرير... فان

البحثين لن يكونا نسخة واحدة حتى لو كانت النتائج واحدة أو متقاربة. انك في كل بحث إزاء شخصيتين محترمتين، ازاء اسلوبين، إزاء موهبتين.

ان البحث يقوم عادة على الماضي الذي درس ولم تبق منه الا معالم قليلة أهمها كلام على الورق من أخبار وآراء ونصوص أدبية تنطوي على عواطف وأخيله وأفكار ونفوس... ثم تقديم هذا الماضي إلى ابناء الحاضر. وشرط النجاح الكبير لدى ابناء الحاضر: الحياة، أي ان تجعل الماضي حاضراً وان تجري الدم في عروق الميت. ولما كان الأمر كذلك، كان أهم عناصر هذه الموهبة أمكان العيش مع الماضي والانسجام مع أبنائه: تراهم وتفهمهم وتحدثهم كأنك واحد منهم وكأنك انسلخت من عصرك وظرفك - إلى حين[1].

ويقتضي هذا العنصر قابلية «خارقة» على التصور والاستحضار والاسترداد والاستنطاق... وقابلية على تجويد التعبير عما رأيت وامكان التركيب لما حللت.

ان الذين يقرأون كتب التاريخ كثيرون، والذين يقرأون مخلفات الادباء كثيرون كذلك... وأكثر هؤلاء لا يأخذون من الورق الا ظاهره، وقد يأخذون خطأه ويقعون في متناقضه، ويرون في رديئه جيداً. أما الذين يخوضون عباب الاخبار والنصوص والمتناقضات ويعبرون إلى الساحل الآخر ليروا الاشياء كما يمكن ان تكون قد وقعت، ومن ثم يعودون سالمين يحدثون فيجيدون التحديث ويكتبون فيجيدون الكتابة - أما هؤلاء فقليلون، وقليلون جداً. لانه لا بد لهم - وقد عرفت الآن شرط وجودهم - من قابلية خاصة سميناها: الموهبة. وشأنهم في ذلك شأن سائر الفنانين؛ وتقوم موهبتهم على الاستحضار واعادة البناء في صدق واخلاص بعيداً عن شطحات الوهم ومعرّات العصبية. ان الماضي لني نفوس هذا النفر، وهو عندهم غير منقطع عن الحاضر - والمستقبل أيضا.

وإذا قام البحث على الحاضر والمعاصر، كانت له صعوباته الخاصة التي تقتضي موهبة تخترق حجبا من نوع القرابة أو العداوة وما يبدو سهلا وما هو بسهل، ويرى معروفا وما هو بمعروف... ثم مرحلة البناء التي تستوي فيها حاجة الباحث في القديم والجديد.

على أن وجود الموهبة وحده في انسان لا يعني شيئاً جازماً، فقد يعرب عنها ذلك الانسان بوجه من الوجوه التي تكتنفها البساطة، وقد يتوقف استغلالها؛ ان الانسان

---

(١) ينظر بدوي - مناهج ١٨٣.

لا يكون شاعراً كبيراً بالموهبة وحدها، وكذلك الرسام الكبير والموسيقار الكبير... لأنه لا بد من الدربة والاستمرار.

لا بد للطالب من ان يكتب بحثا، ولا بد من ان تقع في البحث الأول أخطاء ينبه عليها الاستاذ المشرف ولا بد للطالب من أن يتقبلها ويفهمها ويفيد منها في بحث ثان وثالث... لينتفع بالتجربة ويشذب عمله ويهذبه فيقل الخطأ ويزداد الصواب ويسير من حسن إلى أحسن، انه في دور التدريب، وهذا الدور لازم، ولا بد من الاستمرار لأن الطالب في أول الطريق ولا يعرف عن نفسه شيئاً، والمعقول ان يسير حتى تتكشف له الحقائق، أما ان يحذر ويخاف ويتلكأ (وينكص) منذ البداية فذاك غير صحيح. زد على ذلك انه، وقد بلغ هذه المرحلة من مراحل الدراسة، محقق للحد الأدنى المطلوب في درس منهج البحث، وانه يستطيع، على أي حال، ان يرتفع بهذا الحد مقداراً؛ فما كان الباحثون الآخرون في بدايتهم خيراً منه ولم يتهيأ لهم من الفرص ما تهيأ له.

ويبقى الأمر – بعد ذلك – موكولا به لدرجة غير قليلة، حتى اذا ادى ما تقتضيه الدربة والاستمرار وقطع شوطا من ذلك سهل عليه ان يقرر... فاذا كان قد حقق تقدماً باهراً ودل على الموهبة واصل السير وأبدع في عمله؛ فان لم يواصل قصر في واجبه وفقد صفة الباحث والا فان بحثا يقوم به مكرها – لسبب خارجي – يزول بزوال السبب ويعود الطالب بعده كما كان.

والأسباب الخارجية التي تدعو الطلبة إلى البحث – المؤقت – كثيرة، منها الدرجة، ارضاء الاستاذ، المنافسة الآنية، الامتحان، الشهادة على اختلاف درجاتها العلمية من الليسانس... إلى الدكتوراه. ومن الناس من يقصر استجابته على هذه العوامل فيبلغ بها ما يصبو اليه من «أوراق». ولا يستطيع هذا الضرب من «الباحثين» أن يجودوا كثيرا، ولكنهم يبحثون على أي حال. وقد يكون بينهم من يملك من مؤهلات الباحثين الكثير ولكن شغل فكره بما هو خارج دائرة البحث يقصر من خطاه ويضيق من مداه، فيستوي والآخرين فيما بعد الشهادة أي في البحث عن «المجد» في غير عالم البحث. وما أسرع ما يغمد هؤلاء القلم ويطوون الورق ويطلقون الكتب! فيقصرون فيما أوتوا من مواهب، ويخرجهم الناس – طبعاً – عن دائرة الباحثين.

إن الباحث... الباحث من يوحد مطمحه في بحثه ويقيم مستقبله عليه ومن هنا يستطيع أن يستمر ويتقدم ولا يستطيع الا ان يستمر...

يكسب الطالب بالدربة والاستمرار وبنصائح الاستاذ أشياء كثيرة في الموضوع

والمصادر والخطة، في الهيكل كما في الروح... ويكسب شيئاً مهماً جداً لا بد منه لكي يتم للبحث معناه... هذا الشيء هو اللغة. -وقد يقول طالب ما اللغة ما ضرورتها... وصعوبتها حتى كان لها هذا الخطر؟ وهذه أسئلة تدل على استهانة أقل ما تؤدي بصاحبها إلى ان يكتب كيفما اتفق أو على الوجه الذي يقرره هو ضمن اطار الاسهانة. ولو علم ان للبحث لغة خاصة به لها صفات خاصة لما جرؤ على السخرية ولعاد إلى نفسه ينظر في الحال مليا وقرأ هنا وهناك واستعان بهذا أو ذاك قبل ان يواجهه استاذه بما قد يفجؤه ويفجعه.

ان كل ما يكتب يجب ان يكون بلغة سليمة، وأهم ما تتصف به لغة البحث ان تكون الألفاظ فصيحة دقيقة في حاقّ مكانها، والمصطلحات كما هي في حقيقتها، والتركيبات متينة جيدة السبك فتأتي الجمل رصينة واضحة مع قربها من الاقتصاد والايجاز، فالالفاظ على قدر المعاني -كما تقول البلاغة العربية- حتى لتقرب أحياناً من الجفاف وامكن ان تسمى اللغة العلمية -ولا أقول الأسلوب العلمي، لأن الأسلوب -لدى الدقة- لا يكون الا أدبياً.

وتتصل الفقرة بالفقرة اتصالاً عضوياً كأن الواحدة منها منبثقة عن الأخرى فيسير القارئ خلال ذلك من دون عنت أو عثار.

أما صحة النحو والصرف فأقل ما يطلب أو هي من تحصيل الحاصل، ولكننا اذ نؤدي ببحثنا عملاً في ميدان أدبي مطالبون بعرض الموضوع على قاعدة «السهل الممتنع» مع مسحة من جمال ونكهة من طيب دون ان نضحي بالوقار العلمي ورصانة العلماء فلا نتصور ان اللغة المثلى التي تلفت الانظار وترفع الاقدار ما كانت تقعراً وتفيهقا وإغراباً في اللفظة أو في الاستعارة فذلك مرذول، ولا نتصورها في الاسهاب والثرثرة أو «الشاعرية» ذات الانفعالات أو ذات الحماسة المفتعلة التي تبدو وكأن كاتبها مكلف في الدفاع عن قضية وانه يريد ان يفوز بكل وسيلة...

لتكن لغتنا سليمة تجمع بين الرصانة والجمال. ولئن كان هذا شرطاً في كل الباحثين، إن الباحثين يتفاوتون في استغلال مداه، والباحث الباحث من طاوعته اللغة حتى يبدو فيها ذا أسلوب وان لم يكن في ميدان الأساليب.

يعيننا على التمكن من هذا الشرط الفتنا للنصوص العالية، وتتبعنا آثاره في البحوث التي يكتبها الاساتذة الذين قطعوا أشواطا طويلة، وفي اصغائنا لنصائح الاستاذ وفي اجتهادنا ومثابرتنا. ولنتذكر اننا اذا استوعبنا موضوعنا وذللنا صعابه وامتزج في نفوسنا سهل علينا إفراغه في دقة ووضوح، والا فان الفكرة المتعثرة تؤدي إلى لغة متعثرة.

ولا يستغني الباحث الذي يقوم عمله على الحاضر أو الماضي القريب، عما سميناه الموهبة، وكل ما في أمره أنه سيفرض عليه اختلاف المادة عناصر جديدة من هذه الموهبة، فهو اذ يقتضي عنصر الانسجام مع المادة وعنصر استخلاص الصحيح بين خضم المتناقضات واستنباط الأسرار التي لا تؤدي الظواهر إليها في يسر. يقتضي عنصر ربط الحاضر بالماضي والمستقبل واستكناه أسرار البقاء.

واذا استوى في عناصر هذه الموهبة المؤرخون جميعاً في موقفهم من الماضي أو الحاضر، فان المؤرخ الأدبي يحتاج إلى عناصر أخرى تستدعيها طبيعة عمله التي تخرج عن الأخبار الى التعامل مع النصوص المبدعة، هذه النصوص التي تتضمن من مادة الحياة ما تحدى الزمن فوصلت الينا حية قوية مشحونة بالأخيلة والعواطف والأفكار فلم تستطع الأزمان المتعاقبة عليها ان تغير منها، وانما زادتها قوة إلى قوة، فقد يجد فيها جيل لاحق ما لم يجده جيل سابق وقد يكتشف الدارس الجديد فيها ما لم يكتشفه الدارس القديم.

ثم هناك نصوص وجدت وسادت في عصر من العصور ثم اختفت أو ماتت وعلى الباحث في هذه الحال أن يستنتج عوامل التدهور هذا من خلال أذواق العصور. وهذا وما اليه يجعل مهمة الباحث الأدبي معقدة وموهبته معقدة، ولا بد له من مزايا خاصة تقوم على رهافة الحس وسلامة الذوق ونفاذ النظرة، وحب الفن وما إلى ذلك مما هو من شروط الناقد الأدبي[1]. ولا تكون الموضوعية حينئذ نفياً مطلقا للذاتية لأن ذلك غير ممكن وغير مطلوب، وانما تكون نفياً لما يدخل في الأهواء والعصبيات والمغالطات، واذا كان لا بد من المناقضة فهي فيها على وجه التغليب[2].

ولا يحسبن أحد ان مهمة الباحث في موضوع حديث أو معاصر دون مهمة الباحث في القديم، ففي الحاضر من الاغراء ومن المزالق ما لا نكاد نجده في الماضي، وحاجتك فيه إلى العلم والذوق لا تقل عن حاجتك اليهما في موضوع قديم.

المسألة - اذاً - أخطر مما تصورنا، وما كل باحث باحثاً. والقاعدة هذه خطيرة ولكنها لا تغير كثيراً من مجرى درس منهج البحث، لأن هذا الدرس - كما لاحظنا - اذ

---

(١) وقد شعر بهذا الموقف دارس فرنسي كبير هو لانسون - ينظر في ترجمة مندور ص ٢٠، وقد رأينا أطرافاً من ذلك في التمهيد، وسنراه عند دراسة النصوص في الفقرة الخامسة من الفصل السابع.
وقد نبه الدكتور طه حسين إلى هذا في مقدمة كتابه «في الأدب الجاهلي» الذي صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٢٧.

(٢) ينظر مندور - في الأدب والنقد، موضوع النقد الأدبي وأنواعه ط. سنة ١٩٤٩ ص ٨-٩.

يعترف بالموهبة وما تؤدي اليه -لدى اجتماع عناصرها- من اختلاف وقع بحثين في موضوع واحد لباحثين أصيلين، لا يمنع المضي في فصوله: اختيار الموضوع، الخطة، المصادر... لأن الغاية المدرسية الأولى منه توفير قدر متوسط من منافعه لعامة الطلبة، ولأنه لا يشترط في طالب البحث الموهبة والأبداع، فذلك تكليف فوق الطاقة لا يلتزم في الدروس الأخرى فكيف ولماذا يلتزم في درس منهج البحث؟؟ وإذا سرنا في الدرس وانتفع العامة في حدود طاقتهم، انتفع الخاصة بقوة قابليتهم ووجدوا انفسهم وأومأوا إلى باحث الغد... المنتظر واقتضوا -لذلك- من استاذ المادة رعاية خاصة.

ومن هنا كان بين شروط الباحث: الدربة والاستمرار... والشرط يشمل الجميع: أصحاب المواهب لاكتشافهم وتوجيههم، والآخرين ليلموا بما لا بد منه لمثقف وليطمئنوا إلى الحد الذي يقفون عنده.

فوائد:

١ - العلوم المساعدة: لديك في موضوع أدبي: شاعر أو غرض أو اتجاه أو عصر... وأول ما يطلب منك العلم بمادة موضوعك. وقد ألممت، فهل يكفي ذلك؟ لا، وان كان الماملك هذا أساساً مهماً، لان هناك علوما أخرى لا بد منها تعينك على جمع مادتك على وجه أحسن، وتزيدك فهما لجوانبها وإنارة لزواياها، وتوصلك إلى اسرارها، وتوسع من أفقك في مدارها وتقربك إلى ما لا تمتد اليه يدك بالمادة الخاصة وحدها. انها -في كلمة واحدة- تساعدك على انجاز مهمتك، ولذا دعيت: العلوم المساعدة.

ومن هذه العلوم ما هو قريب جداً من دائرتك كالنحو والصرف والبلاغة والعروض... وفقه اللغة.. والتفسير والحديث إلى ما هنالك مما يكون وحدة بين الجوانب الأدبية للعمل الواحد.

وهناك ما هو أبعد قليلاً كالتاريخ والجغرافية.. ثم علم النفس والفلسفة وعلم الاجتماع والاقتصاد والسياسة... ومن الدارسين من أدخل في العلوم المساعدة العلم الصرف من طبيعيات ورياضيات ولا يكون على خطأ عندما تكون لهذه العلوم صلة ما بجانب من الجوانب.

ان كل علم يساعد على جلاء غامض ويدل على خفي... انما الخشية في المبالغة التي تضيع الخصوص في خضم العموم.

على ان امراً أصبح مهماً جداً في كل دراسة الا وهو اللغة الاجنبية الحية، لما تفتح هذه اللغة من أبواب ولما تدلك عليه من بحوث متصلة بعملك أو مناظرة له، ولما تهيئ لك من مصادر مكملة لعملك في موضوع تشتبك أحداثه بين أكثر من أمة واحدة.

ان من الخطأ الكبير ان تعالج الموضوع بمادته المحدودة.

٢ - الدفتر المساعد: انك تريد ان تبحث وقد عزمت فاحمل معك - منذ الآن وإلى الأخير - دفتراً لا بأس في ان يكون غزير الورق ويفضل ان يكون ذا أوراق منفصلة كالاضبارة (لفكس).

ولنسم هذا الدفتر بالمساعد لما يمكن ان يكون له من فائدة وان يؤدي من خدمة. لانه سيكون رفيقك بالملازمة وذخراً بما ستودعه ومعينا اذا ضاقت بك ذاكرة.

تحمل هذا الدفتر منذ اللحظة الأولى وتستطيع ان تكتب فيه كل ما يعن لك مما يتصل بالبحث من خير وشر، من آراء ومصادر ومراجع وأسماء مواد... تكتب ذلك قبل البدء، وتستمر عليه في كل خطوة... وحتى النهاية وما بعدها.

تراودك موضوعات، سجلها. تدخل مكتبة وتستعير كتاباً، سجل اسمه ورقمه. ترى صديقاً وتناقشه في أمر، ثبت خلاصة المناقشة. تنتظر أن تحتاج ورقاً وأقلاماً وجزازات ودبابيس... ومجلد كتب، احفظ ذلك في الدفتر.

تكتب في هذا الدفتر اشياء في كل مرحلة مما مر او يمر بك. اختيار الموضوع، كيف واين؟ مصادر ومراجع، اين وما رقمها؟ تمر بذهنك خطة، اية خطة، سطّرها. تخالجك خاطرة عن موضوعك، احفظها في دفترك، فقد تبحث عنها فيا بعد فلا تجدها.

قد تكون في مرحلة الخطة وانثالت عليك افكار تتصل بالتبييض او الخاتمة، فالخير أن تقيدها. وقد تكون في باب متأخر ويرد على ذهنك شيء يتعلق بالمقدمة او الفصل الاول، فالمعقول أن تضبطه.

قد تقرأ في كتاب عن غير قصد اسطراً ذات صلة ببحثك، وقد تمر بك في مجلة او جريدة سطور ليست بعيدة عن موضوعك، فما الذي يمنعك من أن تفتح لها صدر دفترك فتحفظها من الضياع. ومن يضمن أنك لا تحتاج اليها.

عنوانات المكتبات، عنوانات الاساتذة، اسماء من مؤلفات الاساتذة، أماكن تلقى فيها محاضرات، سؤال تريد أن ترفعه إلى استاذك، مخطوطة تريد أن تعرف شأنها... كل ذلك - وما اليه - تكتبه بأسرع ما يمكن في دفترك المساعد: صديقك وحافظ سرك.

ولا بأس في أن تكون الكتابة مبوبة شيئاً : صفحات متقاربة للمصادر والمكتبات ، صفحات متقاربة اخرى للمقدمة والتمهيد... للاستاذ... إلى اخره ؛ الا أن التبويب ليس شرطاً اذا ادى إلى تأخيرك عن الهدف. وخير من هذا الشرط – ومعه – السعة في الهوامش لتكتب عليها بالاحمر دليلاً على المادة.

وفي اول فرصة تنقل من هذا الدفتر ما يلزم نقله إلى مكانه المناسب.

ولا تنس أن تنظر فيه بين حين وحين وفي كل خطوة.. انه تذكرة من النسيان وموضع للسر...

وسيرد ذكر هذا الدفتر مراراً على صفحات من هذا الكتاب.

٣ – الاستاذ المشرف : استاذك في العمل الصفي هو استاذ المادة ، اما في العمل من اجل درجة علمية عالية كالماجستير والدكتوراه فليس هناك قاعدة عامة لاختيار الاستاذ المشرف ، فمن الجامعات ما توكل توجيه الطالب نحو الاستاذ المشرف إلى رئيس القسم او لجنة خاصة او موظف مختص ، ومنها ما تسمح له بأن يتصل بالاستاذ للتداول والاستقرار على نتيجة ثم تعرض النتيجة على المسؤول او المسؤولين لتثبيت الرأي النهائي.

ومناسب جداً أن يكون الاستاذ ذا صلـــة بالموضوع المزمع بحثه ، معروفاً بتشدده بالمنهج. وقد يبدو هذا التنبيه بديهياً ، الا أن حالات خاصة تستدعيه ؛ فبين الاساتذة من عرف – لسبب وآخر بالتساهل ، وهؤلاء في كل مكان ، ويجد امثالهم طلباً متزايداً من الطلبة الذين تهمهم «الورقة» أكثر من المنهج والمادة... والجدير بالطالب الجاد – في هذه الحالة – أن يكون هو متشدداً في اختيار استاذه ، وأن يجعل جزءاً من واجبه قبل مفاتحه هذا الاستاذ او ذاك دراسة جادة لما كتب الاستاذ من بحوث ونشر من كتب وما عرف عنه من آراء واتسم به من سلوك لتكون الصلة امتن وليتجنب الطالب هفوات يمكن أن يعزوها الاستاذ إلى سوء في الادب.

واسوأ حالات دراسة آثار الاستاذ المشرف ما يتخذ وسيلة مخادعة ومنافقة ، اجل ، ومن الاساتذة من يخفى عليه النفاق ومنهم من يحب أن ينافق ، ولكن الطالب الحقيقي من يكون أكبر من ذلك ويصل إلى قلب الاستاذ عن طريق الاخلاص في العلم والعمل والقول...

ومهم جداً عند الاستاذ الجاد ضبط المواعيد والاستفادة السريعة من التوجيه ، وليتذكر الطالب الذي يبحث عن الاستاذ السهل وتحدثه نفسه باختصار الطريق انه يخسر

من حيث قدر أن يربح، لأن الوقت يمضي هدراً ولأنه يخطو على ارض رخوة ويلعب بالنار وان ما يخالجه بين الحين والحين من خوف يكفي لأن يقض مضجعه وتمر عليه الساعات ومنها ساعات المناقشة على اشد ما يكون ومن ثم تأتي رسالته ضحلـــة مرتبكة يخجل أن يدعيها ويخجل أن يطبعها في كتاب.

لا تفقد صلتك باستاذك المشرف في كل خطوة رئيسة تخطوها، وكل رأي خطير ترتئيه.

وفي تقديم المادة إلى الاستاذ ليطلع عليها ويرى فيها رأيه ويثبت ملاحظاته وتوجيهاته طريقتان:

الاولى: أن تقدم عملك فصلاً فصلاً، فما تكاد تنتهي من فصل حتى تحصل منه على موعد، وقد يستمع اليك تقرؤه عليه فيصحح ويناقش، وعليك – في هذه الحالة – أن تكون يقظاً للتصحيح وأن تكتب الملاحظات لئلا تنساها؛ ومن تمام الادب انك تصغي إلى توجيهات استاذك ولا تقاطعه عندما يتكلم وانك تحتفظ باتزانك حتى ينتهي من النقطة التي يبحثها فتعلق باللياقة اللازمة؛ ولا بأس في أن تناقش استاذك وتبين له وجه الصواب في الأمر والاسباب التي ادت بك إلى هذا الرأي دون غيره على أن يصدر ذلك عنك في ادب ولطف.

ومن الاساتذة من يتولى قراءة الفصل عنك – بحضورك – ويعلق ويناقش، ومنهم من يستبقي الفصل عنده يقرأه منفرداً ويبدي عليه ملاحظاته.

تعود بالفصل إلى البيت لتأخذ بالملاحظات.

ولتكتب الفصل التالي... وهكذا... حتى تنتهي فيأذن لك بالطبع.

الثانية: ان تراجع الاستاذ للاتفاق على الخطة والعمل، ولدى المشكلات الطارئة على أن تقدم له عملك كاملاً فيما بعد.

والطريقة الاولى هي السائدة وهي الأكثر صواباً لأنك تثبت بها في كل خطوة تخطوها، ولا تبني خطوة على خطأ تضطر معه إلى أن تبدأ مجدداً عندما يتضح لك (او لكما) بعد فوات الاوان.

اما محاسن الطريقة الثانية فهي انك لا تتقدم إلى الاستاذ الا بعد أن يستوي بحثك

وتتضح خطتك وتهيىء له الوحدة بين الاجزاء فلا تضطر بعدها إلى تقديم وتأخير وحذف وزيادة.

ولا يصعب التوفيق بين الطريقتين.

ومهما يكن من شيءٍ، واية طريقة سلكت، فلا بد من استيعاب عموم الموضوع وتحقيق وحدته المنتظرة قبل البدء بالكتابة وقبل اطلاع الاستاذ على الفصول - ولا تطلع الاستاذ الا بعد التبييض أي بعد أن تأخذ الفصول لديك شكلها النهائي.

وتقول: ما عسى أن يعرف هذا الاستاذ المشرف عن موضوع وانصرفت له ودرست مصادره وجمعت مادته وناقشتها وانسجمت واياها ردحاً من الزمن؟

ولا يخلو قولك من صواب؛ ولكنه لا يخلو كذلك من سذاجة، لأن الاستاذ الحق يمكن أن يبدي ملاحظات قيمة جداً بحكم خبرته الطويلة في الدراسة والتدريس والتأليف والاشراف، وبحكم تمكنه من منهج البحث وعلمه بمكان الأهم من الكتاب، ومكان الاقل اهمية.

ومن ادبك مع استاذك المشرف أن تحفظ له حقه في الآراء التي يزودك اياها في اثناء عرض مادتك عليه وقراءتك ما كتبته بحضرته؛ فقد تذكر معلومات وتعبر وقد تستنتج خطأ ولا تدري... حتى اذا اطلعت الاستاذ على عملك فاستنبط لك من المعلومات المذكورة - زيادة على معلوماته السابقة - رأياً لم يخطر منك ببال، واذا صحح لك رأيك الخطأ او الرأي الذي نقلته مؤيداً لغيرك.. برأي سديد جديد... اقتضت الامانة أن تسجل ما للاستاذ للاستاذ فتنص على حقوقه بالرأي في متن الرسالة او حاشيتها؛ وليس من قوة الشخصية أن تستغل تواضع الاستاذ وخجله فتكتال من ذهنه دون ثمن؛ بل أنه اذا رآك اهلاً ووثق من امانتك ورأى احتفاظك بحقوقه... تبسط معك في المناقشة واستوقفك عند كل صغيرة وكبيرة ولم يبخل عليك بما يدور في ذهنه من آراء وتعليقات... ويكون في ذلك كسب للطرفين وللرسالة نفسها.

هذه شروط مهمة في موقف الطالب من الاستاذ المشرف، يحسن أن يقابلها الاستاذ بشروط موافقة كأن يأخذ طالبه مأخذ الرعاية دون مبالغة في قسوة او لين، وأن يكون قدوة حسنة في ضبط المواعيد والاخلاص في الاصغاء والقراءة والمناقشة، ومثلاً في الامانة بأن يترفع عن استغلال هذا الطالب في نتائج بحثه.

ان العلاقة بين الطالب والمشرف على الغاية من «الحساسية» وبعد الاثر – وقد تبدو هذه بديهية لا تحتاج إلى بحث واهتمام، ولكن الواقع يبين اننا كثيراً ما ننسى ما يبدو بديهياً.

الفصل الثالث

اختيار الموضوع

يحدث في البحث الصفي ان الاستاذ هو الذي يحدد الموضوعات ويوزعها على الطلبة (وقد يدع مجالاً للاختيار والتغيير وقد يصر على رأيه الاول) وهو بعمله هذا يسهل كثيراً من الأمر على الطلبة ويوفر لهم وقتاً وجهداً.

وهذا ممكن ومقبول في المحاولات الاولى من السنوات الاولى. ولكن المعقول أن يختار الطلبة موضوعاتهم بعد عهد المحاولة.. وقد يصبح المعقول لازماً – وهو الانفع. لأننا نعد الطلبة لعالم اوسع من عالم الكلية، عالم يطلب منهم فيه اعتماد النفس. وهنا يعلن الاستاذ إلى طلبته ان يهيئوا عنوانات موضوعات للبحث الصفي، وقد يحدد لهم العصر الذي يختارون منه، ويمنحهم مدة مناسبة يعودون بعدها اليه يحملون مختاراتهم. ويحتاط الاستاذ (ويجب أن يحتاط الطالب كذلك) فيطلب تهيئة أكثر من عنوان واحد. وقد يطلب ثلاثة لأنه سيرفض ما لا يصلح أو يقل صلاحه؛ وقد يضطر أن يرفض كل ما يقدمه هذا الطالب او ذاك.

عندما يجد طالب نفسه في ظرف يفرض عليه أن يبحث، يحس – عادة – بحيرة وهو يسعى لاختيار موضوع للبحث، اما لكثرة هذه الموضوعات، واما لجهله، واما لغيابها كلها عن ذهنه او لاضطراب المتوارد منها على خاطره بحيث يضيع ويصعب أن يجد طريقه إلى الصالح منها.

اجل، ليس اختيار الموضوع سهلاً، فما كل موضوع موضوعاً، وانما الأمر مقيد بشروط تزيد الموقف حراجة، وحسبك أن يكون من هذه الشروط: –

١ – الدقة والوضوح اي أن يكون محدوداً لا يحتمل الزيادة والنقصان ولا يكتنفه الغموض والابهام، ليدل الطالب على عقلية نقية، ولينطلق منطلقاً سليماً من غير تلكؤ ومحاولة وخطأ، عارفاً بما يأخذ عالماً بما يدع. وتتضح هذه الدقة من العنوان، لأن هم

الباحث من عنوانه الدلالة العلمية ، وهو لهذا يضرب من عنوانات المقالات الانشائية الصحفية التي تسعى إلى الاثارة واجتذاب طالبي المتعة من عامة القراء.

٢ - الجدة. ولا بد من أن يكون البحث غير مطروق وغير مبتذل لكي يكون للطالب فيه شخصية وليبذل في اعداده جهداً ، ولئلا يتعود الكسل او السرقة فتفوته الفائدة التي اقرت من اجلها الابحاث. ويتصل بالجدة أن يكون الموضوع ذا معنى انساني لتتهيأ له اهمية خاصة تجعله جديراً بالجهد المبذول.

ولا يمنع البحث أن تختار موضوعاً مطروقاً معروفاً اذا رأيت انك تستطيع أن تأتي - على رغم ذلك - بجديد من زيادة على السابقين او اثبات ضعف التجارب السابقة ، ويعني هذا أن الموضوع المطروق الذي يبدو سهلاً هو أكثر صعوبة لدى اشتراط الجدة.

٣ - وفرة المصادر ، أي انك لا تكتفي لدى الاختيار برونق الموضوع ، وحتى بدقته وجدته ، وانما تفكر - مع ذلك - في مصادره ، وتطمئن إلى أن عدد هذه المصادر من الكثرة والقوة بحيث تجهزك بالمادة اللازمة للبحث. ان الموضوع الذي تقل مصادره بشكل مفضوح او الذي يكون الكلام عليه مسهباً في مصدر واحد او مصدرين فقط لا يصلح للاختيار ، لأن العمل فيه لا يعدو التلخيص ولانه لا يزود الطالب خبرة باستعمال المصادر ، ولا يهيئ له دليلاً على المراجعة والتقصي.

إن عنصر الجمع من هنا وهناك من العناصر الاساسية في البحث.

٤ - مناسبته للمرحلة التي هو عليها. فاذا كان صفياً وقدر له الاستاذ المختص الحجم المناسب بين ال ١٠ وال ٢٠صفحة ، حسبنا هذا الحساب وضيقنا الدائرة ، واخترنا موضوعاً محدوداً او جزءاً من موضوع كبير ، او زاوية من عصر او جانباً من حياة ، بحيث لا يكون مجموع العلامات المتناثرة في مختلف المصادر كماً كبيراً.

ملاحظة : يستحسن أن يأخذ الطالب ما هو اقرب إلى نفسه ورغبته وتجربته ليدفعه ذلك إلى العمل والتضحية وليشعره بالمتعة وليعينه على الفهم والتفهيم. ولكن هذا لا يمنع أن يقبل موضوعاً لا رغبة له فيه ولا علم له به سابقاً. فقد يحس برهبة ازاء هذا النوع من الموضوعات ولكنه ما يكاد يبدأ ويسير حتى تولد فيه رغبة كانت كامنة فيعمل منسجماً وتزيده لذة الاكتشاف سعياً واجتهاداً ، ومن المناسب أن يتعود المرء ركوب الصعاب في مرحلة التدريب. ولا بأس في أن تحمل نفسك على المكاره لتتعود تذليلها ولتعد نفسك لشيئ يمكن أن يقع عليك يوماً ما. بل ان الموضوع السهل اصعب من

غيره، لأنك في الموضوع السهل لا تحقق شيئاً وتضيع انت وموضوعك، اما في الموضوع الصعب فتكسب تجربة ورأياً ومكانة.

اذاً، فما العمل؟ وكيف ينهج الطالب من اجل اختيار موضوعه؟ وما المفاتيح؟

ان الشروط تبدو قاسية لطالب يواجه البحث الجدي اول مرة، او لمرة يمكن أن تقرر مصيره، ولكن الثبات والتأمل يكفلان بداية الطريق - في الاقل.

يستطيع الطالب أن يجد موضوعاً مناسباً باستعادة الماضي واستعراض دراسته السابقة والاستعانة بمطالعاته فيبعثه ذلك على تذكر امر كان قد استوقفه يوماً ما، والظفر بعنوان كان قد استهواه - او يمكن أن يستهويه - لقربه من نفسه وتعلقه باهتمامه.

اذا خاب الطالب في هذا المسعى، حسن أن يرجع إلى كتاب من المراجع العامة في تاريخ الادب وما اليه، وليكن كتاب «تاريخ آداب اللغة العربية» لجرجي زيدان (ط ٢) لما فيه من شمول لفنون الادب واطواره وذكر لادبائه البارزين وغير البارزين مع نص على المهم من الآثار والمصادر والمراجع.

ولا بأس بكتاب «تاريخ الادب العربي»، ودائرة المعارف الاسلامية وكتاب «تاريخ الادب العربي» للدكتور عمر فروخ، وما إلى ذلك من مراجع عامة معتمدة تسهل المهمة وتنير اوائل الطريق - ولا تنس «اعلام» الزركلي.

ولا بأس «بتصفح» المصادر القديمة كالاغاني... واليتيمة... والوفيات... ولا بأس كذلك من نظر في مصادر تبدو غير مباشرة وغير متصلة بميدانك، فاذا كان ميدانك الادب، فقد تجد «فرجاً» في كتب التأريخ والتفسير والبلدان والمسالك... وحتى الطب. ولا بأس من جولة في اروقة المكتبات العامة ونظرة في فهارسها.

ولتعلم انه اذ يطلب اليك البحث عن موضوع، يطلب منك العلم بالموضوعات المطروقة لأن عرضك موضوعاً او موضوعين معروفين يقلل من اهميتك لدى استاذك وقد يدله على جهل عام وقصر في المتابعة وبعد عن الجو - ولا يقوم بعذرك أن المبحوث كثير لايحاط به.

اما الاستعانة بالباحثين والنابهين من الطلاب والأساتذة والأدباء... فيجب أن تؤجل إلى آخر الأمر ولدى العجز التام، لأن اللجوء المبكر إليها دليل ضعف وبرهان على كسل واشارة إلى انك ستستمر في طريق اعتماد الآخرين في الخطوات التالية، وهذا يضرك، ولا يهيئ لك التجربة اللازمة والخبرة التي تفيدك في مستقبلك القريب

والبعيد – ولا ينفعك ان تردد مع عنترة: «هل غادر الشعراء من متردم» أو مع زهير: «ما أرانا نقول إلا معاداً...» فما زال الباقي ينتظر، وما زال ما يبدو مكتشفاً ينتظر الاكتشاف الحقيقي فان عنترة وزهيراً تغلبا على «اللعبة» المخدرة وأتيا بالشعر الأصيل. ووجد بعدهما من قال: «كم ترك الأول للآخر».

صحيح ان الموضوعات الباقية قليلة حتى بدا الميدان ضيقاً، ولو قلت اننا في أزمة موضوعات لما كنت مبالغاً؛ ولكنك إذا أطلت النظر وجدت، والا، فلم سمي الباحث باحثاً؟!

يختار الطالب أكثر من موضوع في أكثر من لون[1] ويقدمها إلى استاذه ليتفقا على الأنسب. وقد ترفض هذه الموضوعات كلها فيعود الطالب يبحث عن غيرها موسعاً من عالم سعيه السابق. ولا يستحيل ان ترفض موضوعاته مرة أخرى أو أن يفرض عليه الاستاذ موضوعاً لم يمر بباله. ولا بد له من أن يقبل كل هذه الأحوال رحب الصدر غير متذمر لئلا يدل على عجز أو خور أو ميل إلى الراحة فيضيّع على نفسه فرصة أن تكون له مكانة عند استاذه أو يضيع مكانة كان قد حصل عليها من قبل.

وليعلم انه ما يزال في عهد الطلب وقد يكسب بالموضوع الذي أرغم عليه فائدة لم يكن ليكسبها في الموضوع الذي اختاره أو استسهله.

ان الاستاذ يضطر إلى فرض الموضوع في حالات معينة كأن يكون الموضوع يهمه إذ يتمم به بحثاً قام به هو، أو يكون في شك من مقدرة طالبه، وشك في أن يكون الطالب نفسه قد اختار موضوعه وهيأ له المادة.

ان تجارب مرة تحمل الاستاذ على سوء الظن. وما على الطالب إلا أن يعمل على كسب حسن الظن بالطرائق المناسبة المشروعة.

هذه هي الخطوط العامة لاختيار الموضوع، وهي تشتد قساوة كلما تقدم الزمن بالطالب واختار مرحلة جديدة من مراحل الدراسة العالية ونوعاً جديداً من أنواع البحث.

---

(١) هذه الألوان قد تكون علماً أو غرضاً أو عصراً أو لغة... ولكل منها محاسن ومساوئ. وقد ألف الدكتور شكري فيصل كتاباً بعنوان «مناهج الدراسة الادبية» عقده على الأقسام الآتية: النظرية المدرسية، النظرية الثقافية، نظرية المذاهب الفنية، النظرية الاقليمية، وهو في كل قسم يبين المقصود من النظرية وما يؤيدها وما يفندها. ثم دعا الى دراسة الادب على أساس المدارس (دمشق، ط ٢، المطبعة الجديدة، المكتبة العربية، ١٩٦٥ – وكانت الطبعة الأولى سنة ١٩٥٣.

والمألوف في الأبحاث الصفية ان يتفق على موضوعاتها في الصف خلال ساعات يخصصها الاستاذ لذلك. أما الموضوعات الأوسع فتجري انفراداً، أي ان الطالب يرجع إلى استاذه خارج الصف... فاذا كان الطالب معروفاً لدى الاستاذ هان الأمر، والا فعليه أن يستعد لرحلة لا تخلو من قساوة.. وأهم ما عليه التزود به في هذه الرحلة كسب ثقة الاستاذ الجديد، ولا تأتي هذه الثقة عبثاً، وانما تقتضي - اقناعه بأنك تعلم من شؤون البحث العلمي الكثير، وإلا خسرت الجولة الأولى. وقد تجر هذه إلى خسارة الجولات التالية إذا لم يكن لديك ما يزيل غبارها عن نفس أستاذك.

وتذكر دائماً ان وقت الاستاذ ثمين، وانه لا يريد أن يتولى عنك ما هو عليك، ولا يسره أن يبذل جهداً ضائعاً في جديث متشعب خارج النطاق.

لقد أصبح صعباً على الطالب أن يختار موضوعاً لدراسة علمية تستغرق كتاباً لكثرة ما أنتج الباحثون المعاصرون من دراسات، ولانتشار الجامعات والرسائل الجامعية. وقد يجد طالب مجالاً خاصاً في سعيه إلى العثور على «مخطوطة» قيمة فات المحققين نشرها أو فاتهم نشرها محققة تحقيقاً علمياً وقد يشترط الاستاذ أن تتقدم التحقيق دراسة علمية عن المؤلف واختصاصه زيادة على التعريف بالمخطوطة ومنهج نشرها؛ ومع ان عدداً لابأس به من الرسائل لم يستوف شرائط البحث العلمي، ان وجودها في اطار جامعة ما يحول دون اعادة بحثها لدى تلك الجامعة - في الأقل - ما لم تمض مدة تبلغ في أكثر الاحيان عشر سنين.

كما انك قد تختار موضوعاً لرسالتك في جامعة من الجامعات ثم يظهر انه مسجل أو مبحوث في جامعة أخرى. ومع ان هذا لا يلزمك تغيير الموضوع إلا انه يثبّط من الهمة ولا سيما إذا كانت المصادر واحدة أو متقاربة. وكم يكون مناسباً وحسناً لو ان الجامعات تبادلت العلم بالموضوعات قبل اقرارها، ولو ان الجامعات العربية - في الأقل - فعلت هذا!

ان كل جامعة تحتفظ بسجل للموضوعات المسجلة فيها، وهي تنظر في هذا السجل قبل ان توافق على موضوعك - وقد يكون هذا في مصلحتك وانه يلزمك بالرجوع إلى التسجيل قبل السير في خطوات الاختيار.

ونصيحة أخرى... انك إذ تصل إلى الموضوع لا تذهب إلى استاذك سريعاً. بالعنوان وحده. لأنه سيتحدث معك وسيناقشك وعليك أن تبدو عارفاً بالمهم من جوانب الموضوع، مادة ومصادر، وعصراً وارتباطاً بما قبله أو بعده من المواد الأخرى... والا قلّت قيمتك لديه وساء ظنه بك.

ثم لتعلم سلفاً انك قد تختار موضوعاً يقرك استاذك عليه وتسير فيه وتقطع الشوط والشوطين ثم تضطر إلى تعديل فيه توسيعاً أو تضييقاً وتتفق أنت واستاذك على صورة جديدة يمكن أن يستدعي خطوات رسمية لتثبيتها.

وقد تضطر إلى الاقلاع عن الموضوع المختار جملة كأن يصعب ان تضيف جديداً، أو أن ترى المادة المجموعة لا تغني شيئاً.

اعلم أن هناك نوعاً من التقليد خلاصته أن الجامعات لا تسجل إلا الموضوعات القديمة ولا تقبل موضوعاً حديثاً أو معاصراً... إلا أن هذا التقليد أخذ يتزعزع، فقد وجد من الاساتذة من انتصر للحديث والمعاصر أو من جعل البحث فيهما لا يقل أهمية عنه في غيرهما.

وكان المهم في حجج أنصار القديم أن الموضوع المعاصر لمّا ينضج ويأخذ سمته الكامل. وليس من اللائق أن تدرس جامعة شيئاً قبل تمامه؛ فقد يكون عابراً يموت سريعاً. وقد تكون بدايته شيئاً ونهايته شيئاً يختلف، وقد..وقد.. وان المعاصرة يمكن أن تقتضي من التعصب أكثر مما يقتضيه الماضي وبذلك يصعب توفير عنصر الموضوعية. انك في المعاصرة مع فلان ومع الجهة الفلانية تجمع كل ما تستطيع ان تدعم به وجهة نظرك؛ أو انك على فلان وعلى المذهب الفلاني تحشد قواك لتنزله دون حقيقته. وأن الطالب في المعاصرة أعلم عادة من استاذه، وقد يدس عن علم – أو غير علم – من الاخبار والآراء ما لا حقيقة له على أنه استقى الأشياء من منابعها، وما على استاذه في هذه الحالة إلا المجاراة.

ثم ان البحث يقوم على استعمال المصدر، وليس للمعاصرة من المصادر – بالمعنى المألوف – ما للماضي.

ويقول أنصار المعاصرة، ليكن الموضوع المعاصر في بدايته، ولكننا إذا درسنا البداية ضمنّا فصلاً أو فصولاً من النهاية. واذا كان عابراً، فلم لا ندرسه ونعرف صفاته وأسباب زواله السريع؟ ألم ندرس من الماضي أموراً طرأت وعبرت؟

ولم الخوف من التعصب؟ انه يمكن أن يقع في الماضي كما يمكن أن يقع في الحاضر، وان الباحث الباحث من استطاع أن يلزم الحيدة، والا فما هو بباحث.

اما مسألة كون الطالب اعلم من استاذه... فان الحال نفسها قد تكون في موضوعات قديمة، فما كل موضوع تدرسه كان الاستاذ قد سبر غوره والف سره، بل قد تكون القاعدة أن الطالب اعلم من استاذه في الموضوع الذي يؤلف فيه تحت اشرافه كأن للاستاذ الاشراف، وعلى الطالب العلم بالتفصيلات.

ثم ان الاستاذ يضطر في موضوعات الماضي على أن يرجع مع الطالب إلى مصادر لم يكن قد الم بها، او انه الم بها الماماً عليه الآن أن يتبحر فيها. فلم لا يكلف نفسه مشاركة طالبه في المصادر المعاصرة ولا سيما اذا كان من اساتذة الادب الحديث في الجامعة.

وكما أن للماضي مصادره التقليدية، يمكن أن تكون للمعاصرة مصادرها التي تنسجم وطبيعتها، تضمها الى ما علمت من مصادر اذ اقل ما في المعاصرة انها ستصبح ماضياً، واننا اذا كنا نشكو من دراستنا التقليدية قلة المصادر التي خلفها الماضي، فلم لا نتعظ؟ ونهيّئ لدراسة المستقبل مواد اجدر بالاهتمام مما لو ترك الحبل على الغارب.

ومن هذه المصادر الجديدة: الاديب نفسه. تقرأ آثاره في حياته وتسجل ملاحظاته عليها وتتصل به تسأله وتناقشه وتأخذ منه المعلومات اللازمة عن حياته ومكونات شخصيته.. وكذلك تفعل مع ادباء الاتجاه الواحد... ومنها اصدقاء الاديب او الادباء، واقاربهم واقاربهم... اعداؤه واعداؤهم... تجمع وتسمع وتناقش ورائدك الحقيقة لأنك باحث. ومنها وسائل النشر المعاصرة. الجرائد والمجلات، الاذاعة، التلفزيون، الافلام... الخ.

اننا إنْ لم نستفد من هذه الوسائل في حينها، فستصعب علينا الاستفادة منها غداً.

لسنا مقيَّدين بظروف المحافظة القديمة، والمفروض أن نكون أكثر تحرراً من قيود لم تثبت صحتها المطلقة.

ومع هذا، ومع وجاهة المناقشة تبقى الجامعات على موقفها السلبي من المعاصرة، واذا تساهلت، تساهلت قليلاً فسمحت بشيْ من الحديث الذي كاد أن يصبح ماضياً، وبشيْ من المعاصرة الذي اخذ سمته ودلف، شخصاً او مذهباً - نحو المغيب او دعا بوجوده إلى الاطمئنان[1].

* * *

---

(١) يقبل في علم الاجتماع للدرجة العلمية ما يسمى بالبحث الميداني (field research) كأنْ يدرس الطالب عادة قائمة أو قبيلة حية أو ظاهرة في مجتمع معاصر. وقد أفرد منهج البحث الاجتماعي فرعاً خاصاً للبحث الميداني. وأهم ما يجب لكي يكون البحث ميدانياً: أن يكون الموضوع حياً قائماً، لا يملك أن يدرس في المصادر من كتب ومجلات وجرائد، مما يستوجب اقامة الباحث في الميدان الذي تحيا عليه مادة الموضوع. ومن الممكن أن يجد الباحث الأدبي بحثاً ميدانياً في موضوع من نوع الشعر الشعبي، الحكايات الشعبية، اللهجات... مما يدخل عادة في الجانب اللغوي من الفولكلور... وله تأثير باق فيما صار فصيحاً من شعر أو قصة أو مسرحية...

ليس البحث في المعاصرة اسهل من البحث في القديم، ولم نرد بالمناقشة إلى تسهيل البحث وانما اردنا أن نوسع دائرة اختيار الموضوع ونضيق من ازمة الموضوعات ونخفف على الطالب الثقل الذي ينوء به.

على أن كلمة «التخفيف» هذه لا تغير مقولة أن الموضوع الاصعب انفع، ولا تمنعنا من أن نؤكد أن الانسب في الموضوع أن يؤدي إلى معانٍ انسانية عامة، وأن يستثير فكر القارئ ابنما كان، وان ينطوي في محليته على بذور من العالمية.

اذا استقر الموضوع، سار الطالب دون توقف او لهو على أمل أن الوقت المحدد له كاف، واقل اخطار التوقف فقدان الصلة بالبحث، وخسران عنصر المعايشة واستطابة الراحة حتى اذا انتبه المرء إلى نفسه وجد أن المدة تقارب أن تنتهي فأسرع لاهثاً دون ثمرة تذكر واتسمت الصفحات القليلة المشوشة التي يكتبها بكثير من القلق والاضطراب – ولا نتحدث عن الندم. البحث لا يمزح – اما سمع بحكاية السلحفاة والارنب.

ان البحث لا يقف عند مدة معينة، أي أن أي بحث يمكن أن يستغرق أكثر مما يقدر له الباحث وما يملك، مهما يكن جاداً ساهراً، لأن المسألة هنا ليست مسألة السهر وحدها وانما هي مسألة التشعب وما يجد من مشكلات و «جيوب» غير منتظرة.

– فماذا يفعل؟

– يزن موقفه ويرسم لنفسه منهجاً ينتهي بمقتضاه في اقل من المدة المقررة، ثلاثة ارباع منها او ثلثين منها، فاذا كان امامه ثلاث سنوات عزم على أن ينجز عمله في سنتين (او ما حول ذلك). ولا يعني هذا أنه سينتهي في سنتين، وانما يعني انه سينتهي في ثلاث، مستغلاً السنة الاحتياطية لحل المشكلات غير المنتظرة – وهي منتظرة – فيسير بذلك من غير ارهاق او قلق.

واهم ما يعني تنفيذ القرار لديه أن يضاعف جهوده فيعمل اثنتي عشرة ساعة في اليوم بدل ثماني ساعات، وهكذا... ثم يسد الابواب التي تفتح جانبياً، والشعب التي لا تؤدي إلى مخارج، والثانويات التي لا تتصل بجوهر الموضوع، اذا سدها انصرف إلى الصميم قدماً، وهكذا يفعل الماهرون، اما الباحث المبتدئ، او غير المنهجي فيفرط بالجهد الذي يبذله ويمضي اياماً واياماً في مسائل حقها الاهمال او الوقفة العابرة.

الفصل الرّابع

الخـــــطة

اذا تمت مرحلة اختيار الموضوع انتقلت إلى مرحلة رسم الخطة (plan =) (plan) وهي مرحلة مهمة جداً في البحث لانها تحدد أبعاده وامكان صلاحه.

والخطة-اذا كان لا بد من تعريف-رسم للخطوط التي سيسير عليها الموضوع، وللصورة التي سيكون عليها، وقد تكون أشبه بالهيكل العظمي. وما لنا وللهيكل العظمي وقد أصبحت مألوفة في كل شيء، وقبل كل شيء، فنحن نسمع بالتخطيط ووزارة التخطيط... أما الخارطة التي يضعها المهندسون لما ستكون عليه البيوت والعمارات... والجسور والطرق؛ فهي من الالفة بمكان هي شرط - قبل البدء- في كل عمل منهجي منظم يراد له النجاح.

هي مثل خارطة المهندس بل تزيد. لان المهندس يتعامل غالباً مع مواد جامدة يستطيع ان يتحكم بها و «بمواصفاتها». أما في البحث العلمي فأنت تضع الخطة ولا تملك من أمرك الا أشياء عامة قد تكون يسيرة، ويصعب عليك بهذا القليل الذي لديك ان تحكم وتقرر سلفا ما سيكون عليه عملك.

يطالبك استاذ (وتطالب نفسك) بخطة-بعد الاتفاق على الموضوع (أو صحبة كل موضوع مقترح لانها جزء متمم له ودليل من أدلة نجاحه). ولكي يضع باحث خطة ناجحة يقرأ قراءة جديدة خاصة ما يتصل بالموضوع للالمام بجوانبه المختلفة.

قد تكون الخطة موجزة وقد تكون مفصلة، والثانية أهم وأدل لانها تقتضي الماما واسعاً بالموضوع ومصادره الأساسية ومشكلاته وقضاياه، فهي أقرب إلى البحث نفسه وهي ان شئت مشروع (Project) لانها أكثر من خطة، اذ يمكن ان تنبجس لك عنها خطة موجزة، اذا اخترت الايجاز، ذلك ان الخطة الموجزة الناجحة ما كانت ثمرة لخطة مفصلة.

ومن الاساتذة (ومن الجامعات) من لا يقبل الخطة الا مفصلة مسببة الاجزاء مؤيدة بالمهم من المصادر والمراجع.

ومع ان لكل موضوع طبيعته التي تقتضي خطة خاصة به، فان لكل باحث شخصيته التي تدير الخطة على القطب الذي يوائمها... ان هناك نقاطا عامة-غير الالمام بجوانب الموضوع-يجدر بالباحث ان يلم بها قبل الشروع. ومن هذه النقاط:

١ - التبويب: ان أهم ما تستوجبه الخطة تقسيم الموضوع وتجزئته لكي يمكن توزيع المادة المجهزة والأفكار المنبثقة عنها على هذه الاجزاء بحيث يستوعب الموضوع ويستوفي كلا في مكانه المناسب؛ وان يرتبط بما قبله وما بعده ارتباطاً متماسكاً، سابقاً أول الاحداث فيها آخرها، فيتألف من مجموع الاجزاء كيان كامل حي يشد بعضه بعضاً وكل شيء فيه يقود إلى النتيجة. ان التجزئة لا تعني «التقطيع» وانما تعني لمَّ الابعاد واثبات الوحدة.

اننا نجزئ العمل من أجل تسهيل العمل، ولكننا لا نجعل التجزئة غاية، وانما هي أجزاء ضمن وحدة وانها سبيل إلى زيادة الحياة والحركة أو سبيل إلى رصد مناطق الحياة والحركة، والا فقدت معناها وخرجت عما وضعت له.

يقسم البحث الصفي إلى فقر واسعة يمكن ان تسلسل بالارقام: ١، ٢، ٣... الخ، ويمكن ان تسمى فصولاً على سبيل التجوز وبمعنى من معاني التدريب والاعداد للمستقبل، ومن هنا حسن ان يكتب في دفتر مدرسي ذي صفحات متوسطة الحجم ليمكن تقسيمها إلى فصول وكأنه مصغر كتاب.

ولا بأس في ان يقسم موضوع ينتظر له أن يتم في حدود مئة صفحة إلى فصول (قصيرة). أما ما زاد على ذلك الحجم فيكون نظام الفصول فيه شرطا.

فاذا كانت الزيادة محدودة اكتفينا بالفصول المتسلسلة: الفصل الأول، الفصل الثاني، الفصل الثالث...

ولدى مضاعفة الصفحات: ٢٠٠، ٢٥٠... الخ، وكانت الوحدة الكبيرة مما يمكن أن تقسم إلى وحدتين أو ثلاث... متوسطة، وكانت الوحدات المتوسطة مما يقسم إلى وحدات أصغر، ليست صغيرة جداً، حسن - بل وجب رسم الخطة على أساس الابواب: الباب الأول، الباب الثاني (الباب الثالث-ان اقتضى الحال) ثم يقسم كل باب إلى فصول خاصة به، فيقسم الباب الأول إلى: الفصل الأول، الفصل الثاني، الفصل الثالث... وهكذا.

ويحدث - خارج البحث الجامعي المعد من أجل درجة علمية عادة - ان يقتضي الموضوع اتساعاً وتشعباً، وحينئذ ترى المؤلف يقسمه إلى اجزاء: الجزء الأول، الجزء الثاني... ويقسم كل جزء من الاجزاء بمقتضى المادة المتكونة لديه والوحدات الصغرى التي يمكن ان تنطوي إلى ابواب والابواب إلى فصول فيكون الكتاب: **الجـزء الأول الباب الأول، الفصل الأول، الفصل الثاني... الباب الثاني... الفصل الأول، الفصل الثاني الجزء الثاني، الباب الأول، الفصل الأول... الباب الثاني، الفصل الأول....**

وقد يزيد عدد الاجزاء عن الاثنين، وقد يكون الجزء الواحد من هذه الاجزاء عديد الصفحات ٤٠٠، ٥٠٠، الخ.. ويفضل في هذه الحالة ان يسمى الجزء الواحد مجلدة (أو مجلدا)، ويقال ان الكتاب مؤلف من مجلدتين... ثلاث... عشر، عشرين..

وقد زودنا المؤلفون العرب القدامى - نتيجة لانصرافهم إلى التأليف وثمرة لتجاربهم الطويلة فيه - بهذه الكلمات. فالكلمات: فصل، باب، جزء، مجلدة، كتاب... مصطلحات جليلة مألوفة في التراث العربي ولها نظائر في التأليف الغربي، ومن هنا لا نجد مشقة في ترجمتها ولا نجد حاجة إلى ان نستعيرها أو نستعير أمثالها من غيرنا.

يملك الغربيون ما يقابل الفصل (chapter (chapitre =)) ويملكون مصطلحين آخرين قد يردان بمعنى واحد وقد يرجح واحد على آخر في مكان خاص. وهذان المصطلحان هما (tome. volume (= volume = tome) ولدينا مثلهما أي الجزء والمجلدة.

أما المصطلح (part = partie) فهو ليس الجزء الذي لدينا وانما هو أقرب إلى الباب، وقد ترجمه المؤلفون العرب المعاصرون بالقسم، فقالوا: القسم الأول، القسم الثاني. والباب خير من القسم في هذه الحال[1].

ويشترط - على أي حال - لدى تبويب الموضوع إلى فقر أو فصول أو ابواب... الخ التقارب النسبي في الحجم - أي المساحة ان شئت. فاذا بلغ عدد صفحات الفصل الأول عشر صفحات وجب ان تكون الفصول الاخرى في حوالى هذا العدد: ١٠، ٩، ١٢، ٨، ١٣. وليس من المعقول أو المقبول ان يكون فصل في عشر صفحات واخر في صفحتين أو ثلاث.

---

(١) ومن الغربيين من يقسم الكتاب الواحد إلى كتب مثل جمهورية افلاطون واعترافات جان جاك روسو. وعرف العرب هذا التبويب - أو التفنين - ومن أمثلته لديهم: أدب الكاتب لابن قتيبة.

واذا كان الكتاب في ابواب واستغرق الباب الأول ما يساوي ١٠٠ صفحة، كان الباب الثاني حوالى ذلك: ٩٠، ٩٦، ١٠٤، ١٠٠ ومثله الباب الثالث... هكذا.

ومعلوم ان المسألة ليست مسألة حجم فقط، أي انك لا تعمل ذلك ارضاء للحجم وحده، فاذا كان الفصل الاول لديك في ١٠ صفحات فان ذلك يعني ان هذه الصفحات العشر تستوعب وحدة معينة من الموضوع، وان الوحدة المعينة الثانية من الموضوع يجب ان تكون قريبة منها، والا دل عملك على سوء توزيعك وسوء توزيع خطتك.

ان الحجم يعني التناسب في المعاني التي تقوم عليها الوحدات، وليس تحكما بها ترقيعا لمادتها من أجل ان تجمع عشر صفحات أو ما يقرب من ذلك؛ وكذا الشأن في الأبواب والاجزاء. ولذا فليس من المستحيل ان ترى بابا يتألف من ثلاثة فصول (أو أربعة) وترى بابا ثانيا ذا فصل واحد طويل، لان التناسب هنا يقع في مجموع صفحات الباب الواحد، لان الوقوف بباب دون تقسيم اذا كانت طبيعة وحدته تقتضي ذلك خير وأصح من تقسيمه قسراً إلى فصول.

ان التجزئة وضعت-كما قلنا-للتسهيل والتوضيح... والتوحيد ان شئت.

من هنا وجب ان تكون طبيعية. أما اذا كانت مقتسرة فانها تؤدي إلى الضرر وإلى خلاف الغاية التي وجدت من أجلها.

٢ - تتألف الخطة في الأساس، إذاً، من التبويب الذي توزع عليه مادة البحث الأساسية. ويتكون بذلك لديك صلب الموضوع أو صميم المادة وان شئت قلبه أو لبه (corp) وقد رأينا ذلك.

وتسبق هذه الفصول (وهذا الصلب «مادتان» أصبحتا من مستلزمات البحث ومكملاته، وبلغتا-على الزمن-درجة الضروريات. وهاتان هما:

١ - المقدمة. (préface =) preface) ومن العرب القدامى من يسميها خطبة الكتاب.

ب - التمهيد. وأكثر المؤلفون العرب المعاصرون من تسميته: المدخل ترجمة لـ: (introduction =) introduction)-وكلمة التمهيد أولى. وقد يسمى التوطئة.

وقد تلي المقدمة «دراسة المصادر» (étude des sources).

ولا تلزمك هذه «الكلمات» الثلاث تفصيلاً-في هذه المرحلة-لان أمرها معروف جداً. لانك تكتب-كما سنرى-في المقدمة كلمة قصيرة عن أمور من اختيار الموضوع

وأسلوب معالجته ؛ وفي التمهيد تتحدث عن العصر بما له صلة بالموضوع ؛ وفي دراسة المصادر تبين الأهم فيها وصلة بعضها ببعض – ومناسب ان تسجل ما يعن لك من مواد المقدمة والتمهيد في الدفتر المساعد ، فكثيرا ما تكتبان بعد كتابة الموضوع نفسه .

وتلي الفصول (الصلب) مادتان أخريان هما[١] :

(أ) الخاتمة (conclusion =) conclusion).

(ب) الفهارس[٢] (index =) index).

وقد يضاف بينهما لدى الضرورة ملحق (appendix =) appendice) أو ملاحق[٣] .

أما قائمة المصادر (bibliography =) bibliographie) (فهرسها ان شئت) فيمكن وضعها بعد المقدمة ، ويمكن تأخيرها إلى أول الفهارس وكأنها فهرس – والتأخير أشهر ، ولعله أنفع لما يحتمل من أكتشاف مصادر جديدة بعد طبع الصفحات الأولى ...

٣ – تجنب الخطط الجاهزة . من الناس من يلجأ بعامل من الكسل أو الجهل – إلى خطة جاهزة ، وهي ما يسميه الفرنسيون (plan de teroire) كأنك واضعها في درج مكتبك تقدمها لكل طالب وفي كل مناسبة ، والمقصود انك تقدم لاستاذك خطة مثل أية خطة أخرى لا تدل على شيء ولا تبين عملك بعناصر بحثك وطبيعته الخاصة . فما يكاد يطلب اليك خطة حتى تسرع تسطر على الورق .

المقدمة
التمهيد
الباب الأول ، الفصل الأول ، الفصل الثاني ...

---

(١) وقد يوضع فصل خاص بعد التمهيد وقبل الفصول الحقيقية لأن مادته أكثر من مقدمة وتمهيد ، وأقل من أن تكون فصلاً أصيلاً . وقد تسميه « فقرات اعدادية » أو « بين يدي الكتاب » ترجمة لـ (préliminaire preliminary =) وان كانت المقدمة والتمهيد والمصادر كلها مما يمكن أن يدخل في « بين يدي الكتاب » أي المقدمات للمادة الاساسية .

(٢) سيفصل الكلام على المقدمة والتمهيد والخاتمة والفهارس في الفصل الثامن .

(٣) ويحدث للمؤلف أن يقسم كتابه إلى أبواب والابواب إلى فصول ، وتبقى لديه مادة لا تصلح أن تكون باباً أو فصلاً من باب ، وتضيع اذا دسها في التمهيد أو الخاتمة ، وتحول اهميتها دون أن تتخذ ملحقاً . « وتدعو مثل هذه الحال إلى شيء من المرونة كأن تخصص لها فصلاً مستقلاً قبل الخاتمة » .

الباب الثاني ، الفصل الأول ، الفصل الثاني ...

الخاتمة

الفهارس

وهذه لا تعني شيئاً لديك ، أما لاستاذك فهي والجهل سواء. إنك بعملك هذا اشبه بخياط لا يعرف الا نمطا واحداً يخيط عليه الملابس لكل قادم دون نظر إلى حجمه وعمره وقماشه ، وأشبه بمهندس معماري يقدم خريطة واحدة لكل قادم دون نظر إلى مساحة الأرض وموقعها والاسرة التي ستسكن البيت المنتظر.

لا ، ليس المهم التقسيم وحده ، فهذا سهل جداً ، وانما المهم ما يعنيه التقسيم وما يتصل منه بطبيعة بحثك وما يومئ اليه من روح ويشير اليه من تفصيلات خاصة به.

واياك اياك ان تظن أنك إذا أضفت إلى مصطلحات التبويب بعض كلمات خرجت عن دائرة الخطة الجاهزة فتقول (اذا كان موضوعك يتناول شاعراً) :

المقدمة

التمهيد

الباب الأول : حياته

الفصل الأول : نشأته

الفصل الثاني : شبابه

الفصل الثالث : نضجه ونهايته

الباب الثاني : شعره

الفصل الأول : المديح

الفصل الثاني : الرثاء... الخ.

لان هذا لا يدل على أكثر مما دل عليه عملك الأول ، وليس هو خطة بالمعنى المقصود من الخطة-على أي حال.

انك ان فعلت ذلك تسيء إلى نفسك اساءة بالغة ولا تزيد في عملك على بائع البدلات الجاهزة ، تلبسها كل طارق وتكون النتيجة انها لا تنسجم تمام الانسجام فهذه أطول مما يجب وتلك أقصر مما يلزم.

نعم، هناك خطوط عامة لاية خطة، خلاصتها التبويب، وخبرات فيه يحسن ان يلم بها الباحث. ولكن الخطوط العامة ليست شيئاً كبيراً. ان أهميتك وأهمية خطتك تنبع من الجزئيات وما هو خاص بك وفي اختيار الخطوط العامة المناسبة بهذا البحث دون غيره. فما كل شاعر يدرس على بابين: حياته وشعره، فلعلك لا تجد في حياة شاعرك ما يكون بابا، وقد يكون لديك من أخبار الشاعر وتواريخ هذه الاخبار والقصائد ما يمكنك ان تربط في كل فصل بين حياة وشعر. وقد يكون شاعرك قد عرف بغرض واحد من أغراض الشعر فلا معنى في هذه الحالة لتحديدك فصولا لاغراض ليس له فيها شيء أو شيء يذكر، وربما لا يكون.

تقلب شاعرك - أو أي موضوع لبحثك - على الف وجه ووجه، حتى تهتدي إلى الخطة الأنسب التي لا تفضلها خطة أخرى، وانك ان نوقشت كنت مستعداً للنقاش لأنك ستكون أعرف من غيرك بالمحاسن والمساوئ... ولا شك في ان الخطة المبتكرة أبعد منالاً وأكثر اجهاداً ولولا ذلك لما كانت المطلوبة في البحث. ان الخطة المبتكرة هي المناسبة لأنها نابعة من صميم الموضوع ولأنها تقدم الموضوع أكثر حياة.

ومن هنا حسن التأني في وضعها وحسن أن تقرأ كثيراً وتدرس كثيراً حتى تألف موضوعك فاذا تم ذلك أقدمت على وضعها وتكون في هذا أقرب إلى الكمال والثبات والا اضطررت إلى تغيير في كل خطوة تخطوها.

٤ - بعد ان تنتهي إلى صورة مناسبة من صور الخطة، تنظر فيها وهي في آخر شكلها الذي وصلت بها اليه، ثم تعدل وتبدل... وتحكم معتمداً المادة التي لديك والخبرة التي تراكمت عندك واجهد في الا تدع ما هو ليس منها يتسرب إلى أجزائها، والاّ تكتنفها الثغرات فتحرمها صفة الوحدة العضوية الموضوعية[١]. وموقفك في كل

---

(١) انك اذ تنظر في عدد من مخلفات القدماء من المؤلفين العرب فتراه. مترابط الأجزاء متناسب الأطراف، تدرك - على رغم ما ترى في كتب أخرى من استطراد أو اضطراب - انهم عرفوا جيداً مفهوم الخطة الصحيحة. وقد تنبه الغرب ونبه إلى الوحده مبكراً. وأمر أرسطو مشهور (ينظر له: فن الشعر، الخطابة)، ودخل المفهوم في التراث وتأكد على مر الزمن. ولاغرو أن وقف عنده أديب فرنسي من القرن الثامن عشر - هو بيفون - وقفة خاصة في خطابه الذي ألقاه في الأكاديمية الفرنسية، فكان مما قال:
«ولكن قبل ان نبحث في النظام الذي تصب فيه الأفكار يجب أن تكون ثمة خطة أشمل وأثبت، اذ من الواجب ألاّ تدخل إلاّ العناصر الأولى والأفكار الاساسية، وبتعيين مكان العناصر والأفكار من هذه الخطة الأولى يكون الموضوع محدداً معروف المدى... ان هذه الخطة ستكون الشبكة التي تبث خلالها شخصيتك» - تنظر ترجمة الدكتور أحمد بدوي لهذا الخطاب بعنوان «الاسلوب» في كتابه «في النقد والأدب - المجموعة الأولى» القاهرة، ط٢، مكتبة. نهضة مصر، سنة ١٩٦٠، ص ١٨١ - ١٩١.

ذلك موقف الحذر والتهيؤ كأنك قائد في جبهة قتال لا يدري من أين سيهاجم فيقوي كل الجبهات ويقضي على كل الثغرات – من أجل ان يربح المعركة وينتصر.

ويقتضي هذا النصر الأناة، وتقتضي هذه الأناة ان تترك خطتك حينا من الزمن دون ان ينقطع تفكيرك بها وكلما طرأ رأي أو عرض خاطر أو جد خبر رجعت اليها تتأملها وتجري ما يجب اجراؤه.

ان مدة التخمير هذه ضرورة...

حتى اذا بدت لك مستوية متكاملة متناسبة حق لك ان تأخذها إلى أستاذك (بعد ان تحصل منه على موعد يناسبه للقاء) – أن العجلة تضرك، وقد تسبب لك من الاتعاب ما لا ينتهي وما كنت في غنى عنه – وقديما قالوا: «رب عجلة تهب ريثا». «وقد يكون مع المستعجل الزلل».

ولا غرو، فالخطة هي الأساس الذي سيقوم عليه بحثك وهي المحك الذي يبين علمك ودرايتك واخلاصك، انها من أخطر ما تواجه به استاذك. فاحذر العجلة، واحذر ان تقابل استاذك وانت على ضعف من أمر من أمور موضوعك لئلا تتعرض إلى الذم أو السخرية وسوء الانطباع. وقد يرفض الأستاذ خطتك ويرفض معها الاشراف عليك.

ومن الاساتذة من يكون شديداً جداً في البدء، وانك معه في امتحان كلما قابلته. وذلك حقه عندما تكون طارئاً عليه لم يعرفك في مراحل دراستك السابقة. أو انه عرفك في وجه من الوجوه ولم يعرفك في وجه من وجوه البحث.

انك تنجح لدى استاذك ان اعددت خطة متكاملة وشفعت هذا الاعداد بعلم في أجزاء الموضوع والخطة وعلم عام وأدب في المخاطبة والمحادثة والمساءلة والمناقشة. وحاذر ان يدفع بك الظن ان تسعى لاستغفال (الاستاذ) وحاذر ان تبادر بأجوبة وتعليقات لم تسأل عنها، وان تسيء الأدب من حيث تقصد إلى احسانه.

ان رفض الخطة أو طلب تعديلها أمر يقع لانك عملت خطتك ضمن علمك واخلاصك، وللاستاذ علم آخر وخبرات أخرى – «فوق كل ذي علم عليم». واذا حدث لخطتك شيء من هذا فلا تتألم كثيراً لانك ستعمل خيراً منها واصلح، وان ما تحسب أنك تضيعه في احكامها من وقت لن يذهب سدى، لانه سيوفر لك من الوقت اللاحق ما يعوض. والخير كل الخير ان تبدأ البناء بعد احكام الخطة، والا اضطررت إلى هدم واعادة بناء مما يؤدي إلى تشويه واضطراب وتأخير.

اذا رفضت الخطة أو طلب اليك تعديلها فلا تتعجل العودة إلى الاستاذ كأنك في مسابقة مع الزمن. ان المعقول ان تعاود الاطلاع والتأمل والشروع بمنطلق جديد مشتق من هذه المعلومات الجديدة وفي ضوء ملاحظات الأستاذ وتوجيهاته.

أجل، الخطة أمر خطير لا يقل عن البحث نفسه...

حتى اذا استقامت مجدداً عدت اليه، وعرضت عليه الأمر وسمعت منه، فان اقتنع بها عاجلاً (أو آجلاً كأن يبقيها عنده اسبوعاً أو أكثر يدرسها وينقدها) سمح لك بتثبيت الموضوع (والتقدم إلى الجامعة بتسجيله ان كنت طالب درجة علمية للماجستير أو الدكتوراه).

٥- ولا تحسب ان العمل في الخطة ينتهي بهذا الحد. لان هذا لا يمثل الا صورة مقبولة من صورها لبدء العمل، ولكنك لا بد معدل فيها، حذفا وزيادة كلما تقدمت في الموضوع تبعا لما يجد لك من مادة وعلم ورأي. وقد يؤدي ذلك إلى حذف باب كامل وقد يؤدي إلى زيادة باب أو فصل. ان أية خطة عرضة للتغيير والتبديل في أية مرحلة من مراحل العمل.

هذه هي طبيعة الأشياء وعلى الطالب ان يعرفها سلفاً. أما الاستاذ فهو يعرفها جيداً. والمهم –هنا– انك لا تجري هذا التغيير وأي تغيير–من دون مراجعة الاستاذ والاتفاق معه عليه. (ومن الاساتذة من يحتفظ بصورة من الخطة، يرجع اليها بين الحين والحين، ومنهم من يعي الأجزاء وتبقى في ذهنه...) والّا فقد يغضب، ويكون الغضب شديداً اذا علم تصرفك الشخصي، ولا سيما اذا كان هذا التصرف يسيء إلى وحدة البحث أو شعر انك استغفلته لسبب خاص بك كالكسل أو التعجل بالانتهاء.

أجل، ان الخطة أمر خطير، لا يقل عن البحث نفسه.

ملاحظة: يحتفظ الطالب بصورة للخطة يحملها معه دائماً، ولا سيا لدى مقابلته استاذه المشرف، فقد يسأله عنها. ويطلبها ليربط الفصل الذي يقدمه اليه بسابقه أو لاحقه. وقد يجري فيها تعديلاً في ضوء ما يجد خلال البحث–انها مذكرة للطالب وللاستاذ.

الفصل الخامس

المصـــادر

(١)

أنت الآن ملم بمصادرك فقد اقتضى ذلك اختيار الموضوع ورسم الخطة. ذلك الملم فقط. أما المطلوب منك بعده فعلم بالمصادر وطريق الى العلم قبله. وهذا يوفر عليك كثيراً من الوقت ويهيئ لك كثيراً من النظام ويجنبك الخلط «والفوضى» والرجوع مراراً الى المصدر الواحد في الخبر الواحد. ولكي تدرك خطر المصادر في منهج البحث تذكر أن من أسس منهجنا أنه يقوم على المصادر واستعمال المصادر لجمع المادة اللازمة...

تبدأ الآن وكأنك تبدأ لأول مرة. والمصادر - في أبسط تعريفاتها - الكتب التي تحتوي على مادة من أخبار أو نصوص نحتاج اليها في بحثنا. وقد استعملنا الكلمة - مصادر - هنا بمعناها العام المطلق، والا فاننا اذا اردنا الى الدقة والتحديد رأينا أن الكتب التي يقوم عليها البحث في موضوع قديم ويتصل بمادتها على نوعين:

الأول: الكتب القديمة التي يعود اليها الباحث ليأخذ منها مادته الخام. وهي وحدها الجديرة باسم المصادر (sources =) sources). ومن المصادر ما يرقى تأليفه الى عصر الموضوع الذي تكتب فيه ومنها ما يعود لعصور تالية له. ولا شك في أن الأقدم هو المهم - ولكن على سبيل التعميم فقد نجد في متأخر ما لا نجده في متقدم.

ولا بد من أن يأتي في طليعة المصادر: النصوص الانشائية (من شعر ونثر فني) التي أنتجها الأديب الذي تدرسه - ان كنت تدرس أديباً، والمادة التي أنتجها الأدباء الذين يكونون المادة الأولى لبحثك ان كان عصراً أو تياراً أو غرضاً أو ظاهرة أدبية - تلك بديهية، ومنها كل المؤلفات الأخرى التي خلّفها ذلك الأديب أو أولئك الأدباء.

الثاني: هذه المؤلفات الحديثة التي كتبها مؤلفون معاصرون لنا أو من أبناء العصر الحديث في موضوعات قديمة.

ومن هـنـا حسن تمييزها عن المصادر فسميت المراجع

(references (= références) نقول : حسن ، وان كان ذلك واجباً لأن من الناس من يقول : المصادر ويريد المراجع ، ومنهم من يقول المراجع ويريد المصادر ، ومنهم – وهم الأكثر – من يطلق لفظة ويريد الى ما تشتمل عليه اللفظتان.

أما نحن فنفضل التفريق بل نلتزمه لأنه أدل وأجدى.

نسميها مراجع لأنها ألفت لعامة القرّاء لتكون أقرب شيء يرجعون اليه للعلم بشيء أو العلم بعدة أشياء. والمفروض في أصحابها أنهم اعتمدوا المصادر لدى جمع مادتهم وتأليفها، وخلاصة القول في المراجع أنها الفت للقرّاء أولاً، أما المصادر فهي للمؤلفين أولاً. ان المراجع لعامة طالبي المعرفة، أما المتخصصون فيذهبون الى ما هو أبعد منها، الى المصادر – أو المنبع ان شئت.

ومهما تبلغ المراجع من القوة فانها تظل ثانوية في عملك، وثانوية جداً. ترجع لها – أول الأمر – لتتذكر موضوعاً أو لتلم بأوائل الاشياء أو لتقف على وجهة نظر. واذا كان مرجع ما قد استوفى بحث موضوع ما في مصادره. لم يعد مناسباً أن تستأنف البحث فتضيع وقتاً يحسن أن تدخره لموضوع بكر أو شبه بكر.

نسمي، اذاً، الدراسات المتأخرة في موضوع قديم: المراجع ،ويعني ذلك قلة قيمتها ازاء المصدر.

أما اذا كنت تبحث في موضوع حديث أو معاصر فان ما تقرأه عنه في الجرائد والمجلات والكتب الحديثة، وما تأخذه شفاها يدخل في باب المصادر لصلته الشديدة المباشرة بالموضوع. وليس معقولاً أن نقف منه موقفنا من مراجع الموضوعات القديمة.

مهمتك الآن، اذاً، أن تجمع أسماء أكبر عدد من المصادر التي يقوم عليها بحثك. فماذا تفعل؟

لا بأس في أن تبدأ سعيك بالمراجع العامة، فهذه – اذ تقدم نبذة عن الموضوع تذيله بعدد من المصادر المهمة. وما عليك الا أن تنقل في دفتر خاص – دفترك المساعد – هذه المصادر المذكورة هنا مع ما يمكن أن يكون مثبتاً جوارها من معلومات عنها في الطبع والتحقيق.

ثم تزيد عليها المصادر التي تذكرها مراجع عامة أخرى... وهكذا. وعلى هذا تكون المراجع العامة دليلاً على المصادر ومفتاحاً الى بابها.

رأينا أن من أشهر المراجع العامة: تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ط ٢، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان، دائرة المعارف الاسلامية، ويمكنك أن تضيف اليها الاعلام ط ٢ للزركلي ومعجم المطبوعات لسركيس ومعجم المؤلفين لكحالة ومصادر الدراسة الأدبية ليوسف أسعد داغر.... وتاريخ الأدب العربي لعمر فرّوخ...

وتضيف الى ذلك ما يمكن أن تلتقطه وأنت تنظر في المراجع الأقل عموماً. وفيما تذيل به الدراسات الحديثة من قوائم المصادر وفيما تقع عليه في فهارس المكتبات العامة والخاصة للمطبوع والمخطوط، وفهارس المكتبات التجارية أو ما تعثر به على هذا الرف أو ذاك من رفوف المكتبات، وتسمع به من هذا أو ذاك ممن يجري لك معهم حديث أو تستمع منه الى حديث - ولبكن دفترك المساعد معك معك.

انك الآن في دور التقاط الاسماء التي تتصل بموضوعك أو تحسب انها تتصل بموضوعك ولا بأس في أن تلتقط مع الأسماء ما يتيسر من معلومات أخرى موجزة عن الكتاب وعن المؤلف.

وهناك مفاتيح أخرى يعرفها المتمرسون، تدلهم عليها طبيعة الموضوع. فما تكاد تذكر الموضوع حتى تمر بخاطرهم مجموعة من الدواوين وكتب النثر ومجموعة أخرى من كتب الأدب واللغة والنقد، ومجموعة من كتب التاريخ والجغرافية... الخ وما عليهم بعد ذلك التثبت من صحة الخاطر.

ومن المفاتيح: اسم العلم، تاريخ الوفاة أو الحادث، الموقع والبلد... الخ لأن المصادر ما يبوب على أحد هذه المفاتيح...

وهناك كتب (مصادر) هي من أولى أدوات الباحث في الأدب العربي القديم مثل طبقات الشعراء لابن سلاّم، والشعر والشعراء لابن قتيبة، والأغاني لأبي الفرج الاصبهاني، ويتيمة الدهر للثعالبي، وخريدة القصر للعماد الاصبهاني، والذخيرة لابن بسّام، ونفح الطيب للمقري، ومعجم الأدباء لياقوت، ووفيات الاعيان لابن خلكان... الى غير ذلك من كتب لا بد من معرفتها في بابها من اللغة والتاريخ والجغرافية والفقه والحديث والتفسير... وما يخص كل قطر على حدة... وكل قرن.

لكل مصدر من هذه المصادر سمات خاصة وأهمية معينة في موضوعه والزمن الذي يستغرقه والأساس الذي يقوم عليه. كما أن لمؤلفيها أخباراً معروفة في علمهم وأمانتهم وأخلاقهم وميلهم...

وكان الطالب يجد صعوبة في الالمام بالمهم من هذه المعلومات وقد يحس بقصور وعجز لأنها ليست مما يمكن أن يحيط به في سهولة، أما الآن فقد خفت هذه الصعوبة وكادت تزول بعد أن وضعت في ذلك الكتب والادلة[1]، وبعد أن شرعت الجامعات تدرس الطالب في صف مبكر من الكلية ما يسمى بدرس «المكتبة».

ان درس المكتبة مهم لأكثر من سبب، ولكنه مهم بوجه خاص في الاعداد للبحث الجامعي. والدرس في جملته ضرب من العلم بالمصادر اما «البقية» فهي من مسؤولية الطالب اذ يجب عليه أن يطلع على المصادر المهمة ويقرا صفحات فيها وأن يقرن ما يأخذه في درس المكتبة نظرياً بالعمل وليس ذلك صعباً[2].

ان طالباً كان بين مواد دراسته: المكتبة، لا يعذر اذا جهل الأمات. على أن المطبوع ليس كل شيء، وأنه أحياناً ليس أهم شيء. والحقيقة أننا في بحوثنا لا نجد ما يلزمنا من الطبعات المحققة تحقيقاً علمياً، لتأخرنا في هذا الميدان ولغلبة التجارة على المتبارين فيه.

وهذا أذ يضاعف مهمة الباحث يقتضيه الرجوع الى مخطوطات عدد من مصادره المطبوعة – ويدعوه أكثر من ذلك الى البحث عن مصادر ما زالت مخطوطة ليستطيع أن يكمل جوانب بحثه ويسد ثغراته لئلا يضطر الى اعادة النظر في بحثه رأيه عندما تكتشف المخطوطات أو تنشر، ولكثير من المخطوطات العربية في الشرق أو الغرب فهارس خاصة تدل على وجودها وتقدم وصفاً موجزاً لها.

حتى ما قيل من أننا لم نبدأ كما يجب أي أننا استعجلنا البحث، وكان علينا أن

---

(١) من هذه الكتب ما ألفه الدكتور أمجد الطرابلسي بعنوان «نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب» وقد صدرت الطبعة الأولى سنة ١٩٥٥، والدكتور عمر الدقاق بعنوان «مصادر التراث العربي» ١٩٦٨، الدكتور عزة حسن بعنوان «المكتبة العربية» ١٩٧٠.

(٢) ومفروض في الطالب معرفة طريقة الاستعارة والنظام الذي تسير عليه المكتبات في عمل بطاقاتها موزعة على أسماء الكتب والموضوعات ... وطريقة مرفل ديوي هي الغالبة في التصنيف – من أراد هذه المعرفة أو الاستزادة منها فانه يجد ما يكفيه في كتاب ثريا ملحس، منهج البحوث العلمية، وكتاب الدكتور عمر جبرين، كيف تكتب بحثاً جامعياً، عمان، ط ١، ١٩٧٢.

ويعنى عدد من كتب مناهج البحث العلمي بموضوع المكتبة وتصنيفها والاستعارة منها. واحتل الموضوع مكاناً واسعاً من كتاب (perus). وزاد في الكلام على طريقة ديوي الكلام على الطريقة السوفيتية مبدياً مزايا كل منها.

ويمكن الاطلاع على طريقة ديوي في أي من كتب «فن المكتبات»، وهي في تزايد.

نوجه الاهتمام أولاً إلى التحقيق العلمي والنشر الصحيح لنقف على أساس متين حين نرى ونقول[1] ...

وأولى النصائح في باب المصادر أن تعتمد نفسك في البحث عنها والالمام بها، فلا يحسن بك ولا يليق أن تمسك بتلابيب الرائح والغادي تسأله عن الأسماء، وعن المصادر وعن المهم والأقل أهمية.

واياك اياك أن تعجل في سؤال استاذك عن المصادر لئلا تخسر ثقته.

ان سؤال الاستاذ ممكن، ولكن بعد أن تثبت له أنك علمت الشيء الكثير الكثير؛ انه ممكن - ولكن في آخر مراحل جمع الاسماء... وقد يأتي طواعية عند اطلاعك إياه على هذه الاسماء مرتبة.

(٢)

لقد أصبح لديك الآن عدد لا بأس به من المصادر. فماذا تفعل؟

ترتب هذه المصادر بحسب تسلسلها الزمني مبتدئاً بالاقدم وتثبت ذلك في دفترك المساعد.

وأكثر ما يقصد بالتاريخ الأقدم تاريخ وفاة المؤلف (لان تاريخ التأليف مما لا يتيسر العلم به، ولو تيسر كان مناسباً أن يؤخذ بنظر الاعتبار، ولكن المعتاد أن المؤلف يبقى يعلق ويضيف الى كتابه حتى نهايته) مستعيناً على تحديد التاريخ بالمراجع العامة الموثوق بها (على أن تصحح - فيما بعد - ما يمكن أن تقع فيه المراجع من خطأ في تحديد التاريخ) أما اذ استطعت تحديد التاريخ بالرجوع الى المصادر فذلك أحسن ولكنه صعب على من يؤلف أول مرة.

ان هذا الترتيب الزمني يعين لك نقطة البدء: تبدأ بالمصدر الاقدم. ولهذا أكثر من فائدة:

الأولى: أن الاقدم أقرب الى عصر الموضوع، ويكون خبره - على هذا أقرب في العادة الى الصحة لأنه أقرب الى الاحداث. وقد يكون معاصراً لها وحينئذ يزداد قرباً من الحدث وصحة الرواية - مع محذور لا بد منه لدى ذكر المعاصرة، فقد يكون في المعاصر

---

(١) ينظر أمين الخولي: الأدب المصري - فكرة ومنهج، القاهرة، مطبعة الاعتماد ١٩٤٢.

الحسد والمنافسة والعصبية لغرض أو عقيدة أو شخص... وحينئذ يحسن بك الانتباه والوقوف موقف اليقظ.

الثانية: قد يروي أكثر من كتاب خبراً واحداً باسناد مختلف. وفي هذا تقوية لصحة الخبر.

الثالثة: كثيراً ما تأخذ المصادر بعضها عن بعض، فاذا نصت هذه المصادر على المصدر الذي أخذت عنه حلت المشكلة وأفدنا من المتأخر في تصحيح المتقدم الذي لم يرد سليماً. وان لم تنص المتأخرة على مصدرها المتقدم فاننا سنعرف السابق على الرغم من التعمية، فنسلب ثقتنا هذا المؤلف الذي ينقل من هنا وهناك ويدعي التأليف الأصيل أو يظهر بمظهره – لقد وضعنا يدنا على السارق والمسروق.

ولا شك في أن الخبر الأقدم... اذا تكرر كان الاجدر بالاعتماد.

الرابعة: قد تروي مصادر متأخرة خبراً مهماً عن مصدر متقدم مفقود، وتكون حينئذ للكاتب أهمية خاصة، وأن الخبر الذي يذكره يقدم على غيره لأن الذي يؤخذ بنظر الاعتبار في هذه الحالة تاريخ الكتاب المفقود، أما الكتاب المتأخر فهو وسيلة نقل، له فضل الاحتفاظ ببعض ما لم تحتفظ الأيام بجملته.

ان صاحب الكتاب الضائع يقدم اذ يأخذ مكانه الزمني في سلسلة المؤلفين. وكل ما في الأمر أن يشار الى أن الكتاب مفقود وأن أخباراً ونصوصاً رويت هنا وهناك من هذا الكتاب أو ذاك فيما جاء بعده.

(٣)

بعد أن تنتهي من الترتيب الزمني للمصادر تبدأ بدراستها، وتنصب أولى هذه الدراسة على الطبع بمعنى أنك تختار أحسن الطبعات وأدقها أو ما يسمى الطبعة المحققة (تحقيقاً علمياً). ومن شأن الطبعة المحققة أن يقف عليها محقق متخصص أمضى وقتاً وجهداً طويلين في البحث عن المخطوطات ودراستها ونقدها ومقابلتها وكتابة مقدمة «مركزة» تعرف بالكتاب وصاحبه ومخطوطاته ثم انهاء الكتاب بفهارس نافعة.

وتجد في المقدمة – عادة – ما يفتح لك الطريق في دراسة المصدر وصاحبه.

وقد يكون للمصدر الواحد طبعتان أو ثلاث (أو أكثر) وعليك – في هذه الحالة دراسة الموقف وتمييز الطبعة الحسنى (مع بيان السبب إن أمكن. ولا يشترط أن تكون

الطبعة الأحدث هي الحسني أو ما طبع في أوروبة هي الأصح...) لأنه لا يحق لك أن تعتمد في بحثك أية طبعة تتهيأ لك. انك محاسب على ذلك، واعتمادك طبعة رديئة – مع وجود الجيدة – يعني انك تجهل اوليات منهج البحث أو أنك تستهين بمهمتك أو تؤثر الكسل في أقل تقدير.

عليك أن توفر الطبعة الحسنى، فان استحال عليك، اعتذرت بما يقنع المناقش، علماً ان الطبعات الحسنى لا تعفيك من مراجعة الطبعات الأردأ، للنص على الخطأ حيناً، وللعثور على ما قد يفوت الطبعة الحسنى – وقد قيل: في الزوايا خبايا، وتجد في الاسقاط ما لا تجد في الإسفاط.

أما اذا كان المصدر مخطوطاً، فلا بد من دراسته ونقده وتبيين قيمته والأسباب التي تدعو الى تفضيل مخطوطة على مخطوطة أو تفضيل مخطوطة على مطبوعة أو الاستعانة بها مع المطبوعة – اذا كانت مطبوعة.

ان دراسة المخطوط مهمة صعبة، وهي خاصة بالمحققين، لأنها عمل قائم بنفسه، وليس من اليسير أن تقوم بدور المحقق والمؤلف في حين واحد.

وللتحقيق اصوله وقواعده ومتطلباته في النقد. وانك اذ تعرف ذلك تحاذر ان تختار موضوعاً يعتمد مصادر مخطوطة كثيرة، ولا تقدم على ذلك الا اذا كنت مَطمئناً الى صبرك ووقتك وعلمك.

أما اذا قامت دراسة على مصدر مخطوط كأن تجعل شاعراً موضوعاً لبحثك وليس لذاك الشاعر الا ديوان مخطوط، فان عدداً من الاساتذة المدققين لا يقبلون منك الموضوع خشية أن يجوز على الباحث ما في المخطوطة من خطأ وخوفاً مما يسمح به طالب لنفسه من خطأ متعمد وحينئذ لا يمكنهم تبين ذلك لأن المخطوط ليس في متناول أيديهم. والقاعدة السليمة: التحقيق أولاً ثم الدراسة.

تدرس في المصدر الذي بين يديك: تاريخ تأليفه، أهم موضوعاته واتجاهاته، نظامه وتبويبه وما الى ذلك من أمور عامة يحسن أن يعرفها الباحث والقارئ عن أي مؤلف ثم تعنى عناية خاصة بما لهذا المصدر من صلة بموضوع البحث ولدى الحاجة اليه فيما هو فيه وحده أو ما كان مأخوذاً عن غيره...

تثبت دراستك في دفترك المساعد.

وتتصل بدراسة المصدر دراسة صاحبه: اسمه الكامل، ميلاده، علمه، أخلاقه... أهم ما يتميز به... وفاته.

وتكون هذه الدراسة (الموجزة) عامة من حيث هو مؤلف، وخاصة من حيث صلته بموضوع البحث عن قرب أو بعد وتعصب لفلان أو عليه... أو حياد. وهذا ينفعك سلفاً لتكون على علم وحذر فيما تأخذ وتدع، وينفع القارئ كذلك ليكون مثلك. ان هذه المعرفة أساس في المناقشة وعامل في الرفض أو القبول – ولا غرو أن عني أصحاب الحديث بالسند عناية ما بعدها من عناية.

ان دراسة المصادر تنفع كثيراً. ومن الباحثين من يستهين بها فتفوته أشياء كثيرة. ومنهم من يمنحها حقها من الاهتمام ولكنه لا يثبت نتائجها في صدر بحثه كأن مثل هذه الدراسة خاصة به، أو كأنها لم تصبح تقليداً مفروضاً في الدراسات العلمية... ولكننا نفضل اثباتها لنشرك القارئ معنا في هذه المعرفة ولنحفظها من الضياع ولتكون أساساً لدراسات لاحقة – ولا بأس في أن يعفى منها طلبة البحوث الصفية اذا اقتضى مستواهم ذلك.

ان دراسة المصادر لا تتم في يوم أو يومين. وكل ما تعمله في البداية أن تسجل خطوطاً عامة وتثبت قليلاً من المعروف المتيسر لديك، حتى اذا سرت خطوات أخرى في البحث جدّت أخبار ومعلومات وآراء هي من خصوص البحث بمكان. وكلما جد لك أمر سجلته في دفترك المساعد.

(٤)

المصدر بين يديك، تعرفه جيداً، في أحسن طبعة محققة تحقيقاً علمياً. فكيف تفيد منه؟ وكيف تقرأه؟ وماذا تقرأ منه؟

تلقي نظرة عامة من غلافه الأول حتى الأخير، واقفاً عند فهرس المحتويات أطول وقفة لتتثبت من وجود مادة لموضوعك وليتأكد لك مكانها. فاذا كان موضوعك علماً نظرت في فهرس الاعلام التي ورد فيها على شكل اسم علم «أو كنية أو لقب» وسجلت أرقام الصفحات لديك، فاذا كان بينها رقم مكتوب بحبر غامق أو كان هناك رقمان بينهما خط فذلك يعني انك تجد هنا أكبر ما يوجد في الكتاب من أخبار متصلة به... تنظر كذلك في الاعلام الاخرى ذات الصلة.

وقد يكون المصدر متسلسلاً على السنوات، وقد يكون مبوباً على الموضوعات، وقد يأتي مرتباً على الاعلام. فاذا عرفت ذلك خففت الى الصفحات التي تخصك منها تقرأ.. وتقتبس... وتجمع.

أما اذا كان المصدر غير مبوب أو أن طبعه غير محقق ، فلا بد لك من قراءته كله لتصطاد ما كان من موضوعك أو ما اتصل به - وتصبح هذه القراءة لازمة اذا كان المصدر اولياً اساساً في موضوعك - ولا يقوم في عذرك عن القراءة ضخامة الحجم أو تعدد الاجزاء أو سوء الطبع .

(٥)

فوائد أخرى :

١ - عندما تستعير كتاباً من مكتبة احتفظ برقمه في تلك المكتبة عندك في الدفتر المساعد ليسهل عليك الرجوع اليه متى احتجت الى ذلك ، وما أكثر ما تحتاج .

٢ - تخصص صفحة من دفترك المساعد لكل كتاب ولكل طبعة من كتاب وتكتب على هذه الصفحة ما يدخل في المعلومات المادية : اسم المؤلف الكامل . اسم الكتاب الكامل . اسم المطبعة . مكان الطبع . تاريخ الطبع . تاريخ المقدمة . دار النشر . السلسلة التي صدر فيها ورقمه من هذه السلسلة . اسم المحقق الكامل . عدد الاجزاء...

٣ - اذا كان بامكانك أن تقتني المصادر المهمة لمكتبتك الخاصة ففي ذلك خير كبير لحاجتك الملازمة اليها . فاذا كنت تدرس شاعراً .. أو كاتباً .. أو لغوياً اقتنيت أهم آثاره وأهم مصدر أو مصدرين في دراسته . وكذلك تفعل ان كنت تدرس اتجاها أو عصراً .

واذا استطعت ان تملك الى ذلك مرجعاً عاماً أعانك ذلك كثيراً لأنك مضطر الى الرجوع اليه في التحقق من رقم تاريخ أو حدث .

ان تكون لك مكتبة صغيرة خاصة يوفر ذلك عليك وقتاً ويزيدك ملازمة لبحثك . لأن المراجعة في المكتبة العامة تستنفد جهداً ووقتاً يضيعان عبثاً ، زد على انك ربما لا تجد الكتاب الذي يهمك جداً ، أو أنك استعرته اليوم فاستعاره آخر بعدك ولم يعده... أو... أو .

٤ - لا تعن في أول امرك بالمراجع ، واتركها الى مرحلة متأخرة ، ولكن هذا لا يمنع من تسجيل اسماء ما يمكن أن يهمك منها وتسجيل ما يعن لك من ملاحظات عليها... مع الاحتفاظ بارقامها في المكتبة على الدفتر المساعد أو في جزازة خاصة .

٥ - بعد أن أدرك عدد من الناشرين العرب اهتمام الدارسين بمتطلبات منهج

البحث، وعلموا أن هذا المنهج يعتمد الكتاب المحقق تحقيقاً علمياً. عمدوا بحسهم التجاري - الى تشويه الحقيقة بأن يهيئوا لمطبوعاتهم مظهراً مغرياً كأن يكتبوا على غلافها «قوبلت على عدّة نسخ خطية» أو أن يشتروا بعض الذمم «والاسماء» ويسعينوا بها على اخفاء التزييف بوضعها على الغلاف الخارجي والداخلي مسبوقة بكلمة تحقيق الشيخ أو العلامة أو الاستاذ دون أن يكون للتحقيق نفسه نصيب من الصحة. وتعمل هذه الاسماء كل ما تستطيعه لتلبية غرض الناشر لقاء أجر - لا أحسبه كبيراً - فيكتبون مقدمة فيها ادعاء كثير، ويذيلون عدداً من الصفحات بشروح وتعريفات ومقابلات لا طائل تحتها ولا قيمة لها، ويلحقون بالنص فهرساً أو فهارس من كل نوع اذا امتحنتها وجدتها كثيرة النقص كبيرة الضلال.

وقد يجر المال المحقق المعروف بعلمه ومكانته وتثبته الى أن يخفف قليلاً «أو كثيراً» من وزنه، فيسرع طمعاً بالنصيب الأوفى، ويقصر من حيث يسوّغ لنفسه السبب - وهذا مؤسف، فليس من السهل أن يولد المحقق وأن يكتمل. والعبرة فيه الا نثق - بعد - بالتحقيق ونعده علمياً اذا رأينا على غلافه اسماً سبق سمعنا الثناء عليه في تحقيق الكتاب الفلاني أو الكتاب الفلاني، كأن لكل كتاب حالته الخاصة به.

ثم كانت طبعات «الاوفست» اذ يعيد الناشرون طبع الكتب النادرة تصويراً. وقد يكون لهذا بعض الفائدة في تقريب البعيد المنال من المصادر، ولكن عيوبه ليست قليلة، وعلى رأس هذه العيوب تكرار الخطأ الذي وقع في المخطوطة المحققة قديماً، والقصور عن مرتبة الطبعة الأولى اذ تأتي بعض الصفحات غير واضحة وتصدر بعض الكتب ناقصة الأوراق أو الملازم. هذا الى أن الأوفست قد يحول دون بذل الهمة لتحقيق الكتاب تحقيقاً جديداً يكمل ناقصه ويستدرك فواته.

أما العبرة في هذا فان نعلم أنه إذا تهيأ الرجوع إلى الطبعة الأصلية فان ذلك أولى وأجدى من طبعة الأوفست.

والطبع بالأوفست - على أي حال - خير من استغلال ندرة المطبوع بأن يعمد ناشرون الى اعادة طبعة ممسوخاً اذ يعبثون بالمقدمة أو بالمقابلة بين النسخ أو بالفهارس... أو بهذه الأمور كلها.

وبلغ الاستغلال ببعض الناشرين في الأيام الأخيرة حداً عجيباً وبلغوا بالمسخ مبلغاً غريباً من نقص وبتر وخطأ في الضبط واختصار في الرواية... ولم يتورعوا من أن يضعوا على أغلفة مطبوعاتهم الجديدة أسماء وهمية للمكتبات أو البلاد أو المستشرقين.

لنكن على حذر من أمر المصادر التي بين أيدينا، ونضاعف من الهمة «النقدية».

الفصل السادس

جمع المعلومات

الجزازات

(١) الحزم

هناك أكثر من طريقة لجمع المعلومات من المصادر[١]، يشترط البحث العلمي الحديث واحدة منها، ويلزم المبتدئين - في الأقل - أن يتعلموها. هذه الطريقة هي طريقة الجزازات. وهي أكثر من سواها ضبطاً ودقة. وأيسر في التصنيف، وأنفع لدى استعمال المعلومات، وأبقى في امكان الرجوع إليها، وأجدى في امكان الاستفادة منها في مجال آخر لدى اللزوم.

الجزازة ورقة صغيرة من ورق سميك شيئاً، هي أشبه ببطاقات الدعوة الاعتيادية (وقد تسمى بطاقة أو جذاذة أو رقعة أو «كارتا» أو «فِيشة»[٢] وهي ترجمة لكلمة (card = fiche) وترى نظائرها في أدراج المكتبات العامة لفهارس الكتب والمؤلفين. وتكون مخططة أو غير مخططة، مستطيلة الشكل ١٣ سم × ٨ وقد تقل أو تزيد. وأهم من مسألة الحجم هذه ان تلتزم حجماً واحداً لا تغيره في مجموع بحثك، لأن تغيير الحجم من مجموعة جزازات إلى أخرى لا يحقق لك ما ترجوه من الدقة والنظام.

---

(١) من هذه الطرق: ان ينقل الطالب ما يجيء في المصادر من شؤون بحثه في دفتر خاص ينسق فيه النقل: يكتب على وجه واحد من الورقة، ويترك هامشاً كبيراً للصفحة يشغله لكتابة ما يدل عليه الخبر من أجزاء الخطة فاذا كان الموضوع شاعراً أو كاتباً أو لغوياً ... كتب: ميلاده، وفاته، صلته بالولاة، أسفاره. الغزل، الحكمة. الوزن، اللفظة ... الخ ليستعين بهذه العنوانات الجانبية على الكتابة فيما بعد.
ويمكن أن يستعمل هذا الهامش لما يثيره النص أو الخبر في ذهنه من آراء وملاحظات لينتفع بها في المراحل القابلة عند كتابة البحث.
وهذه الطريقة ممكنة عندما يكون البحث صغيراً. وقد تقبل بهذا الشرط ولكن الاساتذة والمشرفين قلما يوصون بها لما تسبب من اختلاط واضطراب وضياع.

(٢) فضل المؤلف في الطبعتين السابقتين «الجذاذة» على «الجزازة» وهو هنا يفضل «الجزازة» مستفيداً من النتائج التي وصل اليها النجدي في «منهج البحث الأدبي عند العرب» فانه - أي النجدي - لم يجدها إلا بالزاي - ثم انها تحل مشكلة من يلفظ الذال زاياً من العرب المعاصرين والأجانب.

تباع هذه الجزازات في السوق جاهزة، منها ما لم يكتب عليه شيء، ومنها ما طبع على رأسه كلمات مثل: اسم الكتاب... المؤلف... الخ. ويمكنك أن تعد أنت نفسك هذه الجزازات إذا صعب عليك شراؤها أو الحصول عليها.

تحضر أمامك عدداً غير قليل من هذه الجزازات، وتحضر أقدم مصدر متيسر لك وتبدأ تنقل إليها ما يتصل ببحثك على مقتضى خطتك عادة، مخصصاً الجزازات الأولى لمعلومات عن المؤلف (اسمه.. ولد.. توفي)، وبما ان هذا جزء من خطتك، وضعت مادة الخطة أي كلمة «مصادر» على الزاوية العليا اليمنى للجزازة، ووضعت كلمة «المؤلف» تحتها. وتخصص الجزازة الثانية للكتاب (اسمه الكامل، اسم المحقق - ان وجد - اسم السلسلة التي صدر فيها - ان وجدت، الرقم الذي يحمله الكتاب من هذه السلسلة، اسم المطبعة، وعدد الطبعات، مكان الطبع، دار النشر - ان وجدت. تاريخ الطبع، عدد الأجزاء، الجزء الذي تستعمله). تجد أكثر هذه المعلومات (المادية) على غلاف الكتاب، وتجد بقيتها على الغلاف الداخلي، وفي المقدمة، وعلى الورقة الأخيرة، والغلاف الأخير.

ولا يشترط في الكتب كلها أن تصدر في سلسلة عن دار نشر وان تكون محققة، ولست مسؤولاً عن تقصيها ان لم تجدها في الكتاب نفسه ولكن الشرط أن يكون في المصدر الأشياء الأخرى: مكان الطبع.. تاريخه فان لم تجدها كنت ملزماً بالاشارة إلى انك لم تجدها فتقول مثلاً: د.ط أي دون طبع، أي ان اسم المطبعة غير مذكور على الكتاب، وتقول: د.ت أي من دون تاريخ؛ وتقول: د.م أي طبع من دون ذكر لمكان الطبع.

تكتب على الزاوية العليا اليمنى للجزازة كلمة «مصادر» وتضع تحتها كلمة «كتاب».

أما على الزاوية العليا اليسرى للجزازة فتكتب دائماً اسم مؤلف هذا الكتاب الذي بين يديك.

انك تنتفع بهاتين الجزازتين - بعد أن تضيف إليهما خلاصة ما في دفترك المساعد، لدى دراسة المصادر - ان اردت ادخال هذه الدراسة في بحثك، ولدى عمل قائمة بالمصادر والمراجع - وهو أمر لا مفرّ منه.

ثم تبدأ تقرأ في المصدر الذي بين يديك - بدلالة الفهرس - ان كان له فهارس دقيقة - وتلتقط في قراءتك كل ما هو من موضوعك ناقلاً كل خبر وكل جزء من خبر

على جزازة خاصة بعد أن تكتب على زاويتها العليا اليمنى اسم الموضوع الذي يطوي تحته من موضوعات الخطة ونقاطها أو ما يمكن أن تنتفع به خارج نطاق الخطة وان لم يكن فيها. فإذا كان بحثك عن شاعر مثلاً وليكن بشاراً، كتبت على هذه الزاوية موضوعاً لمادة أول خبر يطالعك به المصدر: نسبه، بنو عقل، عماه، تعلمه، أبوه، صلة سلم الخاسر به... المهدي... قتله.

تكتب على الزاوية العليا اليسرى للجزازة اسم مؤلف المصدر الذي تنقل عنه: ابن سلام، الجاحظ، ابن قتيبة، ابن المعتز، الاصبهاني... الخ. ومن الباحثين من يهمل اسم المؤلف باسم الكتاب يضعه على هذه الزاوية.

ثم تضع تحت اسم المؤلف (أو اسم الكتاب) الجزء - ان وجد، ورقم الصفحة. هكذا: ٢ : ٢٣ أي الجزء الثاني على الصفحة الثالثة والعشرين...

انك إذ تنقل - وان كنت في مرحلة أولى يمكن أن تعد صماء (آلية) لا بد لك من أن تلاحظ ما تناقش به هذه الأخبار التي تقررها أو تناقش جزءاً منها. كأن ترى عوجاً في النص، ونقصاً في التحقيق واعتباطاً في النسبة، وان كلمة لم توضع في مكانها، وان تصحيفاً قد فات المحقق، وان ثقة وضعها هذا المحقق باحدى المخطوطات على غير قاعدة... وكأن تنبه إلى تناقض أو أمر لا يصدق وغير منسجم. لا بأس في أن تنقد على ما تقرأ لأن الحاسة الناقدة من شروط الباحث وان العملية النقدية تلازمه في كل خطوة وليس هناك عمل آلي بمعنى الكلمة لديه. وكل ما في أمرك انك في مرحلة نقل، وهذه لا تسمح لك بالوقفة الطويلة أو ان مادة المناقشة لما تتوافر لديك فيها، ولكن ليس من المعقول ان تترك ما يمر بخاطرك يذهب هباء، لأن هذه احدى الفرص، وقد تمر ولا تعود. ولهذا وجب ان تسجل ملاحظاتك موجزة جداً على هامش الجزازة بشكل واضح أو على جزازة متصلة بجزازة الخبر في الحالة التي يطول فيها نقدك - استعداداً لمرحلة النقد الأساسية. أما إذا طال التعليق ولم يرد عليك بالشكل الذي تجزم به وترتضيه، فيحسن أن تستفيد من دفترك المساعد وتكتب كل ما يعن لك ويدور بخلدك.

واذا انتهيت من توزيع مادة مصدرك على الجزازات واستوفيت منها ما جاء مجمعاً في صفحات متلاصقة تحت عنوان «بشار»، وما جاء متفرقاً هنا وهناك من صفحات الكتاب، جمعت الجزازات بعضها إلى بعض، وعلى رأسها جزازة المؤلف ثم جزازة الكتاب وربطتها بحزام مطاطي (معد لمثل هذه العملية) واحتفظت بالحزمة الحاصلة في علبة خاصة أو درج خاص - ان أمكن.

تنتقل بعدها إلى المصدر الثاني، وتعمل ما عملته في المصدر الأول: جزازة للمؤلف، جزازة للكتاب، جزازات لتوزيع المادة الواردة فيه مجموعة أو مفرقة من نقاط الخطة أو من نقاط لم تحتوها الخطة.

ثم تجمع هذه الجزازات وتحزمها وتودعها العلبة أو الدرج...

وتنتقل إلى المصدر الثالث.. فالرابع.. والخامس.. سالكاً السبيل نفسها منذ البداية حتى الربط بالحزمة...

(٢) فوائد

هذه هي الطريقة العامة... ولكن هناك فوائد وملاحظات خاصة هي ثمرة عملية لما يلاقيه الطالب من مشكلات في اثناء الجمع. وهذه أهمها:

١ - الدقة في النقل. ننقل الأشياء كما هي أمامنا في خط واضح ونسق جميل. ولا نصحح خطأ، ولا نتصرف.

وان رأينا ما يحسن تغييره. نبهنا عليه في هامش الجزازة. وان رأينا ما يحسن أن يزاد نبهنا على ذلك في الهامش أيضاً. واذا كنا على الغاية من الاطمئنان وأردنا أن نضمنه النص نفسه. فقد يسمح لنا أن نفعل بذلك بعد وضعه بين معقوفين (معقوفتين أو حاصرتين) وتذييل الزيادة بتوقيعنا أو أي رمز آخر نضعه قبل اغلاق المعقوفين.

٢ - يشترط في ورق الجزازات أن يكون من حجم واحد لمجموع البحث حفظاً للنظام وراحة لنفس المؤلف. ومن لون واحد إلا إذا أردنا أن نستغل الألوان المختلفة لدلالة علمية كأن نجعل جزازات من لون أحمر للمؤلف والكتاب وأخضر لحياة الشاعر. وأصفر لشعره، ان كان شاعراً، وهكذا ويشترط في هذه الحالة اليقظة التامة والحذر من الخلط.

ومن «المنهجيين» من يقترح تنويع حجوم الجزازات حسب الموضوعات الرئيسية في الخطة - وليس في ذلك صواب كبير.

٣ - يستحسن كثيراً أن يستعمل الباحث أكثر من لون واحد من الحبر تسهيلاً للمراجعة وترويحاً للنظر وتمييزاً في الدلالة: كأن يجعل اسم المؤلف والصفحة التي أخذ عنها الخبر بقلم أحمر. وأن يجعل عنوان الخبر بقلم أخضر. وأما الخبر فيكتب بالأزرق ويختار لتعليقاته العابرة في الهامش أو في صلب الجزازة أي لون آخر موحد غير الأزرق.

٤ - لا نزحم الجزازة بالكتابة ولا نفكر بالاقتصاد في عدد الجزازات ان «التبذير» هنا نافع جداً وهو ضرب من الكرم الممدوح.

٥ - لا نكتب على ظهر الجزازة - لأن هذا الذي نكتبه يضيع علينا لدى المراجعة، اننا لن ننظر إلا في الوجه.

٦ - إذا كان الخبر الذي يراد نقله يتوزع على آخر صفحة وأول صفحة أخرى من الكتاب فلا بد من أن يشار إلى ذلك على الجزازة بان يوضع خط مائل بعد الكلمة التي تنتهي بها الصفحة الأولى ثم يزاد رقم الصفحة الثانية إلى الرقم الذي كتبناه تحت اسم المؤلف بعد وضع خط بين الرقمين (٧٥/٧٤ مثلاً) كما يوضع الرقم الجديد على الهامش مقابل الخط المائل.

٧ - علامات الترقيم (punctuation = ponctuation) الحديثة كثيرة، أخذنا أغلبها عن الغرب. للعرب منها شيء محدود مثل النقطة، وكانت ترسم مجوفة (٥)[١]، ولكن المحققين المحدثين يسمحون لأنفسهم أن يستعملوا علامات الترقيم الغربية. ، ؛ : ؟ ! الأقواس. ولا بأس في ذلك لولا انهم يضطربون أحياناً في الاستعمال، ولم يرجعوا فيها إلى القواعد التي وضعها الغربيون لهذه الحال.

وعلينا أن ننقل النص كما هو أمامنا، فان لحظنا خطأ في العلامات نبهنا عليه بحبر أحمر، وان كان النص خالياً من العلامات نقلناه كما هو خشية أن نضع علامة في غير مكانها وقد يؤدي ذلك إلى خلل في المعنى.

٨ - اذا رأينا في النص الذي أمامنا خطأ في النحو أو في المعنى لا يعود إلى المطبعة أو المحقق وضعنا وراء الكلمة الخطأ (كذا) بين قوسين متابعة لفعل موروث أو ترجمة لما يعمله الغربيون اذ يضعون (sic)، ويحسن أن يكون هذا الذي نضعه بحبر أحمر تمييزاً لما يكون مردّه ما وضعه المحقق بعد كلمة خطأ وجدها في النص الذي يحققه.

أما إذ اضطررنا لأن نزيد حرفاً أو كلمة لاقامة معنى أو اصلاح وزن فاننا نضعها بين معقوفين (معقوفتين - حاصرتين) [ ] ولا بد من رسمها بالحبر الأحمر تمييزاً لها من معقوفي المحققين.

٩ - إذا كان النص الذي أمامنا طويلاً وكنا متأكدين من أن بحثنا لا يحتاج منه

(١) ينظر عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ٧٩، النجدي - منهج البحث الأدبي عند العرب -

إلا إلى جمل محدودة منبثة في غضون هذا النص الطويل، فلا بأس في أن ننقل من النص الجمل التي نراها ضرورية ونترك الباقي بشرط أن نضع نقاطاً (ثلاثا أو أزيد) مكان كل مقطع مهمل، لنعرف ذلك عند استعمال الجزازات. ولا بد من أن تكون النقاط بالحبر الأحمر تمييزاً لها عما يمكن أن يكون في المصدر نفسه من نقاط وضعها المحقق لسبب من دواعي التحقيق. واذ نقول: الحبر الأحمر، نقصد إلى حبر يختلف اختلافاً واضحاً عن حبر القلم الذي ننقل به، ومن الباحثين من يرى وضع نقاطه الدالة على الحذف بين أقواس صغيرة «...» أو حاصرتين (معقوفتين) [...].

١٠ – اذا استدعى طول الخبر أكثر من جزازة واحدة، ملأنا الجزازة الأولى بقسم منه محافظين على الدقة والوضوح، واضعين تحت الموضوع الذي وضعناه على الزاوية اليمنى العليا للجزازة رقم (١)، ثم ننتقل إلى جزازة ثانية، أو ثالثة ورابعة محتفظين على هذه الزاوية بالموضوع الواحد مسلسلين أرقام الجزازات الجديدة ذات الموضوع الواحد (٢)، (٣)...

١١ – الأصل في الخبر أو النص أن ينقل كاملاً على الجزازة أو الجزازات وهذا هو الأحسن والأنفع. وليس من المعقول الاكتفاء بكتابة عنوان الخبر أو النص أو كتابة خلاصة مركزة لها لأن ذلك لا يسد الحاجة منه ويؤدي إلى خلط وارتباك وضياع وقت في الرجوع المتكرر إلى المصدر نفسه لدى الكتابة.

ولا يسمح بالاكتفاء بعنوان المادة أو خلاصتها إلا في حالة واحدة هي أن تكون هذه المادة وان يكون المصدر ملكاً للباحث وفي متناول يده عند تحرير البحث – فيما بعد.

١٢ – إذا رأينا خبراً في مصدر تال يذكرنا بوروده في مصدر سابق فالمفضل نقل هذا الخبر كما هو (ولا سيما إذا كان قصيراً)، ولكنه إذا كان طويلاً وأردنا الاقتصاد بالوقت والورق رجعنا إلى الخبر نفسه من المصدر السابق، فاذا كان مطابقاً تمام المطابقة اكتفينا بالاشارة إليه في جزازة خاصة، وان رأينا قليلاً من الاختلاف أثبتنا الاختلاف وحده – ومع كل هذا يبقى نقل الخبر كاملاً هو المفضل، فقد يمر علينا اختلاف خفي لا نتبينه لأننا لا نتمكن من أجزاء موضوعنا أو لأننا في مرحلة النقل تسيطر علينا الآلية أكثر من أي شيء أو لأنه لا يتيسر لنا دائماً – في مرحلة النقل – أن تكون رواية المصدر الأول بين يدينا.

ولا يكون الاكتفاء بالاشارة إلى ورود الخبر في المصدر الأول مقبولاً إلا في حالة كون المصدر الثاني ملكنا وانه في متناول يدنا لدى التحرير.

١٣ – إذا كان للمؤلف الواحد أكثر من كتاب نرجع إليه في بحثنا فاننا في هذه الحالة نكتب إلى يسار إسمه في الزواية العليا اليسرى للجزازة مختصراً لعنوان الكتاب. فاذا كان هذا المؤلف مثلاً: ابن قتيبة، ورجعنا من مؤلفاته إلى الشعر والشعراء، وعيون الأخبار، قلنا ابن قتيبة – شعر، ابن قتيبة – عيون.

ان الطريقة العالمية أن يذكر اسم المؤلف – كما رأيت – وأن تكون الاشارات في الذيل ويكون ترتيب فهارس المصادر على نسق المؤلفين. ولكن من المؤلفين – وبخاصة العرب المحدثين من يستعمل اسم الكتاب لقصد أو لغير قصد، وفي هذه الحالة لا يحتاجون إلى هذا التميز لأنه يكتب على الزاوية العليا اليسرى للجزازة: شعر، أو عيون... الخ.

١٤ – من فوائد أن يكون المصدر ملك الباحث وفي متناول يده لدى التحرير الاقتصاد بالوقت الذي «يضيع» بالذهاب إلى المكتبة والاياب منها، وفي مدة الانتظار لدى استعارته. ومنها ضمان الحصول عليه في كل حاجة تدعو، ومنها أن يكتفى عن النقل الكامل على الجزازة بخلاصة واشارة إلى الجزء والصفحة.

ومنها انه يستطيع أن يقرأه على مهل وأكثر من مرة واضعاً عنوانات وملاحظات على هامشه (بقلم رصاص) تنفعه كثيراً في التوضيح والتأكيد والمراجعة.

١٥ – اذا وجدنا معلومات تتصل بالمؤلف سجلنا ذلك على جزازة خاصة. ونفعل مثل ذلك عندما نطلع على مزايا خاصة بالمصدر. ان ذلك ينفعنا لدى دراسة المصادر في الأقل.

١٦ – إذا عنّت لنا فكرة ما تتصل بالبحث أو في خطته فلا نتركها تفر وذلك بأن نقيدها على جزازة خاصة.

ونفعل مثل ذلك إنْ عنّ لنا تعليق أو نقد – لا يمكن الاستغناء عنه باشارة عابرة. ويمكن أن نستفيد في مثل هذه الحالات من دفترنا المساعد.

١٧ – اذا عثرنا على خبر أو نص لا مجال له من الخطة المتفق عليها، فلا نفرط به فقد نحتاج إليه يوماً ما وقد نعدل الخطة من أجله إذا اتضح – فيما بعد – خطره.

نخصص جزازة لكل خبر يتصل بموضوعنا – بغض النظر عن الخطة.

١٨ – لا تزيد المراجع – في الغالب – على أن تكون إيجازاً أو تكراراً لما في

المصادر ، وليس معقولاً أن ننقل كل ما جاء فيها . واذاً ، فلا ننقل إلا الضروري ، وأهم ما في هذا الضروري :

(أ) خبر روي فيها عن مصدر قديم لم يتيسر لنا - على الرغم من طول بحثنا . وفي هذه الحالة يكون نقلنا النص القديم على مسؤولية المرجع ولا بد من أن تبقى الاشارة إلى المرجع اعترافاً بالفضل مرة ودفعا للمسؤولية مرة . إن إغفال ذكر المرجع يعرض إلى مشكلات ، وقد يجر إلى الاتهام بالسرق .

(ب) الخطأ في اخبارها وأرقامها لننبه على الفظيع منها ولا سيما ما جاء لدى مؤلف حديث كبير .

(ج) الرأي الخاص الذي أدلى به المؤلف الحديث ، فان كان مصيباً حفظناه لصاحبه كما تقتضي الأمانة وأثنينا عليه ان وجدنا ضرورة .

وان كان خطأ أو أشرنا إليه بشكل من الأشكال .

١٩ - ما قيل هنا من تعليمات وفوائد عن المصادر والمراجع يخص أولاً نقل الأخبار أو الموقف من هذه الأخبار . وهو مما يستوي فيه الباحث الأدبي والمؤرخ ، ولكن هذا الباحث يختلف عن المؤرخ اختلافاً كبيراً في مادة خاصة بنا هي النصوص الانشائية من شعر وخطب ورسائل وقصص وتمثيليات ... مما يأتي متناثراً في بطون الكتب مرة . ومستقلاً على شكل كتاب مرة .

ونلخص هذا الموقف في النقاط الآتية - حتى لو استدعى التكرار :

١ - تحصل على أحسن الطبعات المحققة (للكتاب المستقل) . فان لم يكن النص محققاً علمياً تضاعفت مهمتك ، وقد يطلب إليك أن تكون محققاً زيادة على كونك باحثاً .

٢ - يستحسن - بل يجب - أن تقتني الديوان أو الكتاب الذي يؤلف محوراً لبحثك .

٣ - تديم النظر في النص ، وتقرؤه مراراً .

٤ - تتعقب مفرداته وتركيباته .

٥ - تقف طويلاً لفهم ما يصعب عليك من المفردات والمعاني أو ما يمكن أن يكون صعباً على عامة القراء .

٦ – تحلل بناء النصوص، وتبيّن مقاطعها وتيارها وسلسلتها والموضوعات البارزة فيها والمعاني السائدة. والجيد والرديء، والعميق والسطحي.

٧ – الاشارة بوجه خاص إلى ما ينطوي منه تحت خطتك وما لا بد من الوقوف عنده، أو أخذه، أو الاستشهاد به لدى التحرير.

٨ – تضع ذلك كله على الكتاب نفسه، وعلى الهوامش منه بخاصة – وليكن بقلم رصاص وفي وضوح ودقة.

٩ – تكتب مفاتيح ما تحتاج إليه من هذه الوقفات على جزازات متفرقة تشير كل واحدة منها إلى النقطة المقصودة من الخطة.

١٠ – ان لم يكن الكتاب ملكك وجب أن تنقل النصوص كاملة على الجزازات بمقتضى خطتك مصحوبة بالشروح والتعليقات.

ولا شك في ان امتلاك الكتاب أنفع وهو إذ يوفر كثيراً من الوقت يهيئ لك فرصة رؤية النص كاملاً كلما احتجت إليه في نقطة من نقاط الخطة فيحفظك ذلك – في أقل تقدير – من التناقض أو مجانبة القصد الأول للشاعر أو الكاتب.

(٣) التفريق

عندما تنتهي من جمع المعلومات على طريقة الجزازات يكون لديك عدد من حزم الجزازات يساوي عدد المصادر التي اقتبست منها. كل حزمة تمثل ما أخذته من كتاب، مرتبة على تسلسلها الزمني مبتدئة بالأقدم. ويحسن أن تلقي على هذا الترتيب الزمني نظرة أخيرة للتأكد من صحته، واعادة الحزمة الشاذة إلى مكانها.

ثم تبدأ بتفريق الحزم. ويتم ذلك كما يأتي:

١ – أن تنزع من كل حزمة الجزازة أو الجزازات الخاصة بالمصادر محتفظاً بترتيبها الزمني، فاذا انتهيت، تربطها في حزمة واحدة.

٢ – وان تنزع كل جزازة خاصة بالمؤلف وتربطها في حزمة قائمة برأسها.

٣ – وأن تعود إلى حزمة المصدر الأول، تنظر فيها فاذا وجدت جزازة يحمل عنوان موضوعها النقطة الأولى من نقاط الخطة استللتها. ولنفرض انها: النسب.

٤ – وأن تنظر في حزمة المصدر الثاني، فاذا وجدت جزازة تحمل موضوع النقطة نفسها استللتها وضممتها إلى الجزازة السابقة.

٥ – وان تنظر في حزم المصادر الأخرى.. مستلاً ما تجد من مادة هذه النقطة: النّسب.

٦ – وان تجمع – إذا انتهت هذه الجزازات التي تحتوي على مادة النسب – مرتبة ترتيباً زمنياً مبتدئة بالأقدم، ولا تنس أن تفحص ذلك جيداً.

٧ – وان تربط مجموع هذه الجزازات المرتبة مستقلة بالرابط المطاطي. ويكون كل ما فيها مادة واحدة لنقطة من نقاط الخطة: النسب – مثلاً.

٨ – تعود إلى حزمة المصدر الأول لتنزع منها ما يمكن أن تجد من جزازات تحتوي على مادة للنقطة الثانية من الخطة – ولنفرض أنها: نشأته.

٩ – ثم تنزع الجزازة المناسبة – ان وجدت – من كل حزمة من حزم المصادر الأخرى.

١٠ – وتجمع الجزازات المتشابهة المادة (حول النشأة) ملاحظاً ترتيبها الزمني وتربطها بالرباط المطاطي لتكون حزماً جديدة، كل حزمة تضم مادة واحدة من مواد نقطة من نقاط الخطة.

١١ – حتى إذا انتهيت كان لديك عدد من الحزم يتناسب مع ما وجدت في مصادرك من موضوع خطتك، وتتفاوت محتوياتها بحسب ما توافر لك من جزازات في كل مادة. وقد تتألف حزمة من (٢٥) جزازة، وتتألف ثانية من (٣٠) جزازة، وثالثة من (١٥) جزازة... الخ.

١٢ – تفحص هذه الحزم التي بين يديك متأكداً من أنها متسلسلة حسب نقاط الخطة، في أحدث صورها، مبتدئة بما تقتضيه النقطة الأولى، منتهية بمادة النقطة الأخيرة، فاذا وجدت حزمة شاذة أعدتها إلى مكانها من مقتضى الخطة.

١٣ – وتنظر الجزازات التي لم تحتو الخطة مادة لها، فان كان فيها عدد مهم يمكن أن يكون نقطة جديدة تضاف إلى الخطة حزمته ووضعت من أجله مادة في الخطة (بعد التشاور مع الاستاذ المشرف) وأدرجته في تسلسله الموضوعي المناسب من مجموع الحزم.

أما ما يتبقى من جزازات منفردة، قليلة، فيمكنك أن تجمعها في حزمة واحدة بعنوان متفرقات لأنك قد تحتاج إليها يوماً ما، وكثيراً ما تحتاج إليها.

١٤ – تعيد الحزم بترتيبها الجديد (على نقاط الخطة) إلى العلب أو الأدراج بانتظار الخطوة التالية (خطوة الكتابة).

ملاحظات :

١ – تبقى مرحلة الجمع مفتوحة. فكلما عثرت على مصدر جديد أو طبعة جديدة، أو مخطوطة جديدة رجعت إليها واقتبست منها في جزازات خاصة المادة اللازمة وأدرجت هذه الجزازات الجديدة في مكانها المناسب من مجموع ما تيسر لك من حزم.

٢ – من الناس من يضيق ذرعاً بمرحلة الجمع هذه ويعدها عملاً بليداً... وقد يكون الأمر كذلك إلا انها مرحلة لا نقاش في ضرورتها لأنها مرحلة تهيئة المادة الخام للبناء الجديد.

ومن الناس من يأنس بها وينسجم وإياها ولا تراه إلا وهو يجمع ويجمع، مقيماً في المكتبة وإزاءه أكوام الجزازات... ولا تبعثك هذه الظاهرة على التفاؤل المطلق، لأن عدداً من هؤلاء تقف قابلياته عند هذا الحد، حتى إذا أراد أن يبني صعب عليه الأمر وبدأ يضيق بالمرحلة الجديدة، أو انه يبني بناء مهلهلاً متداعياً.

والباحث الكامل من جمع الحسنيين: الأنس بالجمع والتمكن من البناء.

ان اعتياد النفس في الجمع يكسب صاحبه فوائد جمة منها الوعي لما يأخذ ويدع، ومنها مايثير فيه الجمع من أفكار وآراء... ونقد، ومنها أُلفة الموضوع وملازمته. ولولا هذه الفوائد لأمكن اناطة الجمع – في غير حالات السعي لدرجة علمية – بشخص يأنس بالجمع ويصبر عليه مرتاحاً. ولكن فوائد الملازمة في الجمع جليلة لا يستهان بها.

٣ – لعلك استثقلت جمع المعلومات على الجزازات وضقت بها لدى التفريق، وساءلت: أكل الباحثين يوغلون في هذا الأمر؟ والجواب: ان طريقة الجزازات دقيقة راقية ولا بد من العلم بها والتدرب عليها، حتى إذا تمت لك ثمرة الممارسة وبلغت مبلغ الأستاذ وكانت لك مكتبة عامرة أمكنك التخفيف من بعض ما ترى فيها من أعباء مستغنياً بالاشارة إلى الخبر في مصدره عن النقل الطويل – المكرر أحياناً.

٤ – لا تفارق الجزازات الأساتذة الكبار من ذوي البحوث الكثيرة الطويلة الأمد، فما يكادون يعثرون على نص أو تعريف أو لفظة أو مصدر مما يتصل بدراسة من دراساتهم حتى يخرجوا الجزازة ويكتبوا عليها ما يلزمهم، فاذا عادوا إلى البيت وضعوا هذه الجزازة إلى جوار نظيراتها من أدراج لهم خاصة موزعة على الموضوعات التي يعنون بها ويجمعون المادة النادرة لها.

وفي هذا ما يمكن أن يفسر لنا ما نراه أحياناً في مؤلفاتهم من مادة عجيبة استقوها من مصادر متباعدة زماناً ومكاناً وموضوعاً.

٥ - ان الجزازة التي تجمعها لموضوع معين يمكن أن تنتفع بها لدى دراسة موضوع آخر ذي صلة بموضوعك الأول.

٦ - ان الجزازات بوضعها المنظم لدى السعي الطويل مما يمكن أن يرثه الخلف عن السلف فيكمل التالي ما بدأه الأول وتتضافر الجهود المتوالية في المشروعات الضخمة.

وكان المستشرق الالماني فيشر يعتزم تأليف معجم تأريخي للألفاظ العربية، وهو عمل مضنٍ يستدعي عمراً طويلاً. وليس له إلاّ السير على طريقة الجزازات، وقد فعل، وقطع غير قليل ثم توفي قبل أن يحقق غايته؛ ولكن الجزازات بقيت بعده حية تنتظر من ينتفع بها، وقد ابتاعها مجمع اللغة العربية بالقاهرة بثمن مناسب وظلت الخطوة التالية تنتظر صاحبها أو أصحابها، وقد طال الانتظار...

٧ - اذا اعتدت نظام الجزازات واستطعت السير عليه، فانك لا تفضل عليه غيره، ولعلك لاترغب - بعد ذلك - في التغيير.

الفصل السابع

المســودة

١ - أساس للتسويد الأول (خطة موسعة)

ازاءك الآن الخطة الأولى مع ما زدت عليها مما جد لك خلال مطالعتك، ومع ما أجريت عليها من تعديل اقتضاه التبويب الثاني: ازاءك الخطة في صورتها الأخيرة، بفصولها وفروع فصولها أرقاماً وحروفاً...

وازاءك كذلك الحزم الجديدة مرتبة على موضوعات الخطة. وقد نقلت إليها من دفترك المساعد كل ما يجب نقله على وجه الدقة والايجاز، وفي ذهنك أشياء توافرت على مر الزمن وبطول المصاحبة ودوام التأمل.

أحضر عدداً من الورق الأبيض - المخطط ان أمكن - يتناسب وحجم بحثك المنتظر، ورقتين أو أكثر ان كان بحثك صفياً وعشر ورقات أو أكثر ان كنت تنوي أن يكون بحثك في حدود المائتي صفحة - والكتابة على وجه واحد.

ثم تبدأ مرحلة جديدة تعمل فيها على ملء الخطة في شيء من الحرية فتجعل من الكلمة جملة ومن الجملة سطراً ومن السطر فقرة كأنك تكتب البحث في صورة موجزة فيها النقاط الأساسية وفيها رؤوس الأقلام تاركاً بياضاً مناسباً بين الكلمة والكلمة والسطر والسطر ولا تنس ان تترك مكاناً فسيحاً للهامش والذيل.

وتمضي في الكتابة، من البداية حتى النهاية مميزاً الأبواب والفصول، وتكتب، وتكتب، وتنتهي وكأن أمامك البحث كاملاً.

ويمكن أن نسمي هذا بالخطة الموسعة (أو البحث المصغر). وأهمية هذه الخطة الموسعة هي:

ان ترب لك شكل الكتاب كما سيكون وتهيئ لك النظرة الاجمالية.

وان تدرك بها ما هو ناقص وما هو زائد وتعمل على إقامة التوازن، وما يجب أن

تستفيض فيه وما يجب أن توجزه ، وما تعتمد فيه المادة التي لديك وما تستعمل فيه رأيك ومخيلتك ، وما ستقدم من الفصول وما ستؤخر ، وما يمكن أن يكوّن فصلاً وما لا يمكن.

وأن تمتحن الخطة في ضوء المادة والفكر ، فتعدلها بمقتضى ذلك مرة ثالثة استعداداً لانطلاق جديد.

انك في عملك هذا أشبه بالخياط عندما يصل بين قطع القماش «المفصل» ، بخيوط «عارية» مشلـلاً اياها فتكون «البدلة» لديه على شكل يقرب مما ستكون عليه. وهو لا يستغني عن هذه المرحلة – اذا طلب الكمال – مهما يكن ماهراً. ثم يحضر صاحب «البدلة» فيلبسه اياها ويبدأ يفتق ويشلل ، ويفتح ويسد ويقصّر ويطوّل حسب الحاجة. وهو ما أصبح يسمى بـ «البراوة» أو «البروفة».

تلك مرحلة مهمة في كل عمل أو مشروع يراد له أن يؤدى متقناً وأن يقدم للناس وهو ذو روح.

وبعد أن تنتهي الخطة الموسعة ، تعيد قراءتها ، وتصلح من شأنها ما تصلح. ويحسن أن تتركها اياماً قبل أن تبدأ خطوة أخرى ، لأن هذه الأيام تسمح لك بالتأمل وتخمير المادة واعادة النظر.

ولا تنس أن تعيد اصلاح الحزم بمقتضى ما يجد لك في ضوء الخطة الموسعة. الخطة الموسعة امتحان عام للخطوات السابقة وتثبيت للاساس الذي تنهض عليه البناية المنتظرة. هي بداية للعمل الذي يقتضي عقلاً مستوعباً وذهناً شاملاً وذكاء رابطاً بين الاجزاء وروحاً تشيع في المادة.

لقد بدأنا نبتعد عن مرحلة الجمع والعقلية الجمّاعة ذات النظرة الجزئية وشرعنا في العقلية البنّاءة ذات النظرة الكلية.

٢ – المسودة

تحضر الخطة الموسعة أمامك ، ومجموع الجزازات مبوبة عليها حسب آخر تعديل لها ، ومقداراً كبيراً من ورق أبيض (مخطط) يزيد كثيراً عن الحجم المنتظر للبحث ، يفضل فيه أن يكون منفصلاً بعضه عن بعض مما يمكن جمعه في اضبارة. ويستحسن أن تستعمل دفتراً من هذا النوع الذي يشبه «الدوسيه» وقد يسمى أحياناً «لفكس» بالمعنى السوقي وهو (file loose leaf book =) (classeur) مما يسهل نقل الورقة من

مكان آخر أو نقل مجموعة من الورق تكون فقرة طويلة أو فصلاً دون أن تضطر الى تمزيق واعادة كتابة ودون أن يختل نظام الدفتر.

وتبدأ الكتابة، وأهم ما تعنيه الكتابة هنا نقل ما جاء في الجزازات الى هذه الأوراق المنفصلة التي أمامك تاركاً أكبر هامش معقول الى يمينك والى أسفل الصفحة، وأكبر بياض مناسب بين فقرة وفقرة لتفيد من ذلك لدى التعليق والاضافة ولتحفظ المتن من الفوضى والاضطراب، ويحسن أن تبدأ كل فقرة أو فكرة صغيرة جديدة بوزقة جديدة. واكتب - دائماً على وجه واحد - ان الكرم بالورق أساس نافع.

تجمع تحت النقطة الأولى من الخطة ما توافر لديك من مادة على الجزازات تنقلها - قدر الامكان - كما هي واضعاً كل خبر أو بجزء من خبر بين أربعة أقواس صغيرة من هذا النوع «» (quotation) توضع مرتفعة قليلاً على خط السطر. ولك في الاشارة الى المصدر الذي اقتبست منه ما بين الاقواس طريقتان:

الأولى: أن تكتب المختصر الذي تبنيته لاسم المؤلف (أو لاسم المصدر ان كنت ممن يتبع الكتب اساساً في الاشارة) بحرف صغير وحبر يختلف عما تكتب فيه، بين السطور مبتدئاً من أعلى نهاية الأقواس، وتكتب - طبعاً - مع المصدر الجزء والصفحة فتقول: «...» الأصبهاني ١٦/٢٥ وهذا يعني أن الخبر مأخوذ عن الأغاني تأليف أبي الفرج الأصبهاني، الجزء السادس عشر، الصفحة الخامسة والعشرين. وليس مناسباً أن تكتب ج ١٦، ص ٢٥. كما اعتاد بعض المؤلفين لأن الرمز ١٦ : ٢٥ (أو ١٦/٢٥) عالمي وفيه ذكاء واقتصاد بالمكان والوقت، فليس معقولاً أن تكرر أنت (الآن) والمطبعة (فيما بعد) كلمات كثيرة لا داعي لها.

الثانية: أن تضع ارقاماً صغيرة متسلسلة على الزاوية العليا من نهاية الأقواس: «...»(١)، «...»(٢)، «...»(٣)، «...»(٤) وتكتب في ذيل الصفحة ما تدل عليه هذه الأرقام - بحرف أصغر من المعتاد وبحبر يختلف لوناً عن حبر المتن:

(١) الاصبهاني ١٦ : ٢٥. أي الأغاني لأبي الفرج الاصبهاني، الجزء السادس عشر، الصفحة الخامسة والعشرين.

(٢) ابن قتيبة ٦٢٠. أي الصفحة الـ٦٢٠ من الشعر والشعراء لابن قتيبة.

(٣) ابن خلكان ٤ : ٣١. أي الصفحة الـ٣١ من الجزء ٤ من وفيات الاعيان لابن خلكان.

والمفضل هنا أن تكتب كل رقم من أرقام الاحالة على المصدر في سطر خاص من ذيل الصفحة وأن تكتب بين سطر وسطر احتياطاً لزيادات تطرأ.

وقد تكون الطريقة الأولى أنسب لأنها لا تؤدي الى اضطراب الارقام أو ضرورة تعديلها عند حذف خبر او زيادة خبر.

وإذا كان الخبر الواحد قد ورد في أكثر من مصدر فإنك تسلك إحدى الطريقتين كذلك مع ما يقتضيه الموقف الجديد من تغيير، فعلى الطريقة الأولى تقول:

«.......» الاصبهاني ١٦ : ٢٥ ، ابن خلكان ٤ : ٤٣ .

«.......» ابن قتيبة ٦٢٠ ، المرزباني ١٨٠ .

وعلى الطريقة الثانية تقول:

«....»[١] ، «....»[٢] .

وتكتب في الذيل:

(١) الاصبهاني ١٦ : ٢٥ ، ابن خلكان ٤ : ٤٣ .

(٢) ابن قتيبة ٦٢٠ ، المرزباني ١٨٠ .

ولاحظ أن كل إشارة كاملة إلى المصدر تنتهي بنقطة.

وإذا كان للمؤلف الواحد أكثر من كتاب يتصل ببحثك ، تركت أهم هذه الكتب من دون نص على اسمه ، ووضعت بعد اسم المؤلف (أي ما تبنيته من شهرته للدلالة عليه) خطاً قصيراً تأتي بعده كلمة ذات دلالة من عنوان الكتاب الثاني أو الثالث... فإذا قلت:

«......» الإصبهاني – مقاتل ٣٤ .

فإن ذلك يعني انك أخذت الخبر من الصفحة الـ ٣٤ من كتاب مقاتل الطالبيين من مؤلفات أبي الفرج الاصبهاني. وقد وضعنا كلمة «مقاتل» بعد الاصبهاني – لأننا استعملنا في البحث نفسه مصدراً آخر مهماً بين مؤلفات أبي الفرج الاصبهاني ألا وهو «الأغاني». ولا ننص على هذا المصدر المهم عندما نأخذ منه ونكتفي بكلمة «الاصبهاني» لأننا نستعمل الأغاني كثيراً ولم يبق داع لتمييزه وتكراره.

وقل مثل ذلك في المصادر الأخرى ، إذا قلت : ابن قتيبة ٦٢٠ فأن ذلك يعني الشعر والشعراء (من دون نص) ، وإذا قلت ابن قتيبة – عيون ٣ : ٢٥ ؛ فإن ذلك

يعني الصفحة الـ ٢٥ من الجزء الـ ٣ من كتاب عيون الأخبار من مؤلفات ابن قتيبة.

وإن كان الخبر المقتبس قد ورد في أكثر من مصدر فإنك - بالطبع - سترتب هذه المصادر حسب تسلسلها الزمني مبتدئاً بالأقدم. فتقول: ابن سلام ٣٠، الاصبهاني ٥ : ٤٥، ابن خلكان ٦ : ٧٠.

وتفصل بين مصدر ومصدر بفاصلة (،) وقد تفضل الفاصلة المنقوطة (؛)، ويكون هذا التفضيل للفصل بين أسماء المؤلفين واجباً إذا ورد الخبر في أكثر من كتاب لمؤلف واحد بين المصادر الأخرى.

ابن سلام ٣٠، الاصبهاني ٥ - ٤٥، مقاتل ٣٠؛ ابن خلكان ٦ : ٧٠. أما فائدة هذا الاختصار فهي الاقتصاد بالورق والتوفير لدى الطبع والتخلص من التكرار غير المفيد، فانك لو كتبت الجزء الفلاني أو، ج كذا، وكتبت اسم المؤلف كاملاً واسم الكتاب كذلك... أضعت كثيراً من المكان والوقت هباء.

اما اسم المطبعة ومكانها وتاريخ الطبع فليس معقولاً أن يذكر شيء منها لدى الاشارات وان كان بعضهم يرى ذكر هذه الاشياء لدى أول اشارة ترد. الا أن هذا الرأي لا موجب اليه اذا نظمنا فهارس المصادر على الطريقة الدقيقة التي ستراها...

نستمر بالكتابة في النقاط الأخرى من الخطة مقتبساً من الجزازات هذا الخبر نصاً وملخصاً ذاك ومشيراً اشارة عابرة الى آخر ومهملا ما لا نفع فيه ومناقشاً ما يستحق المناقشة ومبيناً الخطأ فيما يجب أن يبين خطؤه ومعلقاً على ما ترى التعليق عليه ضرورة - علماً ان المفضل لدى المسودة الأولى هو الاقتباس الكامل حتى لما يمكن أن يبدو تافهاً، فلرب خبر تراه غيرجدير بالنص يمكن أن يكون له ما وراءه فيما بعد أو عندما يوضع الى جوار أخبار مناظرة تربطها صلة. وتذكر أنك لست الآن في مرحلة كاملة للنقد والمناقشة وانما همّك الأول أن تنقل ما في الجزازات الى ورق الدفتر مترابطاً ومتصلاً في ضوء نقاط الخطة.

أما هذا التعليق الذي تذكره أو الخطأ الذي تثبته فهو عاجل تحفظه هنا من الضياع، فقد تفيد منه لدى المرحلة التالية.

اذا كان الخبر الذي نقلته الى متن مسودتك هذه قد أخذته عن باحث حديث فيجب أن تشير اليه واضحاً في الهامش لتلقي عنك المسؤولية ولتحفظ الحق لصاحبه، لأنك مطالب كل المطالبة بأن ترجع - لدى أول فرصة - الى المصدر الذي اقتبس منه الباحث الحديث مع حفظ حقه على أي حال.

واياك أن تذكر في الهامش[1] مصدراً لم ترجع اليه، لان ذلك يعني الخيانة والخداع، ولأنه يعرضك لنقاش يؤدي الى فضحك. فقد يكون النص قد نقل نقلاً غير أمين. وقد يكون المصدر المنقول عنه نادراً جداً أو مخطوطاً نادراً يعرف النقاد والمناقشون ندرته فتحرج بما يندي الجبين.

وهكذا... تنقل المادة من الجزازات حسب نقاط الخطة، تنقل وتشير الى المصادر وتعلق تاركاً فضلة مناسبة من بياض على اليمين والأسفل وما بين الفقر... حتى تستنفد مادة الجزازات بمعنى أنك نقلتها من الجزازات المتقطعة الصغيرة الى الورق المتوالي المتسع لربط الاخبار والنصوص ووصلها متابعة مكونة وحدة - أو تكاد.

وليس لك أن تسمي مجموع هذا الورق كتاباً لأنه - كما رأيت - لا يزيد على مجموع من الورق يضم أجزاء مادة البحث الخام بعضها الى بعض. وان كان في الناس من يجرؤ على تسميته كتاباً ويطبعه وينشره ويفخر به على أنه «بحث»!

لا... ليس هذا هو البحث، وان صاحبنا الفخور قد ادعى ما ليس له؛ فانه بذل الجهد في الجمع وفي نقل المجموع من الجزازات الى الورق واستنفد في ذلك وقتاً وصبرا، وهو مشكور لو وقف عند هذا الحد الذي عرف به منتهى طاقته وهيأ للآخرين مادة يمكن أن يتصرفوا بها.

لو وقف عند هذا وفخر بصبره لاقررناه على ذلك، ولحمدنا له أنه لم يكلف نفسه ما لا تطيق ويقسرها على الظهور بمظهر المفكر الذي يحلل ويعلل فتأتي استنباطاته مغايرة للمادة المجموعة، ونتائجه مخالفة لأسبابها الصحيحة فتبدو نابية أو مضحكة - أحياناً.

---

(١) الحاشية، الهامش، الذيل، ثلاثة مصطلحات مختلفة المعنى ان أردنا الدقة في الاستعمال.
فالحاشية (وجمعها حواش) هي البياض الذي يحيط النص أي المتن من الصفحة، وقد يكون إلى اليسار أو في الأعلى أو في الاسفل.
والهامش يعني البياض الذي على يمين المتن من الصفحة (أو يساره)، وقد يستعمل لعنوانات جانبية.
والذيل هو البياض الذي في أسفل الصفحة من المتن، وتكتب فيه الاحالة الى المصادر ونقولا وتعليقات وشروحاً لما يرد في المتن دون أن تكون على قدر المتن من الاهمية، وهو في هذا أقرب الى الكلمة الانكليزية (footnotes).
ولكننا اعتدنا ان نستعمل كلمة الهامش للدلالة على الذيل، فاذا قلنا هامش الصفحة قصدنا الى ما يكتب اسفلها من احالة أو شرح، كأننا لا نرى لبساً في الدلالة، واعتدنا كذلك استعمال كلمة حواش لهذه الدلالة نفسها.

والحقيقة أن الجمع وحده (من غير مناقشة تذكر) نافع، ويسمى صاحبه اذا وقف عنده «جمّاعة» compilator (= compilateur).

والمؤلفون لدى هذه المرحلة نوعان. نوع يقف عندها فيكون نفعه بأن يختصر الخطوات لمؤلف آخر في الموضوع نفسه يأتي الى هذه المادة المجموعة ويلقي عليها نظرة ويقرأها ثم يعمل فكره فيها نقداً وبناء وانشاء؛ ونوع تكون له مواهب أخرى - بعد الجمع - فيقوم هو نفسه بالخطوات التالية.

والحقيقة أن الخطوات التالية هي التي تمنحه صفة الباحث وتقرر قيمة البحث واصالته.

اننا سمينا هذه الخطوة: «المسودة الأولى» على كثير من التجوز والا فهي لدى التحقيق. نقل المادة التي في الجزازات الى الورق، انها عملية نقل بعد جمع.

والجمع والتفريق عملية آلية تقوم على الصبر ولا تكاد تستدعي ذكاء خاصاً. ولذا فهي مما يمكن للعلم أن يستغني عنها بالعقل الالكتروني (الكومبيوتر (Computer). وقد حصل هذا فعلاً، فقد أجرى العلماء تجارب نجحت الى حد كبير ونشروا نتائج تجاربهم في الناس، وألفوا فيها الكتب، وأمكن - بعد ذلك - تطبيق هذه النتائج على مادة عربية. وسيزداد هذا التطبيق - على مر الزمن - ويمكن «تحليل النصوص القديمة ومقارنتها وتحقيقها».

ويكاد يكون القدر الضئيل الذي سمح به من التعليق والمناقشة لدى الجمع والتفريق خارجاً عن العملية نفسها[1].

٣- قراءة المسودة الأولى... للتعليق

تترك هذه المادة المنقولة الى الأوراق من الجزازات مدة من الزمن يحسن ألا تطول ثم تعود اليها تقرؤها في ساعات من ارتياح النفس، فليس من صالح البحث ان تقسر نفسك على خطوة من خطواته بدافع من ضيق الوقت أو برغبة في الانتهاء من موضوع تحس بأنك أضعت فيه كثيراً من عمرك. ليس البحث سخرة، وانما هو امانة يجب أن تؤدى كاملة.

---

(١) قد يفضل باحث كسب الوقت فيناقش مادة الجزازات قبل نقلها إلى المسودة، ولا ينقل منها إلاّ ما كان ضرورياً جدا. وليس سلوكه هذا خطأ، ولا سيا عندما تكون الجزازات قدراً هائلاً. ولكن المفضل الا يلجأ إلى هذه الطريقة إلاّ المتمرس.

انك تحاول أن تبدأ هذه الخطوة، فان لم تستجب النفس سريعاً أمهلها قليلاً ولا بأس من اجبار قليل، قد تستجيب النفس بعده وتنسجم، فان كان فذاك، والا فاترك الامر قليلاً حتى تحس بالرغبة في نفسك، ان هذه المدة ضرورية، وهي لا تذهب هدراً، وانما يجري فيها تخمير وتكامل.

تقرأ وبيدك القلم وتقف عند كل نقطة وكل خبر وكل نص، وتكتب كل ما تثيره فيك القراءة من شرح وتفسير وكل ما توقظه من رأي تأييداً أو تفنيداً، ولك في الهامش والذيل والبياض بين الفقر متسع يسهل عليك المهمة، فاذا فاض التعليق عن البياض المحدود وأمكن أن تضع ورقة بيضاء جديدة فيها فافعل، والا فلا بأس في أن تستعمل ظهر الورقة بعد رسم سهم يشير اليه ← وليكن السهم بلون أحمر.

ومناسب جداً أن تقف بعد الانتهاء من كل فصل، تستريح قليلاً في الظاهر، ولكن العقل يبقى مشغولاً، وكثيراً ما يتوارد عليه شيء نسيه أو شيء لم يحسب له حساباً ولكنه ذو قيمة، ان العقل يبقى متصلاً بالمسألة حتى لـــو تحوّلت الى عمل آخر لا صلة له بما أنت فيه: ان ما يسمى بالعقل الباطن يؤدي خدمات مهمة في كل خطوة من خطوات البحث.

ثم تستأنف. أجل، قف، واقرأ، واكتب من دون تشدد في حساب نفسك، ويكفيك أنك لا تكتب شيئاً جئت به من الخارج، وانما تكتب ما تثيره فيك المادة التي أمامك موصلاً ذلك بهذا التاريخ الطويل الذي بدأت به عملك أو أقدمت عليه وما تولد فيك وقام في نفسك وارتبط بفكرك.

أكتب بكل حرية ولا تخف شيئاً لأنك لن تذيع عملك هذا في الناس على هذه الصورة، انك الآن في مرحلة الحرية، مرحلة التحرر من كل قيد، الا قيد الأمانة وقيد استلهام شيء موجود أمامك. انها فرصة نادرة جداً في خطوات البحث. وقد رأيت كيف كنت مقيداً جداً في الخطوات السابقة، فلا تدع الفرصة تفوتك، لأنك ستعود بعدها الى القيد.

قلِّب المادة التي أمامك على وجوهها، كن مرة لها، ومرة عليها، انفذ الى ما وراء الحروف من أفكار وهواجس وعواطف وأخيلة، عش معها، حاورها، حدّثها، سجل كل ما يعن لك ويرد عليك، لأنك تكتب استلهاماً بعد أن احتواك جو وتهيأت لك مادة ومر عليك زمن وحدثت فيك ألفة.

وقد تحس بتناقض وترى لو أنك أعدت النظر فيما كتبت قبل قليل؛ سجل احساسك هذا، وسجل رأيك الجديد مشيراً الى الرأي القديم - وامض.

واذا أحسست بأن شيئاً يحتاج الى مراجعة أحد المصادر أو استشارة أحد الاشخاص كتبت ذلك على الهامش ووضعت ازاءه (أو فوقه) علامة استفهام (بلون أحمر)، بمعنى أنك ستعود اليه وتنظر في امره. أما الآن فأنت تعيش في جو عام لا يحسن أن تعكره لأنه لا يعود في سهولة، ولأنك في ظل العقل الباطن تدعه يخرج مخزونه ويذع مكنونه.

وقف ازاء النصوص الأدبية - شعراً كانت أو نثراً - وافهمها جيداً وحلق مع صاحبها الى أبعد الآفاق. انظر الى النص من قريب، وانظر اليه من بعيد، وانظر على أنه خالد، وانظر على أنه رديء.

الانطلاق نافع - ثم ان وراء هذه الخطوة خطوة، وربما خطوات.

٤ - النقد التوثيقي

في عالم البحث الأدبي نوعان من النقد:

الأول: ما يمكن أن نسميه النقد التوثيقي وهو العملية التي يمتحن بها الباحث الخبر أو الحكم أو النص الانشائي (من شعر وقصص..) ليتوثق من صحتها، فاذا اطمأن الى الصحة اعتمدها مادة لدراسته والا نبذها وجنب نفسه ما تجر اليه من مزالق، وقد يثبت البراهين اذا دعت ضرورة وكان الخبر أو الحكم... من الأهمية بمكان - وهو ما زاولنا - بشكل وآخر - في خطواتنا السابقة، لدى الرجوع الى المصادر ونقل المعلومات منها الى الجزازات، ولدى نقل هذه المعلومات في المسودة وربطها ببعضها. ولكننا سنقف - هنا - منه وقفة خاصة فيها استعادة وزيادة لما للعلم به من ضرورة في منهج البحث.

الثاني: النقد الأدبي وهو عملية خاصة بالنص الانشائي يقف بموجبها الباحث إزاء النص محللاً ومفسراً ومبيناً المحاسن والمساوئ في حدود الظرف المحيط بالنص ومقتضيات الموضوعية... ويأتي بعد النقد التوثيقي ولا بد من قدر معقول منه في الدراسة الادبية - كما سنرى.

وتقول: أما يمكن أن يؤدي إطلاق لفظة واحدة هي «النقد» في كتاب واحد على عمليتين مختلفتين... الى الخلط والاضطراب؟ أما كان ممكناً أن نتجنب هذه اللفظة في

النوع الأول مثلاً؟ وللسؤال وجاهته، ولكننا أبقينا لفظة «النقد» هذه لأسباب منها أن منهج البحث العلمي وجد في المعارف الأخرى من تاريخ وغيره قبل أن توجد في الأدب، واطلقت كلمة «نقد» في تلك الميادين لتعني أمراً واحداً هو ما سميناه «النقد التوثيقي». وإذ تأثر منهج البحث الأدبي بمناهج المواد الأخرى السابقة عليه، احتفظ بكلمة «النقد» هذه في دلالتها على التوثيق، معتمداً السياق للتمييز بينها وبين النقد الأدبي.

ويأتي النقد التوثيقي نفسه على درجتين أو ضربين هما:

أولاً: النقد الخارجي (الظاهري) (critique externe =) external criticism

ثانياً: النقد الداخلي (الباطني) (critique interne =) internal criticism

ويتم النقد الخارجي (الظاهري) في عمليتين يمكن أن توصف الأولى بالسلبية لأنها تعمل على استبعاد الاخبار والنصوص غير الصحيحة، وتشمل نقد التصحيح ونقد المنشأ.

أما نقد التصحيح، فهو امتحان صحة الخبر والنص الذي بين أيدينا، وهل وصلا الينا كما هما أي كما تركها صاحبها من دون زيادة أو نقص أو تحريف أو اختلاق؟ أو هل يتفقان - في الأقل - مع نسخة المؤلف التي كتبها بخطه؟

ويتم ذلك بدراسة اللغة والخط وما اعتاد النساخ أن يقعوا فيه من خلط لدى نسخهم مادة مناظرة؛ ويستدعي ذلك - فيما يستدعي - المقابلة بين النسخ.

وأما نقد المنشأ أي المصدر الذي جاء النص أو الخبر عن طريقه: من أين؟ متى؟ من المؤلف؟ ومعرفة المؤلف مهمة، ويستعان على الامتحان بدراسةِ الوقائع الواردة في ضوء الوقائع نفسها لدى مؤلفين آخرين.

ولا شك في أهمية هذا النوع من النقد لأنه يكون المنطلق السليم والا فما قيمة دراسة طويلة تحليلية لنص، وما قيمة الاستدلال بخبر، اذا لم يكونا سليمين صحيحين، ان الدراسة من دون النقد الخارجي بناء على أساس واه وشفا جرف هار.

ويمكن أن يقول باحث: ليس النقد الخارجي في عمليته السلبية هذه من مهمتي، وانما هو مهمة أناس معينين لهم تخصص في مثل هذه الأشياء، هم يهيئون لي المادةِ سليمة وأنا اعتمدها في بحثي. والقول صحيح. ان الباحث يجب أن يجد أمامه الدواوين الصحيحة والخطب الصحيحة والرسائل والمقامات... الصحيحة. يجدها ثمرة لجهد

آخرين نسميهم المحققين. فهؤلاء هم الذين يبحثون عن المخطوطات، ويتخذون أصدق المخطوطات أما يقابلون عليها النسخ الأخرى جاهدين لأن يقدموا للباحثين والقارئين النصوص كما تركها أصحابها أو أقرب ما تكون الى ما تركها عليه أصحابها.

وقل مثل ذلك في كتب الأدب العامة والأخبار... والتاريخ، فليس هم الباحث الأول تحقيق النصوص والاخبار ولا سيا اذا كان باحثاً في الأدب القديم.

وقد بدأ الغربيون يحققون لنا كتباً مهمة مستفيدين من مناهج تحقيقهم في أدبهم وتاريخهم وتراثهم ثم أخذنا عنهم هذه المناهج وبدأنا نحقق وكان فينا المجوّد الأمين. حتى صار بامكان الباحث أن يجد عدداً لا بأس به من الدواوين والمصادر محققاً على وجه يمكن اعتماده والاطمئنان إلى انه نقد نقداً خارجياً. أما القسم الباقي - وهو غير قليل - فقد بقي بعيداً عن التحقيق الصحيح وكان لا بد للباحث من أن يكون محققاً أولاً ثم يتولى البحث. مما يضاعف عليه المسؤولية والجهد ويلقي على عاتقه مهمة النقد الخارجي في نقد التصحيح ونقد المنشأ.

وقد قدمنا الشرط في أن يكون المصدر محققاً منذ حديثنا على المصادر.

ويمكن أن توصف العملية الثانية من النقد الخارجي (الظاهري) بالايجابية لأنها تعمل على الاستفادة مما تحققت صحته من الأخبار والنصوص وفيها يعنى الباحث بالترتيب النقدي للمصادر على أساس من تسلسلها الزمني مبتدئاً بالأقدم ثم يأخذ المعلومات من تلك المصادر موزعة على الجزازات استعداداً للتسويد.

وقد رأينا هذا النوع وطبقناه منذ البداية.

وهو عمل الباحث، وان كان من الناس من يزدريه ويزدري أصحابه لأنه يراه عملية صبر فقط لا تحتاج الى كثير من الذكاء. يؤيدهم في ذلك أن عدداً غير قليل ممن يتميزون به تقف بهم مقدراتهم عند حدوده من الجمع والترتيب، على حين يستدعي البحث الحق خطوات أخرى أكثر أهمية وأشد خطورة، وزاد في التأييد استخدام العقل الالكتروني (الكومبيوتر) فيه والاستغناء بهذه الآلة عن البشر مع زيادة في الدقة وسرعة في العمل.

ثم يأتي النوع الثاني من النقد، وهو النقد الداخلي (الباطني)، وقد يكون أصعب من سابقه أو أنه يحتاج - في أقل تقدير - الى مؤهلات غير مؤهلات الناقد الخارجي وأن هذه المؤهلات قد تجتمع هي والمؤهلات الأخرى في شخص واحد وهذا هو الاكمل في البحث، وقد تفترق فيقتطف الثاني ثمار الأول - ولا بأس.

ويتم النقد الداخلي (الباطني) في عمليتين، يمكن أن توصف الأولى منها بالايجابية لأنك فيها. تأخذ الأشياء من أخبار ونصوص كما سلمت لديك بعد النقد الخارجي، وما عليك الا أن تحليل (أي تجزئ) مضمون الخبر (أو النص) الى عناصره المختلفة - وليكن ذلك على الجزازات - لتحديد فكرة المؤلف الحقيقية وللتأكد مما أراد أن يقوله هذا المؤلف بمعناه الحرفي.

ولكي يصل الباحث الى ذلك لا بد له من أن يبعد عن نفسه كل هاجسة ذاتية تصدر عنه ولا تصدر عن النص نفسه. ولا بد من مسلك لغوي دقيق فينظر الى الخبر أو النص كما هو ليفهمه في أقرب ما تدل عليه كلماته مفردة ومركبة مستعيناً بمعرفة دلالة الكلمة في عصرها.

ويمكن أن توصف العملية الثانية بالسلبية لأنك تبدأ سيرك فيها بالشك المنهجي. الشك في صحة ما ترى، الشك في المؤلف. تكذيبه. وقد يكون لسبب ولآخر كاذباً يقول ما لا يعتقد بما لم يكن، وقد يوصلك الشك الى نتيجة فتجد كذباً وغير قليل من الكذب الذي لا يمكن أن يعتمده باحث على أنه حقيقة، فيعمل على عزله وابعاده معتمداً في تأكيد شكه الأدلة القائمة على الظروف المحيطة بصاحب النص أو الخبر لدى تأليفها. وكم من قائل خلاف ما يرى. واذا كان الامر كذباً، فهل يلزم الباحث بأن يستشهد به ويعتده دليلاً؟ لا -وموقفك، اذ تهمل، موقف سلبي.

وكل ما ينصح به لدى النقد على الموقف السلبي أن يكون الناقد حذراً غير مبالغ، لا ينفي من أجل النفي. ولا يقرر ما يقرر الا بعد أن تنضج لديه الامور كأن لم يكن المؤلف أميناً ولم يكن شاهد عيان أو حسن الاطلاع ولم يكن خائفاً أو طامعاً، أو حاقداً.

والذي يصح بعد هذا الموقف من الأخبار والنصوص، هو الذي يستحق عناية الباحث ويتأهل أن يستشهد به[1].

---

(١) ولدينا في هذا النقد أمثلة جديرة أن تذكر:

الأول: موقف القدماء من الشعر القديم الذي وصل على انه «جاهلي» فنبذوا غير قليل منه لحجج معقولة. وقد لخص محمد بن سلام في كتابه «طبقات الشعراء» موقف القدماء.

الثاني: موقف ماركوليوث وطه حسين من الشعر الجاهلي - وهو نموذج النفي للنفي القائم على المغالطة.

الثالث: منهج الدكتور محمد مهدي البصير وهو يدرس «الشعر الجاهلي» أو «الاسلامي والأموي» وحتى العباسي. وكذلك موقفه من دراسة النثر وفي مقدمته «نهج البلاغة» - المنهج سليم فانه أي الدكتور البصير لا يسلم بما يقرأ من أخبار وآراء ونصوص. وانما يقف منها موقف المرتاب. ثم يعيد القراءة مرة أخرى وأخرى

والخلاصة أن الباحث مسؤول عن أحكامه. ومعنى هذا أنه مسؤول عن المادة التي يبني بحثه ويقيم عليها حكمه وهذه المسؤولية تلزمه بأن يكون ناقداً - إلى جوار كونه جامعاً. إنه يجمع ولكنه لا يحطب في الظلام، وهو يجمع ولكنه لا يستعمل كل ما يجمع ولا يثق به، فلا بد من مزاولة النقد الخارجي إن لم يجد المحققين قد قاموا بالمهمة قبله بل إنه ملزم بشيء منه حتى في الحالة التي يجد أمامه النص أو الخبر محققاً؛ ولا بد من مزاولة النقد الداخلي بوجهيه الايجابي ليعرف الأمور كما هي، والسلبي إذ يشك فيما يرى وقد يبين له شكه الكذب في أقوال الآخرين[1].

إن النقد الداخلي يدل على شخصية الباحث وبُعد نظره وذكائه، أما التطرف فيه ولا سيما في الجانب السلبي منه فقد يدل على ضيق في الأفق أو طلب للشهرة عن طريق المخالفة أو ... أو ... كما ان تحكيم منطقك الخاص في الأشياء أمر يدل على تزمت وقد يؤدي إلى ظلم، وليس من المنطق المبالغة في المنطق.

إن الباحث يجب أن يبقى رصينا في كل الأحوال.

وإذ تقف من النصوص والأخبار التي أمامك في مصادرها بعد أن نقلتها إلى الجزازات أو منها إلى المسودة، موقف الناقد الموثق تقرب نفسك من الحقيقة وتجنبها المزالق ولك بعد ذلك أن تمسك بالقلم «وتشطب» كل ما ثبت لك زيفه إن رأيت الأمر يمكن أن ينتهي بالشطب، أو أن تبرهن على الخطأ والكذب في هذا النص أو ذاك الخبر إذا

= ويفكر بالأمر طويلاً مقلباً اياه على حالاته المختلفة - ايجاباً وسلباً - جامعاً اليه أشباهه ونظائره متأملاً فيما يكتنفه من تناقض، مستعيناً بذخيرته الثقافية وما استقر في نفسه بطول التجربة والدرس، حتى اذا تأكد صحة ارتيابه قطع بالنفي أو رجحه مثبتاً أدلته على ذلك في وضوح وصراحة - تنظر بجلة الاديب البيروتية أبريل (نيسان) ١٩٦٨ يوليو (تموز) ١٩٧٢.
ومن الأمثلة الجيدة كتاب الدكتور محمد أحمد خلف الله - صاحب كتاب الأغاني أبو الفرج الأصفهاني «الراوية» القاهرة، دار الكاتب العربي، ط ٣، ١٩٦٨ (مقدمة ط ١، ١٩٥٣).

(١) ينظر للتفصيل في النقد الخارجي والداخلي رستم - مصطلح التاريخ - الباب الثالث ١٢ - عثمان - منهج البحث التاريخي ٨١ -، بدري - مناهج البحث العلمي ١٨٨ -، لانجلوا وسنيوبوس - المدخل الى الدراسات التاريخية بترجمة عبد الرحمن بدوي في كتاب «النقد التاريخي» (وعليه كان اعتمادنا أولاً، ويحسن جداً للالمام الجيد بالنقد الخارجي والنقد الداخلي الرجوع إلى أحد هذين الكتابين الاخيرين لما فيهما من تفصيل).
أما كتب قواعد التحقيق فلدينا منها كتاب براجستراسر - أصول نقد النصوص ونشر الكتب، وكتاب عبد السلام هارون - تحقيق النصوص ونشرها، وكتاب صلاح الدين المنجد - قواعد تحقيق المخطوطات. وبالفرنسية كتاب بلاشير وسوفاجه «قواعد لتحقيق النصوص العربية وترجمتها».

خشيت لومة لائم وجهل جاهل، أو أن تنزل الخبر أو ملخصه إلى الذيل ان وجدت في ذلك بعض نفع.

٥ - النقد الأدبي

تكوّن النصوص الانشائية من شعر وخطب ورسائل وقصص... مادة أساسية جداً في البحث الأدبي تقتضي وقفات خاصة تدخل في عملية النقد الأدبي. ويمكن أن تمر هذه الوقفات - ولا سيا إذا كان النص طويلاً - في الخطوات التالية:

١ - قراءة أولى للنص يقصد بها إلى الالمام به إلماماً كاملاً عاماً والاقتراب من جوه وتحديد الصعوبات التي يمكن أن تنجم لدى الدقة ورصد ما يجب أن يعنى به عناية خاصة من جوانب هذا النص في شكله ومضمونه.

وللغة النصيب الأوفى من التحديد في هذه القراءة... ولنتذكر أننا هنا نريد أن نفهمه كما هو، وان وقفتنا هي من طراز تلك الوقفة الايجابية لدى ما سمي بالنقد الباطني... ولهذا فلا بد من معرفة المفردات والتركيبات مستعينين بالمعجمات التاريخية (الزمنية) - إن وجدت - وبالشروح القديمة وبالمعجم الخاص لهذا الأديب أو ذاك - إن وجد - وبما وصل إلينا من تعليقات الآخرين على عناصر هذه اللغة.

إذا فهمنا النص كما هو، واتضحت فكرته السائدة حللناه إلى عناصره الأساسية في مقاطع أو فقر ليسهل استبطان الوحدات الصغيرة ضمن الوحدة الكبيرة...

ولا بأس في أن نسجل ما يعنّ لنا من ملاحظات وتعليقات في أثناء هذه القراءة وأن نثبت ذلك على الجزازات أو على هامش الكتاب نفسه إذا كان ملكنا. ويدخل في هذه الهوامش - بالطبع - تعليقات الآخرين على شؤون الجزء والكل.

٢ - قراءة ثانية... نكون فيها أكثر سيطرة على النص، ويمكننا الابتعاد عن الحروف بمقدار ما تحتمل من الابتعاد في محاولة لسبر أغوار الفكرة معلقين خلال ذلك على التركيبات البلاغية ما بين الحقيقة والمجاز مشخصين ما فيها من استعارة وكناية وجناس وسجع... معتمدين في ذلك ما تعلمناه في درس البلاغة. ولا بأس في مراجعة خاصة - بهذه المناسبة - لكتاب أو كتابين من أُمّات كتب البلاغة خشية أن يشذ عنا مصطلح وأن يضطرب علينا فهم.

ولا بدّ من أن تخرج البلاغة - أو تعود - إلى النقد الأدبي فتتبين أثر هذه المواد

البلاغية إيجاباً وسلباً، ونرى ما وراءها... ووراء الألفاظ من قوة أو ضعف، لأن التشخيص وحده عمل آلي ليس بذي دلالة تُذكر.

والنقد الأدبي أوسع من البلاغة، ولذا وجب أن نتأمل ما في النص من أخيلة وعواطف وأفكار محددين أنواعها ومصطلحاتها وأبعادها موضحين آثارها إيجاباً وسلباً منتفعين بدرس النقد الأدبي وأحاسن كتبه.

٣ – وإذ نتذكر اننا في موقف الناقد الأدبي الذي يحلّل ويفسر (ويقوِّم أحياناً) نعيد القراءة ثالثة للنظر في هذا الذي درسناه وحصرناه لنرى ما وراء السطور والصور ما خرج عن المألوف وما كان اعتيادياً مبتذلاً ولنحدد ما اختص به الشاعر أو الكاتب (أو العصر) وزاده على ما لم يكن قبله فمنحه حياة وقوة وجدّة وأصالة فكان فيه ذا أسلوب، مفسرين ذلك – ما أمكن – بالعوامل المؤثرة التي فعلت فعلها من تجارب خاصة وعامة ومن آثار للبيئة الضيقة والواسعة مستعينين على ذلك بما بين النص وصاحبه وظرفه من ترابُط، وما استطاع هذا الأديب أن يسبر من أغوار نفسه ويستوعب من قضايا العصر والانسان.

ولا شك في اننا نكتشف جديداً لدى كل قراءة ونتنبه إلى مكان الصواب والخطأ من فهمنا – وفهم الآخرين – ونستدل على صلة الجزء بالجزء ونمسك بالسلك الرابط بين الأجزاء.

ونبتعد لدى كل قراءة – وقد تكون القراءات أربعاً – قليلاً قليلاً من دون إسراف كي يتكشّف لنا النص عن نفسه ويلقي إلينا من أسراره. ولا بدّ – على أي حال – من ألفة النص ومعايشته والغوص فيه والانسجام معه... وفي ضوء هذه المعرفة نستطيع أن نتبين الجيد من الرديء من آراء الآخرين في النص وصاحبه ونتخذ من الجيد سنداً، أما الرديء فقد نهمله وقد نشير إليه وقد نقف لنفنّده بمقدار ما له أو لصاحبه من الخطر.

ان النص الجيد هو الذي يعطي كثيراً، ويستدعي الوقفة الأطول، أما الرديء والمتوسط فيمكن أن نكتشفه سريعاً فنقصر الوقفة ونكتفي بالتعليق عليه بكلمة أو كلمتين.

وإذ نقول: جيد ورديء.. لا نقول: صعب وسهل، فقد يكون مصدر الصعوبة التقعر في اللغة والتعقيد في المعنى والتصنع في البديع فتعني الصعوبة – حينئذ – الرداءة، وما نكاد نفك «الألغاز» اللغوية والبلاغية... حتى تتضح الحقيقة المرة ويعلن الفراغ

الموحش عن نفسه، فنهجر النص، وقد يكون مصدر السهولة قوة الأديب المنشئ وسيطرته. ويجدر بنا - في هذه الحالة - الحذر، لأننا كلما أطلنا النظر ازددنا عمقاً(١).

واذا انتهينا من الوقفات الاستيعابية الاستكشافية مما يدخل في عمل الناقد الأدبي نرسم خطة جزئية مناسبة لهذا النص المدروس.

ويمكن أن تأتي هذه الخطة الجزئية على نوعين:

١ - الخطة التي تتجزأ إلى نقاط مثل: اللغة، الموسيقى، البلاغة، العواطف، الأخيلة، الأفكار... جامعين تحت كل نقطة ما جاء منها في كل مقطع من المقاطع التي حللنا إليها النص.

٢ - الخطة التي تتجزأ إلى مقاطع النص: المقطع الأول، المقطع الثاني، الثالث، الرابع... دارسين تحت كل مقطع ما لدينا عن ذلك المقطع من مواد اللغة، الموسيقى، البلاغة... الأفكار.

وقد تكون الخطة الأولى أرقى وأمتن وأدل على قوة الباحث لأن الكلية هي المقصود الأول من دراسة النص، وما التجزئة إلا وسيلة لتسهيل الدراسة؛ ولا غرو ان كانت الخطة الأولى أدخل في الدراسات الحديثة كأنها اقتضت زمناً وتجارب لكي تتوطد.

ولا بد لنا - على أي حال - من وقفة عند البناء العام لنربط الفقرة من النص بالفقرة الثانية، والجزء منه بالجزء التالي لأننا لا نريد أن نترك النص كما هو لدى التحليل متناثراً مقطعاً، وانما لا بد من تقديمه - كما كان - في إطاره العام ووحدته الشاملة وترابطه النفسي كما يمكن أن يكون قد صدر عن صاحبه... فان لم نجد هذه الوحدة أشرنا إلى فقدانها وعللنا الظاهرة(٢).

هذه النظرة الشاملة من علامات الرقي في البحث وهي مما لم يتهيأ للقدامى إعطاؤها حقها فهي ثمرة للتطور في تاريخ الفكر الانساني، ودلالة على ما يتمتع به باحث دون غيره من سعة الأفق وبعد النظر والنفاذ إلى الصميم.

---

(١) ينظر كتاب هـ. ب تشارلتن - فنون الادب. تعريب زكي نجيب محمود، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، سلسلة الفكر الحديث، العدد الثاني ١٩٤٥.

(٢) يعنى الفرنسيون عناية خاصة بتأليف كتب تعالج النصوص الانشائية معالجة دارس أدب. وقد حاولنا - هنا - مثل هذا، ولكننا لم ننجح لما يتطلب العمل من تأن واخلاص ودقة وذوق - في المؤلفين والمدرسين والطلبة -، وقد يكون من خير ما يقدم للطالب هنا كتاب «نماذج من النقد الأدبي» لايليا حاوي - بيروت.

وهكذا، نرى، ان الوقفة عند النص الانشائي أشبه ببحث مصغر له خطته الخاصة به في البداية والنهاية والفهم والتفهيم. واذا قلت إن الوقفات الأخرى عند مراحل حياة الأديب أو مراحل حياة العصر وعند الأخبار والأحكام هي أيضاً أشبه ببحوث مصغرة، قيل لك: في الكلام شيء من الصحة ولكن ليست العبرة بالشكل الخارجي، لأن الوقفة من النص تقتضي زمناً أطول وشخصية أقوى، وتستدعي - زيادة على الصفات العامة للباحث - صفات خاصة بالباحث الأدبي إذ تشترط فيه أن يكون ناقداً أدبياً له الذوق والقابلية على استكناه ما وراء الحروف.

وليتذكر الباحث الناقد الأدبي انه - هنا - ليس مطلقاً يصول ويجول. كما تملي عليه ذاتيته وكما يتحكم به الانطباع الشخصي، وانما هو ناقد مؤرخ مقيد موضوعياً بعصر النص وذوق ذلك العصر وظروفه.

* * *

لقد درست النص وهيأت عنه الصورة التي تجمع بين الوضوح والايجاز؛ ولكن كم تثبت من النص نفسه في صلب بحثك؟ إنك أجدر من يعين هذا المقدار. فقد تثبته كله إذا كان مهماً جداً وكان محدود المساحة كالقصيدة والخطبة والرسالة والقصة القصيرة والمقالة... وأردت به وبدراسته أن تقدم به نموذجاً لنصوص أخرى ودراسات أخرى... وهذا يعني انك تختار من هذه النصوص عدداً محدوداً جداً: واحداً لكل باب أو لكل فصل. ومن الناس من يكتفي بالاحالة على مكان النص من المصادر ويثبت في «رسالته» دراسته عنه، ولكن النهج الأول أولى - ان اتسع المكان.

أما النصوص الأخرى فتكتفي منها بقطع أو أبيات وأسطر تستشهد بها خلال دراستك وتحيل القارئ إلى المصدر الذي يحتويها كاملة، وقد تكتفي بالشاهد والمثل مع تعليق موجز مناسب عندما ترى ان الموقف لا يستدعي الدراسة ولا يحتمل الاطالة[١].

---

(١) ومعلوم ان في النقد الأدبي تيارات مختلفة (قد تسمى انواعاً ومناهج) كالتاريخي والاجتماعي والنفسي والعقيدي والانطباعي والفني والبنيوي (Structuralisme)... لكل منها - لدى المناقشة - محاسن ومساوىء. ولسنا هنا بصدد هذه الاتجاهات. وان كنا نرى - الالمام بها والأخذ بالمناسب منها لانَ المنهج العلمي للبحث الأدبي لا يسمح بالتطرف في تيار دون تيار - ان المكان الطبيعي لدراسة التيارات هو كتب النقد الأدبي.

٦ - قراءة من أجل وحدة البحث

أمامك الآن مسودّة خرجت عن كونها نقلاً من الجزازات فقط لأنك ملأت الفراغ ووضعت الهوامش وعلقت ونقدت... وبقيت عليك أمور أخرى لا بد منها لتقرب بعملك من الشكل الذي ستقدمه عليه للآخرين بعد أن خرجت من المرحلة التي كنت فيها حراً كأنك تعمل لنفسك.

وهذه الأمور كثيرة أهمها:

١ - الجواب عن علامات الاستفهام التي كنت تضعها هنا وهناك من الهامش على الأخبار والآراء والنصوص قاصداً العودة إليها بعد الانتهاء لتكمل نقصها وتقرر مصيرها على سعة من البال وتفرغ للموقف.

في هذا النص إشكال، لنحله، وفيه غموض. لنوضحه، وبه حاجة إلى الشكل لضبطه...؛ وفي هذا الخبر جملة لم تنقل في دقة، وكلمة قلقة؛ لنرجع إلى الأصل لنستوفي الدقة ونزيل دواعي القلق؛ وأشياء تستدعي المعجم، أو الطبعة الأتم، أو سؤال من هو أعلم، فلنذهب إلى المعجم والطبعة الأتم والخبير العليم؛ وهذا رأي فطير، فليحذف، وهذا تعليق مبتور فليكمل؛ وهذا يناقض سابقه فلنبق الأصلح.

٢ - التناسب في الطول والقصر. أي الاكتفاء من النصوص والأخبار الطويلة بأقصر ما يؤدي المطلوب وهذا يعني إيجاز ما أطلت فيه لغير سبب ولا بأس من اعادة كتابته على وجه جديد.

وكنت تنقل الخبر كاملاً على طوله، وقد تنقل الخبر الواحد مرتين وثلاثا وأربعا عن مصادر تختلف، فعليك الآن أن تقرر الأصلح للبقاء مكملاً إياه بما تراه ضرورياً من الأخبار الأخرى، حاذفاً الباقي.

وكنت تنقل النص كاملاً: القصيدة كلها، الخطبة كلها، الرسالة كلها... في كل موقف من مواقف بحثك لكي يكون الفهم تاماً والحكم متناسقاً، أما الآن فما بك حاجة إلى أكثر من أبيات من هذه القصيدة وأسطر من تلك الخطبة أو الرسالة فلتبق الضروري وتحذف الزائد. وتنزل إلى الذيل ما مكانه الذيل، مطولاً أو مختصراً مشيراً إلى مصدره فقط.

٣ - مراعاة مكان الفقر والفصول. فقد تكون فقرة في غير مكانها فتنقلها حيث يجب أن تكون أكثر صلة بما حولها، وقد يكون فصل متأخراً فتقدمه أو متقدماً فتؤخره. وتحذف خلال ذلك ما تحذف... وتضيف ما تضيف على مقتضى الحال.

٤ - نظرة إلى الاحالات. لأنك بعد ان قدمت وأخرت في المواد يجب أن تقدم وتؤخر في الاحالات - وأرقامها ان كنت اتبعت نظام الأرقام في الاحالة على المصادر - تبعاً لذلك. ثم تنتي هذه الاحالات أي انك تبقي الضروري منها، وتحذف الثانوي والتافه والمكرر كثيراً. ومن الناس - بعد ان علم ان البحث العلمي الحديث يعنى بالاحالة إلى المصادر - من يكثر في الاحالة ويغرق بالاشارات فما يكاد يذكر كلمة في المتن حتى يضع عليها رقماً وينزل إلى الذيل يذكر المصادر والمراجع الكثيرة التي وردت فيها ناصّاً على الأجزاء والصفحات، وفي هذا جهد ضائع يخرج بالاحالة عن القصد الأول منها وهو التوثق حيث يحتمل ان يقع الشك، ومعنى هذا أن نقتصر من الاشارة إلى المصدر على الحالات الضرورية من هذا الباب، وذلك عندما يكون الخبر غريباً أو نادراً أو غير متداول؛ وعندما يكون الرأي جديداً لا بد من إسناده بالمصادر والوثائق.

لقد وضعت عند النقل إلى الجزازات وعند النقل منها إلى المسودة الاحالات كاملة إلى كل ما رجعت إليه، وذلك حقك لأنك لما تتبين الأهم على شكل قطعي. أما الآن فقد اتضحت الأمور، فاحذف الثانوي جداً وأكد المهم.

ولاحظ ان المفضل في تتابع المصادر اذا تكررت لخبر واحد. الترتيب الزمني مبتدئاً بالأقدم. وقد تبدأ بالأهم وان كان متأخراً. وتفصل بين المصدر والمصدر بعد ذكر أرقام الأجزاء والصفحات بفاصلة أو فاصلة منقوطة، واذا كان للمؤلف الواحد أكثر من مصدر في الخبر نفسه وجب الفصل بين المؤلفين بفاصلة منقوطة، والفصل بين مصادر المؤلف الواحد بفاصلة فقط وقد مرّ ذلك معنا.

وقد تحذف الخبر كله وتكتفي بالاشارة إليه فقط، أما إذا كان الخبر في المصدر الذي تريد أن تشير إليه يخالف قليلاً الخبر الذي اقتبسته من مصدر آخر وان الرأي فيه يخالف قليلاً الرأي الذي تبنيته، أو ان مصدراً آخر ومرجعاً آخر يحتوي على تفصيلات لا تريد أن تدخل فيها أو انك تريد أن تكتفي بغيرك فيها فانك تكتب في الذيل في هذه الحالات: ينظر.... ذاكراً المصادر والصفحة منه (ولا شك في ان ينظر بالبناء للمجهول أرق من أنظر بصيغة الأمر وانا إذ نذكر هذا، فانما نفيد من منهج الاحالة الفرنسية إذ يقول: (VOIR) على المصدرية لا على صيغة فعل الأمر).

أما إذا كان الخبر أو الرأي في المصدر الذي يحيل عليه المؤلف يختلف عما في مصدره الذي يعتمده - قليلاً أو كثيراً - وانه إذ يريد أن يتجنب الدخول في التفصيلات

أو يريد أن يلفت نظر القارئ إلى ذلك الخلاف فيحسن ان يستعمل : «يقابل» ذاكراً بعد الكلمة المصدر ومكان الخبر أو الرأي من أجزائه وصفحات أجزائه، مستفيداً بذلك من المصطلح الغربي (C F) أي (compare (= comparey)

ان العلم بالمختصرات (abbreviation (= abréviation) ورموزها جزء من علم الباحث وفنه، ومن هذه المختصرات التي يحتاج إليها وهو يعد مادة للتحرير (أو التبييض) : مخ. أي مخطوطة، ومنها : أعلاه وأدناه مشفوعتان برقم الجزء والصفحة للاشارة بذلك إلى ان جانباً من الموضوع الذي تبحثه الآن قد مر معنا، أو سيمر، مستفيدين من المصطلح الغربي (supra) أي (ci-dessus) و (infra) أي (ci-dessous).

ومنها نفسه، تريد أن تقول : المصدر نفسه، وذلك عندما تنقل أكثر من خبر واحد أو رأي واحد على لتوالي عن مصدر واحد في صفحة واحدة، فتكتب حينئذ : نفسه اختصاراً وتجنباً للتكرار (على ألاّ يكون في صفحتين مختلفتين من بحثك) مستفيدين بهذا المختصر من المصطلح الغربي ((Ibid (Ibidem) ومنها : المصدر (أو المرجع) السابق، و (.Id) أي (Idem) عندما تكون الاحالة - عادة - إلى المصدر (أو المرجع) نفسه مع اختلاف في الجزء أو الصفحة[1].

ومن الباحثين من يختصر في أسماء المؤلفين أو المصادر، ولكن المحذور في هذا أن تكثر الرموز ويصعب على القارئ متابعتها - كما يحدث مثلاً لمن يراجع كتاب بروكلمان في تاريخ الأدب العربي - ولهذا حسن أن يكون الاختصار - إذ وجد - في الحالة الضرورية جداً وعلى الشكل الذي لا يربك القارئ[2].

ومن الناس من يغرق في التعليق في الهوامش، فلا تكاد تمر كلمة إلا شرحها ولا حادثة إلا فصّلها، وفي هذا غير قليل من الجهد الضائع لأن المعقول انك لا تشرح إلا المغلق جداً ولا تشرحه إلا ملخصاً لضرورة قصوى.

ان الاحالات إلى المصدر في ذيل الكتاب لا بد منها في البحث العلمي الحديث

---

(١) وقد رأيت خلاف ذلك في بعض الكتب فجاءت (Ibid) مكان (.Id) ومنهم من يرى أن (Ibid) احالة على المصدر نفسه و (.Id) احالة على المؤلف نفسه. ومن الباحثين من لا يرتاح لكلمة «نفسه» مستقلة مفضلاً «المصدر نفسه» أو «المرجع نفسه».

(٢) المختصرات احدى ثمار نضج البحث وقد عرفها العرب على وجهها الحقيقي لدى أهل الحديث وغيرهم، وهي واضحة في القاموس المحيط للفيروزابادي.

حتى انها لتتخذ دليلاً شكلياً على البحث، ولكن يجب الاكتفاء بالضروري والمهم على الوجه الموجز المركز لئلا تستحيل الحواشي غاية أو وسيلة للخداع. وقد يبدو غريباً أننا – وقد أخذنا نظام الحواشي عن الغرب، فبالغنا فيه أكثر منهم. ويمكن أن يرد السبب في هذا إلى جدتنا على الموضوع والى اننا نعنى بحشر المعلومات أكثر مما نعنى بما تعطيه هذه المعلومات من فرص الفكر والمناقشة وظهور الشخصية.

وقد رأينا ان إثقال الهامش أمر لا يرغب فيه، لذا ينصح بتخفيفه. ومن النصائح في هذا الباب انك إذا رأيت ضرورة لتفسير مفردات أو التعريف بأشخاص، وكان عدد ما تراه ضرورياً لذلك يؤدي إلى اثقال الهامش فعليك أن توحد بين هذه المواد وتنقلها كلها إلى آخر الكتاب وتقدمها على شكل ملاحق، ولا بأس في أن تنظمها تنظيماً معجمياً وتكتفي بأن تضع اشارة واحدة إليها في المتن.

انك إذ تنظر في المسودة من أجل وحدة البحث تحذف ما كان زائداً. وتقصر الطويل وتملأ الفراغ وتنقل ما لم يكن مطمئناً في مكانه وتبعد ما هو فطير أو شخصي جداً. وأنت في هذه الخطوة تمنح عملك الحركة والحياة، وتهيىء لشخصيتك بأن تأخذ مكانها في الحدود التي يقتضيها البحث[1].

وتذكر انك على أبواب تقديم عملك إلى الآخرين وان ذلك يستدعي المتانة في الرأي، والتماسك في البناء والتناسب في المقادير – أي النقاء، ان أردت أن تلخص الموقف في كلمة واحدة.

٧ – اللغة

لغة الباحث جزء لا يتجزأ من بحثه، ولا يتم له النجاح بالمادة أو بالشخصية الفكرية معروضة خلال المادة في خطة متماسكة ما لم تكن له لغة سليمة من الوجوه كلها: فصاحة المفردات من غير تطلب للغرابة بتقصي المفردات الميتة أو الصعبة اللفظ؛ وبلاغة التراكيب – كما يقتضي علم النحو في الاعراب، وصلة الفعل بالفاعل، والفاء الرابطة لجواب الشرط ولام القسم، وكما يقتضي علم المعاني في التقديم والتأخير والايجاز والاطناب.. مبتعداً عن المجاز العقلي وعن مقتضيات علم البيان في المجاز والاستعارة

---

(١) تقرأ الصفحات التي كتبها العالم الفرنسي الأديب بيفون – في القرن الثامن عشر – بعنوان: «الاسلوب» ونقلها الى العربية الدكتور أحمد أحمد بدوي وضمنها المجموعة الأولى من كتابه «في النقد والأدب» وقد مرت الاشارة اليها.

والكناية... لأن المطلوب منه الوضوح والسلاسة في التعبير والمتانة في السبك... مما هو متعارف عليه في بلاغات العالم «الكلاسيكية».

ان لكل لغة عبقريتها في ادارة العبارة، وأول ما يقتضيه البحث هو الاحساس بهذه العبقرية وتقديرها حق قدرها ثم التمكن - أو الاقتراب - من تحقيق أكبر قدر منها. ثم تأتي بعد ذلك، الادارة الخاصة التي يدبر بها الباحث عبارته ضمن المألوف العام لهذه اللغة؛ وفي هذه الادارة الخاصة تتميز ملامح شخصيته، على ألاّ تعني تلك الادارة المبالغة في الحماسة والخطابة والشاعرية والاكثار من الصور والمجازات؛ ولا تعني - في الوقت نفسه - الجفاف والجمود والبتر والايجاز المخل والتخلخل والتفكك والخضوع إلى استعمال العالي أو الاستعمال المتأثر باللغات الأجنبية.

والباحثون منازل إزاء اللغة، ومنهم من يضيق بالحد الأدنى من السلامة، وهذا نقص دون شك. ومنهم من أوتي حظاً في امتلاك ناصية اللغة، وهذا كمال دون ريب، فلا يطلب من الباحث أكثر من ذلك، وإذا طلب فقدر حبيب من الطراوة والجمال في الحدود التي لا يطغى فيها «الفن» على الحقيقة، لأن المطلوب من الباحث أن يقدم الحقيقة كما هي، أي كما أدركها لدى الجمع والمناقشة الضرورية والمعايشة والغوص، مشفوعة بالحواشي الذكية والاشارات الضرورية إلى المصادر التي تقوي الحقيقة وتوطدها.

ولقد أدت القرون المظلمة التي وقع العرب تحت وطأتها قروناً عديدة إلى اضعاف اللغة العربية لدرجة كبيرة جداً كادت تلفظ معها آخر أنفاسها؛ ولكن النهضة الحديثة منذ أواخر القرن التاسع عشر تداركت ما يمكن تداركه واستطاعت، منذ القرن العشرين، أن تعيد إليها الحياة والرواء، فكان لنا شعراء وكتاب يمتلكون اللغة جيداً، ويتصرفون بها جيداً فأبدعوا نظماً ونثراً، ومنهم من استطاع أن يكون له لغة علمية فيها دقة وحياد ووضوح، وكانت مجلة «المقتطف» رائدة في ذلك؛ إلا ان النهضة لم تكن عامة أو، بمعنى أدق، ان الذين تميزوا بالتمكن أو الابداع كانوا عدداً محدوداً من مجموع العالم العربي ثم لم يلبث الوهن ان دب إلى الأقلام الشابة، لتهاون مدارسنا في ايصال اللغة العربية إليهم وتدريبهم على الكتابة كما يجب، ولعوامل أخرى، حتى إذا أرادوا التعبير عن شيء والبحث في شيء خانتهم لغتهم فقعدوا عن أداء الواجب.

ويتضح هذا، على وجه الخصوص، لدى المثقفين الذين لم يشعروا مبكراً بخطر اللغة في حياتهم أو أنهم لم يألفوا إلاّ النماذج الرديئة أو ان علمهم كان غربياً أكثر منه

عربياً ؛ زد على أن مفهوم لغة خاصة بالبحث لم يتوطد لدينا حتى على يد الباحثين من الرعيل الأول فوقع بعضهم في الجفاف ووقع بعضهم في الانشاء والخطابة والمغالطة ولم ينجح إلاّ قليل لم يستطع أن يكوّن رأياً عاماً ، ومن الباحثين - وهم غير قليلين - من أدرك لغة البحث عند الغربيين ولكنهم لم يدركوها في اللغة العربية ، ومنهم - وهم كثيرون - من حاول أن يبحث ويعرض نتائج بحثه بلغة عربية ولكنه أحس بالعجز يلف جوانبه وجاء كلامه مضطرباً ونسجه ركيكاً ونحوه عليلاً ، وكثيراً ما دفع بهم العجز إلى النكوص عن العمل واحتاج آخرون - ولا بأس - إلى الاستعانة بأهل اللغة يقوّمون من عبارتهم ما يمكن ويصلحون من نحوهم ما يستطاع - والحالة مؤسفة على أي حال ، جديرة بالاهتمام ، وأقل ما يقتضينا ذلك عموماً الجد في معالجتها ، وخصوصاً السهر على لغتنا لدى البحث ، والتدريب والكتابة واعادة الكتابة .

أجل ، فاللغة عنصر حياة وهي ركن في البحث ، والتقصير فيها تقصير فيه .

ولا يفترض في الباحث أن يكون أديباً مبدعاً بالمعنى الذي يفترض في أهل الصناعتين : الشعر والكتابة الفنية ، وما تقتضيان من خيال وصور وعواطف .

ولا يتحقق لك الحد المطلوب من اللغة بغير عناية سابقة بها قراءة وحفظاً وكتابة وتذوقاً ... وتمريناً واعادة للتمرين . والمفروض ان دراستك السابقة منذ الدراسة الابتدائية تهيئ ، لك هذا وتعدك له لما فيها من القواعد والتعبير والنصوص والمطالعة والبلاغة والنقد الأدبي .. ولكن الذي يحدث - لدينا عادة - أننا لا نفيد من هذه الدراسة السابقة لقلة سهرنا على شؤونها في الدراسة والتدريس والمناهج والكتب كأنها ليست عنصراً في الحياة - وليتنا نخدم لغتنا كما يخدم الغربيون لغاتهم .

واذا كنت على حظ قليل من أمر اللغة فالخير لك أن تتلافى الموقف بمضاعفة الجد والمراجعة والتمرين ... والا فقدت ركناً مهماً جداً من كيان الباحث .

الخلاصة : ان اللغة السليمة التي تجلو الحقيقة سلسة من دون تصنع أو تقعر شرط رئيس في كمال البحث[1] .

ملاحظة :

انك بعد كل مرحلة أو خلال كل مرحلة قد تشعر بتعب أو ملل ، فاعلم ان ذلك طبيعي ، وعليك أن تواظب رغم شعورك السلبي هذا ، فقد يكون غيمة عابرة تستأنف

---

(١) من خير أمثلة لغة البحث التي تقف وسطاً بين الجمود واللين لغة طه أحمد ابراهيم في كتابه « تاريخ النقد الأدبي عند العرب » ، ولا بأس في أن تقرأه وتعيد القراءة ... تلي ذلك لغة الدكتور محمد حسين هيكل .

بعدها عملك منسجماً. فاذا استمرت الحال معك فاترك عملك موقتاً وروّح عن نفسك بنزهة أو سينما أو أي شيء ولا تخف لأنك ما أسرع ما تعود إليه (ان كان الجد صفة لك).

وقد يعاودك أو يعتريك السأم في هذه المرحلة أكثر مما في غيرها، وقد يكون الوقت أبطأ عليك في المراحل الأخيرة منه في المراحل الأولى. وليس في الأمر غرابة لأنك سرت في العمل أشواطاً، ولأن الشوط الجديد يقتضي فكراً وذكاء ويقظة أكثر مما اقتضاه الشوط الأول.

المهم ان تعرف ذلك سلفاً، وتزيد في المدة الزمنية للبحث - ولا تقلق، لأن القلق آفة في كل مرحلة، وفي المراحل الأخيرة بوجه خاص.

الفصل الثامن

المبيضّة

أمامك الآن بحث مشوش الهيئة فحذفٌ هنا وزيادة هناك، وتعليق هنا وتعليق هناك، وقد تضيق حاشية وقد تبقى أخرى بيضاء، قد تضطر أن تكتب على ظهر ورقة وقد تبقى لديك ورقة كأنها بيضاء، وقد... وقد... ولا تسل عن الاشارات والأسهم...

ان هذا البحث متاهة للآخرين، فانهم لا يكادون يعرفون أعلاه من أسفله، وأوله من آخره. وقد يحدث لك شيء من هذا في بعض المواقف، وانك لو تركته مدة وعدت إليه صعب عليك أن تتبين مسالكه وبذلت جهداً كبيراً في السيطرة على دروبه.

لذا، فان أول ما تفعله بعد أن تنتهي من المسودّة في شكلها الأخير وبعد أن تنظر فيها نظرة من أجل وحدة أجزائها أن تقرأها، وأن تخرجها من هيئة التشويش إلى هيئة بيّنة واضحة أي أن تبيضها وأمامك الخطة في آخر صورها وأكمل أجزائها: المقدمة، التمهيد، صميم البحث بأبوابه وفصوله، وأجزاء فصوله أرقاماً وحروفاً، الخاتمة. ومن هنا حسن ان يقف الباحث – في هذه القراءة بما يشبه موقف الغريب، كأن البحث ليس له وانما هو لآخر، قد يكون عدواً... ويبتعد بذلك عن «عين الرضا» ليرى ما لم يكن قد رآه، ويستحضر ما غاب عنه، ويبدو له من العيوب ما لم يكن قد بدا.

انك في هذه المرحلة من مراحل الكتابة (التحرير) (Rédaction) أعلى مراحل المسؤولية عن سلامة الاداء إعراباً وتركيباً مع مسحة من جمال العرض وسمة من رشاقة التعبير.

١ – المقدمة

ان المقدمة التي تكتبها الآن لبحثك قد ولدت أولى موادها منذ اليوم الأول الذي فكرت فيه بالبحث، وظلت تعيش معك، وربما سجلت من موادها شيئاً على هذه الجزازة أو تلك وفي هذه الحاشية أو تلك وفي الدفتر المساعد...

تتأمل قليلاً، وتكتب مراعياً النظام والهندسة والكرم المناسب بالورق. وتذكر أن المفضل في المقدّمة أن تكون موجزة لا تزيد المساحة التي تستغرقها على خمس صفحات للكتاب الذي يبلغ ٢٠٠ – ٣٠٠ صفحة. وتتضمن – في الغالب – ثلاث نقاط رئيسية هي:

١ – تحديد الموضوع في زمانه ومكانه ومادته، لتجنب نفسك الخروج عن الدائرة وتدفع حساب الناقدين وتحول دون أن يشتدوا معك فيما ليس من حقهم مطالبتك فيه.

٢ – الخطة، بأن تتكلم موجزاً على الطريقة التي ستسير عليها معلّلاً اختيارك اياها لتضمن بذلك السير سليماً منذ البداية حتى النهاية، ولتتقي حساب الناقدين الذين يمكن أن يفرضوا عليك طرائق أعلنت تجنبك إياها وأبنت مزالقها وعيوبها.

٣ – صلتك بالموضوع وأسباب اختيارك إياه وخلاصة لطريقك إليه.

ومما يقع في المقدمة – إذا كانت حاجة – الاشارة إلى من سبقك بالبحث فيما هو موضوعك أو ذو علاقة به، وقول كلمة فيه إيجاباً أو سلباً ليعلم القارئ – سلفاً – سبب اختيارك موضوعاً طُرق من قبل، وسبب تجنبك ناحية من موضوعك.

ويستحسن أن تبدو متواضعاً، صادقاً في تواضعك، فلا تدّعي أو تتكثر. فالخير أن تشير إلى جهدك المبذول تاركاً للقارئ تقديره وتقويمه، بل يحسن أن تنص على ان جهدك هذا لم يحقق إلاّ قدراً محدوداً راجياً ان تتكفل الأيام المقبلة باستكمال الباقي.

ولا بأس في أن تثبت في المقدمة الشكر للذين أعانوك على انجاز مهمتك. ومن الناس من يلزم بشكر الاستاذ المشرف.

واذا كانت هذه خطوطاً عامة في المقدمة، فان مادتها ستكون خاصة تختلف من بحث إلى بحث، ومن باحث إلى باحث، كما ان لكل بحث ظروفاً خاصة يمكن أن يشير إليها صاحبها ضمن إطار الايجاز.

وكثيراً ما ترقم صفحات المقدمة بالحروف الأبجدية (أ، ب، ج، د، هـ ...) مجاراة لتقليد الباحث الغربي اذ يفضل لمقدمته الأرقام الرومانية (I.II.III.IV.V)[1]، وقد يكون من الدوافع إلى ذلك كون المقدمة آخر ما يكتب من الكتاب، ولا يدري سلفاً ما سيكون عليه عدد صفحاتها.

---

(١) يفعل مثل هذا عدد من مؤلفي المغرب العربي، لا سيما وهم يعتقدون ان الارقام التي نسميها غربية مثل... 1234 هي الصورة الصحيحة للارقام العربية.

وتذيل المقدمة عادة بعنوان المؤلف مشفوعاً بالتاريخ[1]

٢ – التمهيد

قبل أن تدخل صميم البحث ، لا بد لك من تمهيد في العصر الذي وقعت فيه أحداث موضوعك تلم فيه بثلاث نقاط أساسية هي :

١ – الحالة السياسية (ومنها الرقعة الجغرافية والأمور الادارية) .
٢ – الحالة الاجتماعية (ومنها الاقتصادية ...) .
٣ – الحالة الثقافية (ومنها الأدبية) .

وليس الباحث الأدبي في هذا التمهيد مؤرخاً للعصر ، ولكنه يذكر من هذه النقاط ما له صلة مباشرة بموضوعه مما يسهل على القارئ معرفة الأحداث التي سيمر بها عند البحث ويعده للجو الذي ستجري فيه تلك الأحداث ؛ ويجنب المؤلف أن يقطع سلسلة البحث بوقفات هنا وهناك شارحاً أو موضحاً مما يعكر الصفو ويفكك الوحدة.

وانك تستطيع في هذا التمهيد أن تنتفع بثمار المؤرخين المعاصرين لك إذا وثقت من نضجها – كلاً أو بعضاً – ولا بد لك – في هذه الآلة من الاشارة المجملة إليهم .

والمألوف في حجم التمهيد أن يقرب من نسبة ١/١٠ من مجموع الدراسة المطولة إذا لم يكن العصر قد درس دراسة ناضجة. وتقل هذه النسبة اذا وجدت دراسة أو دراسات موثوق بها يشير إليها المؤلف ويقتصر من التمهيد على النقاط الخاصة جداً بموضوعه .

ان أشد ما يخشى على الباحث أن يضيع في متاهات التمهيد فيمضي وقتاً طويلاً في دراسة العصر كأن هذا التمهيد غاية في نفسه. وحينئذ يضيّع جلّ طاقته فيما لم يكن وكده وهمه ولم يكن أول ما يسأل عنه .

---

(١) وتبوأت المقدمات مكاناً مرموقاً في كتب التراث ، وقد يسمونها خطبة ، وقد يتركونها من دون عنوان مكتفين بالبسملة ... ومن أمثلتها مقدمة ابن الأثير لكتابه : المثل السائر . وأذكر أني قرأت في معجم الأدباء لياقوت ان المقدمة بكسر الدال للكتاب وبفتحها للجيش – وآسف لأني لم اقتبس ذلك النص لمثل هذه الحاجة. ولا أدل على اهتمامهم بالمقدمة واتخاذها قاعدة مقرّرة ، مما جاء في كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان وهو يتحدث عن عبد الله بن قتيبة ومؤلفاته : «والناس يقولون ان أكثر أهل العلم يقولون ان «أدب الكاتب» خطبة بلا كتاب ، و«اصلاح المنطق» [لابن السكيت] كتاب بلا خطبة . وهذا فيه نوع تعصب فان أدب الكاتب قد حوى من كل شيء ، وهو مفنن [أي مبوب] وما أظن حملهم على هذا القول إلاّ ان الخطبة طويلة واصلاح المنطق بغير خطبة».

وليس من الصحيح أن يعد «التمهيد» باباً من أبواب الكتاب أو فصلاً من فصوله... وليس من الصحيح كذلك أن تكون الحواشي والمصادر المذكورة فيه على الدرجة التي تكون عليها في صميم الكتاب.

٣ - صميم المادة

إذا كنت قد وزعت بحثك على الأبواب. فاكتب: الباب الأول، ويفضل أن تخصص لذلك صفحة كاملة وتكتبه بحرف ذي حجم كبير.

ثم تبدأ صفحة جديدة تكتب من أسفل ربعها الأعلى: الفصل الأول بحرف كبير ولكنه أصغر من حرف «الباب». وتكتب تحت الفصل عنوان المادة التي سيحتويها مثل، حياته، نشأته، المديح، اللغة... الخ.

وتبدأ الفقرة الأولى تاركاً بياضاً قليلاً (في حدود السنتمتر)[1] من أول السطر وتسير بالنقل مع ملاحظة:

١ - وضوح الحرف مع ضبط الرسم (الاملاء).
٢ - وضع النقاط في أماكنها تحت الحرف أو فوقه - والدقة في كتابة الهمزة.
٣ - تضع نقطتين لهاء التأنيث.
٤ - علامات الترقيم: ، ؛ . : ؟ !
٥ - سلامة النحو.
٦ - ضبط ما يجب ضبطه من أسماء الأعلام أو ما يحتمل أن يخطئ فيه قارئ متوسط الثقافة من مسائل الاعراب والصرف والاشتقاق.

٧ - الدقة في استعمال الأقواس بدلالاتها:

« » تحصر بينها ما تقتبسه كاملاً من أخبار وشواهد[2]

إذا كان النص المقتبس طويلاً فيحسن تمييزه ويكون ذلك بمضاعفة هامشه الأيمن داخل الصفحة وقد يكتب زيادة على ذلك بحرف يختلف عن الحرف المعتاد، وقد يحصر كل سطر من سطوره :بـ« » أقواس صغيرة.

---

(١) بدأ الفرنسيون، في السنوات الأخيرة، يستغنون عن هذا البياض في كتبهم وصحافتهم.

(٢) واذ لم تكن العرب تعرف الأقواس دفعتها الضرورة المنهجية إلى اكتشاف ما يناظرها في الدلالة كأن تكتب في بداية الخبرأو النص قال... أو جاء في الكتاب الفلاني، وتكتب عند انتهاء الاقتباس والنقل كلمة انتهى أو أهـ.

(   ) لتفسر بما بينهما كلمة سابقة أو مدينة أو مصطلحاً.

[   ] لما تضيفه أنت اقامة لنص أو بيت مما يجب أن يضاف.

[...] دلالة على ما تركت من جمل في نص اخترت منه جملاً متفرقة ذات معنى.

= بعد آخر كلمة من آخر سطر في الهامش، يعني أن الهامش لما ينته وأن القارئ يجد تتمته في أول سطر من هامش الصفحة التالية مسبوقة بـ = كذلك.

٨ - الكتابة على وجه واحد من الورقة.

٩ - أترك سطراً (أو أكثر) بعد كل فقرة.

١٠ - ليكن الهامش عريضاً شيئاً، وليكن الذيل طويلاً شيئاً.

١١ - ضع أرقام الاحالات واضحة وصغيرة وعلى الزاوية العليا من نهاية القوسين أو الزاوية العليا اليمنى للكلمة - ان لم تكن أقواس - (وهي تساوي الزاوية العليا اليسرى للقارئ ...).

تكتب هذه الأرقام بلون أحمر (أو أي لون آخر يختلف عن حبر التحرير) أما تسلسلها فيأتي على احدى طريقتين:

الأولى أن تسير بها متسلسلة ١، ٢، ٣، ٤، من أول الفصل حتى نهايته وتكتب في الذيل ما تشير إليه هذه الأرقام من المصادر والشروح.

الثانية ان تحتفظ لكل صفحة بتسلسل خاص باحالاتها، فقد يكون في الصفحة الواحدة احالة واحدة وقد تكون أربع إحالات... الخ، حتى إذا بدأت صفحة جديدة بدأت معها أرقاماً جديدة ١، ٢، ٣...

ومن فوائد الطريقة الأولى انك لا تغير الأرقام في المتن والذيل عند تبييض الفصل (أو عند طبعه)، بتغير ترتيب الصفحات.

ومن فوائد الطريقة الثانية انك إذا اضطررت لزيادة رقم أو انقاص رقم فانك لا تغير إلا أرقاماً قليلة هي أرقام تلك الصفحة التي حدث فيها تغيير الرقم، بينما تلزم بتغيير كل أرقام الفصل لو اضطررت إلى ذلك في الطريقة الأولى.

إذا انتهيت من تبييض الفصل الأول، تبدأ صفحة جديدة للفصل الثاني وتكتب في أسفل الربع الأعلى منها الفصل الثاني، وتحته عنوان مادته.

وهكذا... حتى تصل الباب الثاني فتكتبه بحرف كبير على صفحة خاصة، وتبدأ فصوله الأول، الثاني... حتى تصل الباب الثالث - ان وجد... وهكذا...

أما أرقام صفحات الكتاب فالمفضل أن تبدأ أولى صفحات المقدمة بـ (٥) حاسباً حساب صفحتي الغلاف الداخلي وصفحتي الورقة التي تترك أناقة بعدهما قبل المقدمة ولا يكتب عليها (على وجهها) إلا عنوان البحث ثم تسير على ان تعطي كل صفحة رقماً حتى لو كتب عليها كلمة واحدة أو تركتها بيضاء.

وتكتب الأرقام في العادة في أعلى الصفحة (وقد تكتب على يسارها الأعلى أو يمينها) وفي هذه الحالة لا تكتب رقماً للصفحة البيضاء أو ذات الكلمة الواحدة أو التي تحمل عنواناً كالمقدمة والتمهيد والفصل الأول - على أن تحتفظ بالرقم لدى التسلسل.

ومن الناس من يكتب الرقم في هذه الحالة أي في الحالة التي تبدأ الصفحة بعنوان رئيس، في أسفل الصفحة.

ومنهم من يتجنب هذه المزالق بأن يتبنى منذ البداية وضع الأرقام في أسفل الصفحة (وسطها عادة).

ولنتذكر أن من المؤلفين من لا يضع أرقاماً لصفحات المقدمة وانما يجعلها ا، ب، جـ، د...

قد يستدعي بحث ملحقاً (أو ملاحق) بين نهاية الفصل الأخير والخاتمة كأن يعثر الباحث على مادة مهمة تخدم موضوعه وتوضحه وتؤيده وتخدم القارئ إذ تضع بين يديه مادة يصعب أن يصل إليها.

من هذه المواد التي تجعل للملحق أهميته وضرورته: قصيدة أو خطبة أو رسالة... مخطوطة أو نادرة جداً أو قطعة ضائعة من ديوان شاعر أو كتاب كاتب أو صفحات مجهولة من تاريخ عصر أو قوائم تتضمن احصاء... واستدراكاً وتصحيحات على كتب مطبوعة..

ليس الملحق شرطاً في البحث العلمي. ولكنه - إذا استوفى المطلوب منه كان ذا دلالة على حرص الباحث واستعداده للبذل... والتقصي.

٤ - الخاتمة

لا بد لكل بحث علمي من خاتمة. ويستحسن ألاّ تطول، والمفضّل فيها ألاّ تزيد على عشر صفحات في بحث يزيد على ثلثمائة صفحة؛ لأن طولها يضيع الفائدة التي

وجدت من أجلها، ولأن المادة التي يمكن أن تطيل الخاتمة يحسن بها أن تُرد إلى أماكنها المناسبة من فصول البحث.

والمعتاد في الخاتمة:

أولاً - أن تتضمن خلاصة لمجموع البحث تثبت في ذهن القارئ النقاط الاساسية في مجموع ما قرأه.

والباحثون ازاء هذه الخلاصة على حالين: منهم من يسير فيها كما سار في بحثه مبتدئاً بالفصل الأول ومنتهياً بالأخير قائلاً رأينا في الفصل الأول كذا وعلمنا في الفصل الثاني كذا؛ ومنهم من يثبت النقاط الأساسية على منهج جديد يبتدئ بالأهم ثم الأقل أهمية - أو بالعكس - ويسير بشخصية بارزة وقلم سيّال كأنه المنشئ الذي اختمرت في نفسه تجربة فاراد أن يعرب عنها غير متوقف ولا متعثر ولا متكئ على شيء، مما اعتاد «المعلمـــون» الاتكاء عليه من قولهم: رأينا وعلمنا، ومر معك، وتتذكر.

ولا بد من أن تكون الحال الثانية أرقى لأنها تدل على تمكن الباحث من مادته وانسجامه واياها ونفوذها في مسارب نفسه ثم انها تغير الجو على القارئ وتجد نشاطه وتغريه بالاستمرار على قراءة ما سبق أن قرأه.

وتتضمن الخاتمة - زيادة على التلخيص - اموراً جديدة من معلومات لم يسبق ذكرها ولم يجد لها الباحث مكاناً مناسباً في فصول الكتاب؛ ومن آراء جديدة لم يكن من حقه أن يبديها في غضون بحثه لأنها تعدّ «شخصية». أمّا هنا - في الخاتمة - فيحق له ذلك؛ فهي والحالة هذه - من الفرص النادرة التي يستطيع أن يتحرر فيها المؤلف (في حدود بالطبع).

ثانياً - من الباحثين من يضرب عن التلخيص في الخاتمة فلا يستعيد مادة عرض لها أو رأياً عرضه، وانما يفجأ القارئ برأي جديد أو بالاستفاضة برأي مر ضائعاً في طوايا بحثه وكأنه يفتح ذهن القارئ الى أمر خطير انتهت اليه الدراسة ويجدر أن يكون بدءاً لدراسة أخرى ونقاش جديد.

ولهذا النوع من الخاتمات طرافته وقيمته. ولكن يعز على الاساتذة المنهجيين أن تقتصر الخاتمة عليه وحده[1].

---

(١) مناسب أن يطلع الطالب على «الكلمات» التي يختم بها الدكتور محمد مهدي البصير فصول كتبه، فهي نماذج بارعة في بابها.

٥ - المبيضة الثانية

أمامك الآن بحثك كاملاً، منذ المقدمة حتى الخاتمة ماراً بالتمهيد والأبواب والفصول، وفيه صفحات - قد تكون غير قليلة - جيدة الكتابة جيدة التقديم ولكن فيه صفحات - غير قليلة أيضاً - جرى عليها تعديل وتصحيح وتعليق أو يحسن أن يجري عليها شيء من ذلك كالعناية الخاصة باللغة نصاعة وجمالاً... فماذا نفعل؟

لا بد من أن توفر الانسجام في الاخراج وأن يبدو بحثك كلا متناسقاً. وقد ترى أن تعيد كتابة ما يحتاج الى اعادة مستفيداً من فرصة انك تكتب على أوراق منفصلة أو دفتر - دوسيه. ولك ذلك اذا ضمنت تمام التجانس والا فالاحسن الاحسن التبييض الكامل المتأني مخرجاً حسناً.

وتجد في الاساتذة المدققين من يشترط أن يطلع على بحثك في آخر صوره المكتملة خشية أن يكون فاتك شيء أو أنك تهاونت في شيء، وأملا في اكمال نقص واستدراك فائت واطمئنانا الى صحة العمل. انه لا يريد أن يصدر شيء عنه وباسمه دون أن يكون قد علم كل اسراره، لأنه ينظر الى بحث الطالب باشرافه نظره الى بحث يؤلفه.

واذا انتهى كل شيء على ما يرام: اذن لك بالطبع. وتكون بذلك قد دخلت مرحلة حاسمة، وأنك حققت - في الحالات الطبيعية النجاح - أو أكثر من ٩٠٪ من درجة النجاح في الأقل، وانك ضمنت كذلك اللقب العلمي. وأن المبيضة الدقيقة الواضحة الانيقة تسهل عملية الطبع وتؤدي الى طبع دقيق.

٦ - فهرس المصادر والمراجع

رجعت الى مصادر ومراجع كثيرة. وقد خصصت جزازات لها فيها اسم المؤلف الكامل ومعلومات عنه واسم الكتاب الكامل ومعلومات عنه. وقد جمعت من هذه المصادر والمراجع مادة بحثك وأشرت الى ما أخذت عن كل مصدر في مكانه موضحاً ذلك بالجزء - ان وجد - والصفحة. وقلنا لك لا تشفع ذلك التوضيح باسم المطبعة وتاريخ الطبع ومكانه... دفعاً للتكرار واقتصاداً بالمساحة والوقت.

كيف يعرف القارئ - اذاً - هذه المعلومات الضرورية التي تبين قيمة الطبعة ونوعها ومن ثم امكان العودة الى الجزء والصفحة..؟ المسألة على الغاية من البساطة. أن تعمل في آخر بحثك قائمة تحتوي المصادر والمراجع التي أفدت منها ذاكراً اسم المؤلف واسم الكتاب واسم المطبعة... الخ مرتباً ذلك على حروف الهجاء لتسهيل المراجعة.

يعمل الباحثون الغربيون هذا الفهرس على ما اشتهر به المؤلفون ثم يوضع ازاء كل اسم، اسم الكتاب، الطبع... الخ. وقد تبنى هذه الطريقة العرب الذين بحثوا في الغرب وعملوا «رسائلهم» هناك. أما الآخرون، ففيهم من يعمل الفهرست على الحروف الهجائية لاسماء المصادر والمراجع وقد تكون حجتهم في ذلك أن اسماء الكتب أشهر من أسماء أصحابها، وأن الاشارة الى الكتاب أدل من الاشارة الى المؤلف. تلك حجة قد تكون مقبولة وقد يكون السير بترتيب الفهرس على أسماء المؤلفين (أو ما اشتهروا به) أفضل، لأن شهرة المؤلفين لا تقل عن شهرة مؤلفاتهم، ولأن المناسب أن نتبع مصطلحاً عالمياً.

أما الحل الموقت فهو انك اذا تبنيت الاحالة على المصادر بأسماء الكتب فيجب أن تعمل الفهرس مبوباً على الحروف الهجائية لأسماء تلك الكتب، واذا تبنيت الاحالة بأسماء المؤلفين (أو ما اشتهروا به) فيجب أن تعمل الفهرس مبوباً على الحروف الهجائية لأسماء أولئك المؤلفين (أو ما اشتهروا به من كنية أو لقب...).

وفي الفهرس تكتب ما اشتهر به المؤلف، وتضع بعد خط قصير، بين قوسين اسمه الكامل ونسبه وتاريخ وفاته. ثم بعد نقطة واحدة (أو نقطتين) تضع اسم الكتاب كاملاً منتهياً بنقطة. ثم اسم المحقق كاملاً (إن وجد) أو أسماء المحققين (ان كانوا أكثر من محقق واحد). ثم فاصلة ثم مكان الطبع، يليه اسم المطبعة (بين قوسين على الأفضل) ودار النشر، والسلسلة ورقم الكتاب من السلسلة - ان وجدت - ثم تاريخ الطبع مختوماً بنقطة. ويكتب الغربيون اسم المؤلف بحروف خاصة واسم الكتاب بحروف خاصة أخرى. وكلاهما يتميز عن الحروف المعتادة في الكلمات الأخرى، فتكون حروف اسم المؤلف مائلة (italic = italique) وحروف اسم الكتاب صغيرة (PETITES CAPITALES).

يلي ذلك المصدر الثاني: اسم المؤلف... اسم الكتاب... تاريخ الطبع على سطر جديد... وهكذا تتوالى المصادر... ولا موجب للأرقام أي كتابة ١،٢،٣،٤،... قبل كل مصدر.

اذا كان للمؤلف الواحد أكثر من كتاب رجعت اليه، وكتبت ازاء المصدر المهم الذي أكثرت الأخذ منه (من دون نص) أي انك اذا ذكرت المؤلف وذكرت بعده الجزء والصفحة فانك تعني هذا الكتاب من مؤلفاته.

وتتبع ما بين القوسين (أي: من دون نص) المعلومات الأخرى من التحقيق والطبع وما اليها.

ثم تبدأ على سطر جديد واضعاً خطاً قصيراً تحت الخط القصير الذي وضعته بعد اسم المؤلف في الكتاب السابق، وتذكر اسم الكتاب الثاني مع المعلومات اللازمة، ثم الكتاب الثالث والرابع اذا كان للمؤلف كتاب ثالث ورابع.

واذا رجعت الى كتاب واحد في أكثر من طبعة، كتبت، قبل أحسن الطبعات وهي التي تبنيت الأخذ منها - (من دون نص)، ومعنى هذا انك تشير اليها عندما تستشهد وتذكر الجزء والصفحة، والا فانك تنص على الطبعة في الذيل.

إذا كان الكتاب مجهول المؤلف، أدرجته في حرف الميم في تسلسل «مجهول المؤلف» من أسماء المؤلفين. ولكن إذا كان لديك بين مصادرك أكثر من كتاب مجهول المؤلف فان هذه الطريقة لا تجدي في الاحالة لذا حسن أن تحيل إلى الكتاب نفسه وأن تدرج اسم الكتاب في سلسلة المصادر كأنه اسم للمؤلف.

من الناس من يفصل في الفهرس بين مؤلفي المصادر (القدامى) ومؤلفي المراجع المحدثين ومنهم من يفصل بين المطبوع والمخطوط وبين الكتب والدوريات، ولا حاجة الى هذا الفصل لأنه يضيع الفائدة التي وجد من أجلها الفهرس أي تسهيل ربط الاحالة بالجزء والصفحة بمصدرها.

اذا كان المرجع مادة في دائرة معارف أو مقالة في جريدة أو مجلة، وضعت اسم كاتب المادة أو المقالة في تسلسله الطبيعي من حروف الهجاء وكتبت ازاءه المعلومات اللازمة عن الدائرة أو الجريدة أو المجلة... ومثل ذلك تفعل بالكتاب المتعدد المؤلفين.

واذا كان للمؤلف أكثر من شهرة وضعت أشهر ما عرف به في تسلسله الهجائي وإزاءه اسمه الكامل، واسم الكتاب... الخ حتى اذا بلغت التسلسل الهجائي للشهرة الثانية وضعتها في مكانها ووضعت ازاءها بعد الخط - ينظر. وأحلت على الشهرة الغالبة.

لفهرس المصادر والمراجع أهمية لا تنكر، ولا غرو ان كان النظر اليه أحد الأدلة على قيمة الكتاب المؤلف. ويبدو أن هذه الأهمية دفعت بنا في السنوات الأخيرة الى العمل - بكل وسيلة - الى اطالة هذا الفهرس كأننا نحقق لأنفسنا بذلك احدى المفاخر. وكثيراً ما نكون مخطئين في ظننا اذ يجرنا الى أن نحشر في الفهرس كل كتاب حتى ما كان تافهاً، أو ما لم نرجع اليه الا مرة واحدة عابرة أو - وهذا واقع أيضاً - ما لم نرجع اليه أصلاً ولم يكن ذا صلة بكتابنا.

الفصل التاسع

من الطبع إلى المطبعة
١ - الآلة الكاتبة

لا يشترط في البحث الصفي أن يطبع ، وان كان المناسب ان يحقق الطالب-ان أمكنه-هذا الشرط ليفيد من التجربة ولتؤدي محاولته الغرض الذي أقيمت لأجله .

أما البحوث التي تعقد لدرجة علمية عالية فيشترط فيها الطبع . ويأتي الطبع وعدد النسخ المطبوعة على أنواع حسب مصطلح الجامعة التي يعمل فيها الطالب. ومن الجامعات ما تشترط-أو كانت تشترط-أن يطبع البحث (الرسالة) كما يطبع أي كتاب في المطابع . وقد تطلب خمسين نسخة أو أكثر وقد تبلغ المائة والمائتين. ويتناسب هذا العدد مع مجموع النسخ اللازمة للمناقشة زائداً ما يقتضيه ما بين هذه الجامعة والجامعات الأخرى من قواعد المبادلة بالرسائل. ومنها ما تكتفي بعدد محدود خمس نسخ أو ست نسخ مضروبة على الآلة الكاتبة أو مسحوبة على الرونيو... وقد عدلت بعض الجامعات إلى هذا النهج بسبب ما يكلف الطبع الطلبة من مال لا يستطيعون النهوض به. علماً أن الطبع على الآلة الكاتبة قد يكلف الطالب ما لا قبل له به ، ولهذا فان الحكومة تتكلف الدفع عنه اذا كان طالب بعثة ، أو اذا كانت الجامعة في أول انشائها الدرجات العلمية فتسعى إلى تشجيع المتقدمين اليها.

وقد يكون مناسباً لطالب البحث العالي أن يشتري آلة كاتبة ويتعلم الضرب عليها لان ذلك يوفر عليه المال أولاً ، ويهيىء لبحثه الاخراج العلمي الانيق ثانياً-ولا يستغني عنها في المستقبل.

وكما تشترط الجامعات الطبع ، قد تضع شروطا خاصة بطول الورق المستعمل وعرضه ، وعدد الأسطر في كل صفحة ، والتجليد والغلاف الخارجي والداخلي وما يكتب عليها والحرف المستعمل في هذه الكتابة : عنوان البحث. رسالة قدمها فلان لنيل الدرجة العلمية الفلانية. اسم الكلية والجامعة ، مكانها. التاريخ. وربما اشترطت ذكر اسم الاستاذ المشرف... ومناسب ان تشترط .

لا بد لك من الدقة في الطبع ومن قراءة الصفحة المطبوعة أكثر من مرة ليمكن تصحيح الخطأ على أكمل وجه. ويستحسن هنا أن يشرك الطالب شخصاً آخر في القراءة والتصحيح لأنه مهما يكن عارفاً بالرسالة واعياً لأجزائها، تفته أشياء، والمؤلف لا يقرأ كتابه بعينه قدر ما يقرأه بذهنه، ولا يتبع شكل الحروف قدر ما يتبع الفكرة.

وليعلم الطالب انه يُحاسب على كل خطأ، حتى الخطأ المطبعي أو ما يظن امكان ارجاعه إلى الخطأ المطبعي.

والنسخة المطبوعة أول ما يواجه به الطالب مناقشيه، وهي النافذة التي يطل منها المناقشون عليه فدقتها تعني لديهم دقته وصحتها صحته.

(٢) الفهارس

شرط في الدراسة العلمية أن يلحق بها عدد من الفهارس المناسبة لمادة البحث لتدل على المقدرة التنظيمية لدى الباحث والصبر على ايفاء كل جزء من أجزاء المنهج ولتسهل على المراجع الوصول إلى مراده عن أقصر طريق وأيسر وقت. ولا شك في أنك الآن تدرك قيمة هذه الفهارس لأنك أفدت منها واستعنت بها واغنتك عن أن تبذل الجهد في قراءة المصدر كله.

ان هذا الذي يبدو ثانوياً لدى بعض الناس لهو ذو قيمة كبيرة عرفها الغرب وأحلها مكانة لائقة من المنهج.

ولا يوجد بحث علمي من غير فهارس.

والفهارس أنواع، ولا يشترط أن تتوافر الأنواع كلها في أي بحث، وانما يشترط ان يتوافر منها في البحث ما هو فيه ومن طبيعته، وقد يكون في بحث من الفهارس ما لا يكون في الآخر، وقد يكون في الآخر ما لا يكون في غيره، وقد يكون في بحث فهرس واحد أو فهرسان ويكون في بحث ثلاثة أو أربعة أو أكثر.

ويمكن أن نعدد من أنواع هذه الفهارس ما يأتي:

١ - فهرس الأعلام (للاشخاص)

٢ - فهرس القبائل

٣ - فهرس الملل والنحل (المذاهب والطوائف...)

٤ - فهرس الأماكن (البلدان، الجبال، الأنهار...)

٥ - فهرس الآيات

٦ - فهرس الأحادبث

٧ - فهرس الأمثال

٨ - فهرس القوافي (الأبيات... الأشطر... البحور)

٩ - فهرس الكتب الواردة

١٠ - فهرس المصطلحات الفنية (أو الألفاظ الحضارية)

١١ - فهرس المفردات اللغوية

١٢ - فهرس الأحداث... والسنين.

١٣ - فهرس الصور (والخوارط)

١٤ - فهرس المصادر والمراجع

١٥ - فهرس المحتويات أو الموضوعات: وهذا وحده المعروف سابقاً عندما يقال: الفهرس أو الفهرست، ولكننا احتجنا إلى هذه الكلمة (المحتويات) أو (الموضوعات) بعد أن تعددت فهارس الكتاب وقد ترجمناها عن table of contents (= table des matières)[1] ومن الباحثين من يضع هذا الفهرس في أول الكتاب (بعد المقدمة)، ومنهم من يجعله تفصيليا analytical (= analytique). يضمنه فقر كل فصل والنقاط الأساسية التي يعالجها، ومنهم يضمن كتابه فهرسين: موجزا وتفصيليا.

تأخذ لبحثك ما يمكن ان يكون فيه من هذه الأنواع، وقد تبعثك طبيعته الخاصة على نوع غير موجود بينها: وقد تبعثك على أن تجمع أكثر من نوع في فهرس واحد اذا كانت المادة المتيسرة لكل نوع قليلة، فتجمع في هذه الحالة - مثلاً - مع الأعلام القبائل (وحتى الملل... والأماكن أحياناً).

تعمل هذه الفهارس بعد أن تنتهي من طبع آخر صفحة في كتابك، وسبب تأخيرها انك ملزم بأن تضع ازاء كل كلمة منها رقم الصفحة أو الصفحات التي وردت فيها، ولا تثبت أرقام الصفحات الا بعد الطبع.

---

(١) اذا اختصر الانكليز - وكثيراً ما يختصرون - قالوا: (contents) واذا اختصر الفرنسيون قالوا: (table)، ولا يكون اختصارهم هذا في كتب البحث العلمي عادة.

ولا بد من أن تلاحظ وأنت في مرحلة الفهرسة ما يأتي:

١ - توالي مواد الفهرس (عدا فهرس المحتويات - طبعاً) على تسلسل الحروف الهجائية[1]. واذا اشتركت أكثر من مادة في الحرف الأول، أخذنا الحرف الثاني، أو الثالث... الخ أساساً للتقديم.

٢ - يستحسن ان تقسم الصفحات التي تحتوي على المواد ذات الكلمة الواحدة (مثل الأعلام...) إلى عمودين اقتصاداً بالورق وتحسينا للمنظر وتسهيلاً للمراجعة.

٣ - من المؤلفين من لا يدخل في الفهارس الا مواد المتن، مهملاً بذلك ما يرد في الذيل من أعلام ومواد أخرى؛ وحجته في ذلك ان المتن هو المهم، لا شغل لمراجع بالحواشي (في الذيل).

ومنهم من يعامل مواد الحواشي معاملة مواد المتن لانه يرى أن مادة الحواشي متصلة بمادة المتن، وان المراجع تهمه الحواشي كما يهمه المتن.

والمنهج الثاني أولى واجدى، وتتم الفائدة منه بأن يميز المؤلف بين مادة المتن ومادة الحواشي وذلك بأن يضع الحرف هـ. قبل رقم مادة الحواشي، وتعني هـ: الهامش. ويفضل - إلى ذلك - أن يؤخر ارقام مادة الحواشي فلا يسجلها الا بعد ان تنتهي أرقام المتن من تلك المادة. ومنهم من يكتب الأرقام التي تدل على مواد الحواشي بحجم صغير تمييزاً لها من مادة المتن.

٤ - يذكر بعضهم إلى جوار رقم الصفحة، رقم السطر من الصفحة. وهذا نافع مع ما يدل عليه من مبالغة في الفهرسة.

٥ - اذا كان الكتاب - خارج العمل للدرجة العلمية عادة - مؤلفاً من عدة أجزاء فقد يعمل المؤلفون (أو المحققون والناشرون) فهارس خاصة بكل جزء وفي هذا بعض النفع لا سيا اذا كانت الأجزاء كثيرة ويستغرق اصدار الجزء الواحد مدة طويلة.

ويرى آخرون - وهم على صواب - ان في فهرسة كل جزء ضياعا للوقت والورق والمال، وانك ستضطر إلى أن تكرر أكثر المواد في كل جزء. ويكتفي هؤلاء بعمل فهارس عامة لكل الأجزاء يثبتونها في الصفحات الأخيرة من الجزء الأخير. وهم يميزون

---

(١) أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و ي - وقد ترد الحروف الثلاثة الاخيرة مرتبة هكذا: هـ ي و - ومن الباحثين من يسمي الترتيب الهجائي الترتيب الأبجدي - هذا غير صحيح، لأن الترتيب الابجدي يأتي من: أبجد، هوز، حطي كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضظغ؛ ونكتب هكذا: أ ب جـ د هـ و ز...

الرقم الوارد في جزء عنه في الجزء الآخر كأن يبدأوا أرقام كل جزء في سطر خاص (بعد ان يكتبوا رقم الجزء بالطبع) أو أن يكتبوا رقم الجزء برقم أكبر من المعتاد تليه أرقام الصفحات **١ : ٥٠، ٥٣؛ ٣ : ٤١، ٩٢، ٩٥؛ ٦ : ١٥.**

٦ - يختص البحث عادة بموضوع واحد، وهذا يعني ان اسم الموضوع (علماً كان أو مصطلحاً ...) يتكرر كثيراً، واذاً فلا داعي لوضع ذلك العلم أو تلك المادة في الفهرس وشحن صفحات كاملة بالأرقام.

على المراجع الذي يهمه هذا الموضوع أن يقرأ البحث كله لأن بغيته منبثة على الصفحات كلها.

ويمكنك كذلك ان تستثني المواد التي يكثر ترددها من درجها في الفهرس. على أن تشير إلى ذلك، وكذلك تفعل في الاخبار عن أية مادة لا تثبتها.

٧ - تستعمل في الفهرسة رموزا للجزء والصفحة وما إلى ذلك.

٨ - الفهرسة عمل منهجي مهم وهي أحد أدلة العمل العلمي؛ والاخلاص لبلوغ الكمال فيه خدمة للبحث وللقراء. وقد عرف الغرب قدرها فأحلها المكان اللائق من العناية، فبذل الجهد وضحى بالورق والمال لاجلها. ومن شروط العناية: الدقة في العمل. وتعني الدقة انك لا تستهين بالامر فتحذف حينا وتختصر حينا. إنك بعملك هذا تجني على البحث والحقيقة والمراجعين. وان اهمال الفهرسة في هذه الحالة خير من مظهرها المزيف المضلل.

وقد كان الناشرون العرب يستهينون بالفهرسة ويعدونها خسارة بالورق فصدرت كتب مهمة خالية منها ثم أحسوا أخيراً بفائدتها ورأوا انها تمنح الكتاب طابعاً من العلم والجهد يهيئ ربحاً أكثر اذ يجتذب عدداً أكبر من القراء. ولكن هؤلاء الناشرين بين اثنين: أمين يخلص في عمله يشبه في ذلك الغربيين؛ وتاجر يبغي الكسب بأي وجه يعمل فهرساً ناقصاً يحقق له المظهر فقط ولا يهمه ما يجني عمله على الحقيقة والبحث.

علينا ان ندرك أهمية الفهرسة ونكون دقيقين مخلصين، ومن سمات الدقة والاخلاص ان تقوم أنت نفسك بعمل الفهرس لأنك ان اعتمدت غيرك اختلط عليه الأمر فأضاع كثيراً من المادة - بحسن نية - لأنه غريب عن عناصر البحث ودقائقه - ليس عمل الفهرس سخرة.

٣ - فهرس أعلام الأشخاص

هي مادة مهمة في الفهرسة، وكثيراً ما يذهب الظن اليها وحدها عندما يقال:

ويقال فيها كل ما قيل عن الفهارس، ولكنها تستدعي خصوصاً بعد ذلك العموم، لتشعب حالها وتعدد صورها وكثرة التجارب فيها. ومن هذا الخصوص ما يأتي :

١ - اذا ورد علم واحد في أكثر من صورة : اسم، لقب، كنية، فلك معه سبيلان :

الأول : ان تثبت كل صورة في مكانها من التسلسل الهجائي وتضع ازاءها أرقام الصفحات التي وردت عليها مع الاحالة -عند انتهاء الأرقام- على الصور الأخرى. اذا كان العلم أبو الطيب أحمد المتنبي ورد ذكره في البحث حينا أبو الطيب وحينا أحمد وحينا المتنبي وضعت كلمة «أبو الطيب» في تسلسلها الهجائي ووضعت ازاءها الأرقام التي وردت فيها ثم قلت : ينظر أحمد، المتنبي، وكذلك تفعل عند ذكر أحمد، والمتنبي :

أبو الطيب-١٠، ٢١، ٩٥، ١٠٧. ينظر أحمد، المتنبي.

أحمد-٨، ٢١. ينظر أبو الطيب، المتنبي.

المتنبي-١٠، ٩٣، ١١٥، ١٢٠. ينظر أبو الطيب، أحمد.

ومثل ذلك قل في الأعلام الأخرى مثل أبي عبادة الوليد البحتري، وأبي تمام حبيب بن أوس الطائي... الخ.

الثاني : ان تجمع الصور الثلاث مع أرقامها تحت أشهر الصور ثم تحيل على هذه الصورة عندما يرد مكان الصور الأخرى من التسلسل الهجائي فتقول :

أحمد = المتنبي

أبو الطيب = المتنبي.

المتنبي-١٠، ٩٣، ١١٥، ١٢٠؛ ابو الطيب-١٠، ٢١، ٩٥، ١٠٧؛ أحمد-٨، ٢١.

وقد تجد من يجمع كل هذه الأرقام ازاء المتنبي حسب ورودها على الصفحات، فيقول :

المتنبي-٨، ١٠، ١٠، ٢١، ٢١، ٩٣، ٩٥، ١١٥، ١٢٠.

وقد يكتب ازاء المتنبي بين قوسين (أبو الطيب أحمد...).

واذا جاءت صورة «أبي الطيب» أو «أحمد» من تسلسلها الهجائي أحال إلى «المتنبي».

٢ - اذا ورد اسم في كتاب على صورته الأقل شهرة فيحسن بالمؤلف (أو المحقق) اذ يثبت أرقام الصفحات التي ورد عليها ذلك العالم ازاء اسمه من التسلسل الهجائي. ان يثبت الصورة الأشهر في مكانها من التسلسل الهجائي مع الاحالة على الصورة الأخرى.

فلو ورد ابراهيم بن هلال قلت ابراهيم بن هلال-٢٥، ٣٠، ٣٢، ٣١.

حتى اذا بلغت حرف الصاد قلت:

الصابي = ابراهيم بن هلال.

ومثل ذلك لو كان علي بن محمد، قلت:

علي بن محمد-١١، ١٧، ١٢٥.

الحريري = علي بن محمد.

٣ - ابن وأبو وابنة وبنت تحسب اذا جاءت في أول الصورة مثل: ابن الجوزي، ابن خلدون؛ ابنة الخس؛ أبو بكر، أبو تمام، أبو حيان... وتوضع في تسلسلها الطبيعي من حروف الهجاء ويتم التوالي فيها على حروف الكلمة التي تلي «ابن» أو «ابنة» أو «أبو». ومن المفهرسين من لا يحسبها.

٤ - تسقط ابن أو ابنة أو أبو اذا جاءت بين علمين ويتم التوالي على حروف العلم الذي يأتي بعدها.

٥ - تسقط «ال» من الحساب على أي حال.

٦ - اذا اتحد اسمان أو أكثر في الصورة ينظر إلى حروف أسماء الآباء....

٧ - يختلف في بعض الأعلام لفظها عن رسمها مثل: طه، طاها؛ عبد الرحمن، عبد الرحمان؛ هرون؛ هارون؛ اسحق، اسحاق. ويفضل في هذه الحالة اتباع الرسم في التسلسل الهجائي. فاذا كان العلم مما يلازم حالة واحدة مثل «طه» لزم اتباع الرسم دون نقاش، أما في الأعلام التي يمكن أن ترد على أكثر من صورة فيلزم اتباع الصورة التي يلتزمها الكتاب فتوضع أرقام الصفحات ازاءها. ويفضل ان تذكر الصورة الأخرى في مكانها من التسلسل الهجائي ويحال ازاءها إلى الصورة المتبناة (أو الأشهر).

وإذا كانت لديك اسماء مثل موهوب ومؤيد فيبدو أن الأنسب ترتيبها كما لو لم تكن همزة فتجعل موهوب قبل مؤيد لان الهاء قبل الياء؛ فهكذا فعل ياقوت في معجم الأدباء–الجزء التاسع عشر. نقول هذا لأن من المفهرسين من يجعل الهمزة حرفاً فيقدم مؤيد على موهوب.

٨ – «عبد الله» يعد حالة خاصة، والمألوف فيه الا تحسب الألف واللام عند التسلسل الهجائي ويحاسب على أساس ع، ب، د، ل، وعلى هذا يأتي بعد عبد الرحيم وعبد الكريم وقبل عبد المطلب وعبد الملك.

وقد تجد من يعد الألف واللام أصلية–وفي هذه الحالة يجب اثبات عبد الله (باسقاط الألف واللام) في تسلسلها الهجائي والاحالة ازاءها على عبد الله التي عدت فيها الألف واللام أصلية.

٩ – إذا استأثر العلم بفصل من الكتاب أو كثر التحدث عنه في صفحات متوالية فان النص على هذه الصفحات من الفهرس يتم بأن نحصرها بين رقمين هما الرقم الأول الذي يبدأ به الفصل أو الصفحات المتوالية والرقم الذي ينتهي به الفصل، كأن تقول: المتنبي–٧٠–**٩٥**. ومن الباحثين من يقدم هذين الرقمين على الارقام المتناثرة، ومنهم من يضعها في تسلسلها الطبيعي–وهو الأحسن.

والمناسب ان يكتب الرقمان–على أي حال–بشكل بارز مميز عن الأرقام الأخرى لتذهب العين اليه سريعاً[1].

٤ – المناقشة

تنتهي من الطبع وتكمل الفهارس اللازمة في دقة واخلاص وتعمل كل ما تشترطه الجامعة من الأمور الشكلية بما في ذلك التجليد. واذا كنت محباً للكمال ولا تريد ان تقابل الآخرين الا وأنت على خير ما يكون، قرأت رسالتك مرة أخيرة لتستدرك ما يمكن

---

(١) ملاحظة خاصة بفهرس القوافي: قال الاستاذ عبد السلام هارون في كتابه «تحقيق النصوص ونشرها» عن فهرس الشعر، ص ٩١.

«أقل صورة لترتيبه ان يرتب على القوافي من الهمزة الى الياء ثم الألف اللينة في آخرها، ثم ترتب كل قافية على أربعة أقسام: الساكنة، ثم المفتوحة، ثم المضمومة، ثم المكسورة، ويضاف آخر كل قسم من هذه الاقسام ما يمكن ان يختم بالهاء الساكنة ثم المضمومة ثم المفتوحة ثم المكسورة.

أما أنا... فأجعل ترتيب كل مجموعة من القوافي على النسق التالي: فَعْلُ، مُفَعَّلُ، فُعُلَ، فاعل، فعال وأفعال، فعول وفعيل، مثل: أهلُ، المعوّل، سُبُل، عواذلُ، الخيال، وأمثال: تقول وسليل».

أن يكون قد فاتك أو خفي عليك[1]. واذا كان استاذك دقيقاً شديداً طلب ان يطلع على الرسالة ليمتحن سلامة المنهج (وسلامة المادة) وهي في آخر صورها حتى اذا ارتضاها-والمعقول أن يرتضيها-اذن لك في تقديمها إلى الجامعة (إلى الدائرة المختصة والموظف المختص ليهيئ الخطوات الأخرى. (le jury =) examiner board)

وتعين الجامعة لجنة بأسماء الاساتذة المناقشين ممن يشترط فيهم التخصص والقرب من مادة الرسالة وربما استدعى ذلك أن تدعو أستاذاً من جامعة أخرى أو من بلد آخر أحياناً[2] كما تعين موعد المناقشة وتتولى الاعلان عنها في الوقت المناسب في لوحة الاعلانات وفي بعض الجرائد اليومية. لأن المناقشة في كثير من الجامعات علنية عامة.

والمألوف ان يكون عدد المناقشين في رسالة الماجستير او دكتوراه الجامعة ثلاثة بينهم الاستاذ المشرف، وعددهم في رسالة الدكتوراه خمسة بينهم الاستاذ المشرف. وقد توصل الجامعة نفسها الرسالة إلى المناقشين وقد تطلب إلى الطالب نفسه ايصالها اليهم تسهيلاً وكسبا للوقت.

اذا أزف موعـــــد المنـــــاقشـــــة (la soutenance =)thesis examination) وانتظمت الجلسة أذن للطالب بأن يلقي كلمته مبيناً سير عمله من البداية حتى النهاية مؤكداً ما حققه فيه وما وصل اليه من نتائج ايجابية وما يمكن ان يكون جديداً في بابه-ويشترط في هذه الكلمة الايجاز والوضوح والرصانة مع حسن الأداء. وقد يكون في إلقائه (من دون قراءة في ورقة) ما يدل على تمكن الباحث، وعلى أنه يملك مقدرة جديدة غير تلك المقدرات التي ظهرت في رسالته. ثم ان تأثيره في السامعين سيكون أقوى. والمعقول في هذه الكلمة ان تكون معدة لهذه الغاية وليس من المناسب ان يكرر على اسماع اللجنة المناقشة ما قاله في «مقدمة» رسالته و «خاتمتها» حرفاً حرفاً.

ثم تبدأ المناقشة-والمعقول، بل الواجب، أن تجري بلغة فصيحة معربة وكل مناقش يبدي-في دوره-ملاحظاته. وقد يشتد مع الطالب ويسفه آراءه ويسخر من فهمه، وقد يثني عليه ويقدر جهده، وقد يبين المحاسن والمساوئ، وكثيراً ما تتحكم بالاساتذة المناقشين أمزجتهم الخاصة بين الحدة واللين. وأسوأ ما يحدث أحياناً أن يخرج أستاذ عن طوره وان يعرب عن تعصب خاص خارج دائرة العلم كأن يدافع بغير حق

---

(١) وقديماً اشترطوا في آداب العالم ان «لا يخرج تصنيفه من يده قبل تهذيبه وتكرير النظر فيه وتركيبه»-تذكرة... ابن جماعة ص ٣٠.

(٢) ويمنح النظام الانكليزي الممتحن الخارجي (external examiner) حق تقدير الدرجة.

لسبب شخصي أو ان يهاجم بغير حق لسبب شخصي أيضاً.

واللائق باللجنة ان تكون مثالاً للروح العلمي وأنموذجاً للباحثين عن الحقيقة.

وقد تطول المناقشة ساعات، وقد تعطى خلال هذه الساعات فترة استراحة.

ومهما يكن الطالب لامعا والمشرف متشدداً فان المناقش الجاد المنطقي يستطيع أن يستدرك أشياء وينبه على أشياء مما يخدم الرسالة في مستقبلها ويمنح المناقشة سبباً علمياً في وجودها؛ وليس في الملاحظة أي ضير على الطالب أو الأستاذ المشرف. ولا يقع العيب على الطالب أو المشرف إلا في الحالات التي تظهر فيها نواقص صارخة في المادة أو في المنهج لا يفترض ان تقع.

ان المناقشة مجلس علمي فكري منقطع النظير(١).

وليست مبارزة من أجل العزة والكرامة، وانها-إن شئت-طريقة أخرى في بحث الحقيقة-أو امتحانها-ولا غرو أن كان للعرب ما يسمى بأدب المناظرة(٢). ومن أدب الطالب ان يعرف مكانه فلا يرد على كل قول من أجل الرد، ولا يسكت في كل مسألة إيثاراً للسلامة، ومن ادبه ان يحافظ على رصانته في مجلسه، يصغي جيداً ويجيب في وضوح ودقة اذا اقتضى الحال الجواب أو الدفاع والا فخير له ان يقبل الاعتراض الوجيه وان يعترف بالخطأ، لان العناد يفقده حقه ويضيع عليه جهده اذ ينعكس موقفه على عمله السابق، ويحرمه عطف الحاضرين، واذا كان في المناقشة استاذ جاد في الحق ومتشدد في الأدب فانه قد يقابل العناد في الباطل بالعناد في الحق ويتأزم الموقف.

ولا شك في ان الطالب الذي يواظب على حضور مجالس المناقشة يكسب خبرة تنفعه لدى مناقشته في السلوك وتزوده الفة للموقف، وتزوده قبل ذلك ما يخدمه وهو يعد الرسالة منهجا ومادة(٣).

واذ تنتهي المناقشة تجتمع اللجنة لتقدير الدرجة(٤). (مقبول، جيد، جيد جداً،

---

(١) حرصت دور الاذاعة-لدينا-على نقلها كاملة-أو مختصرة-لايصال فوائدها الى من لا يتيسر لهم الحضور.

(٢) تنظر مثلاً رسالة آداب البحث لطاش كبري زاده-نفائس المخطوطات ٤، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، بغداد ١٩٥٥.

(٣) من أساتذة مادة «منهج البحث» من يعمل على احضار صفه كاملاً عدداً من المناقشات ليرى طلبته الحال عن كثب، وحسناً يفعل.

(٤) عملت جامعة بغداد في السنوات الاخيرة على ألا يدخل الاستاذ المشرف في المناقشة، أو تقدير الدرجة وحتى حضور جلسة التقدير-ولعلها متفردة في هذه الحال.

ممتاز...) وقد يطول اجتماعها اذا كانت وجهات النظر مختلفة (أو كان بين الأعضاء ترات واغراض خاصة). وكم يحسن بالاساتذة ان يكونوا فوق الصغائر، فلا يظلمون طالبا لسبب شخصي، ولا يرفعونه لغير حق.

ومن الجامعات ما تعلن النتيجة بعد هذا الاجتماع مباشرة كما في فرنسا، ومنها ما تؤجله أياماً[1].

والمألوف في النظام الفرنسي ان الطالب يكون بحكم الحاصل على الدرجة العلمية التي تقدم اليها منذ ان يأذن له استاذه المشرف بالطبع ومنذ ان «يطرح» النسخ المطبوعة في الجامعة، ولم يبق له الا تعيين الدرجة، ويتم ذلك على يد اللجنة. ولكنه لا يحمل اللقب من دون هذه المناقشة. ومن النادر جداً جداً ان «يرسب» طالب في المناقشة، وفي راس عوامل «الرسوب» هذه اكتشاف سرقة او فساد ذمة خفيت حينا.

من الجامعات ما تستغني عن المناقشة بارسالها نسخ الرسالة إلى الاساتذة فيدرسونها ويبعثون بخلاصة رأيهم إلى الجامعة، فاذا اجتمعت هذه الخلاصات لدى الجامعة بلغت الطالب النتيجة—وقد عرفت بهذا بعض الجامعات الانكليزية.

هذا هو الشأن الغالب في مناقشة الرسائل.

ويجب أن يلقى البحث الصفي حظه من الدراسة والنقاش: فبعد أن تنتهي منه تقدمه إلى الاستاذ فيدرسه معلقاً على الهامش ما يراه مناسباً في الايجاب والسلب، ولا تتم الفائدة من البحث إلا باعادة البحث إلى الطالب وتوضيح هذه الملاحظات والمناقشة فيها. وبقدر ما يفترض في ان يكون الأستاذ قاصداً إلى التوجيه والارشاد والنفع بالتجارب، بعيداً عن اتخاذ ملاحظاته وسيلة للانتقام أو التبجح، غير مبالغ في القسوة؛ يفترض في الطالب ان يكون مؤدباً واعياً ساعياً في التعلم، لا يفكر بالدرجة تفكيره بالاستفادة في تحسين بحثه وفي اتخاذ الملاحظات أساساً يعتمده في بحوثه المقبلة.

وقد «يحتد» أستاذ صادقاً أو ممثلاً لغرض في نفسه، وقد يؤاخذ الطالب بأشياء كان قد اقترحها هو على الطالب، أو بأشياء استشاره فيها الطالب من قبل، أو بأشياء أخرى لم يكن قد تطرق اليها بوجه من الوجوه. وهذا ما يمكن أن يحدث وهو لا يخالف طبيعة الأشياء كثيراً—والأساتذة بشر، فيهم الهادئ الرصين الرؤوف—وهو المنتظر، وقد يكون فيهم من لم يكن كذلك. ومن خير الطالب، في كل حال، أن يحتفظ باتزانه ويلتزم

---

(١) عملت جامعة بغداد في السنوات الأخيرة على ان تمنح الدرجة—في بعض الحالات—مؤجلة على شرط أخذ الطالب بوجهات نظر المناقشين.

حسن التصرف ويصل إلى هدفه بلباقة. ولا يضيره ذلك ولا يجور على حقه، وانما يزيده مكانة لدى السامعين ولدى الاستاذ نفسه.

قد تكون مناقشة البحث الصفي خاصة بين الأستاذ وطالبه، وقد تكون عامة أمام طلبة الصف. والحالة الثانية أحسن وأنفع، لأنها تعوّد الطالب النقاش والدفاع العلمي، وتعوّد الطلبة الآخرين كذلك، وتخدمهم بمادتها وآرائها ومنهجها.

اذا انتهيت من مناقشة البحث الصفي عدت اليه تصلح من شأنه في ضوء هذه المناقشة مدخراً ما أعقب من فوائد للتقدم في بحوث تالية.

أما اذا انتهت مناقشة الماجستير أو الدكتوراه - وما اليهما - فانك تعيد النظر في الأماكن التي نبهك المناقشون على ضعفها وتذكر خلاصة ذلك في فقرة أو فقرات تلحقها بمقدمة الرسالة، ولا بد من حفظ الحق لأصحابه. وتبدأ تفكر بطبع الرسالة. ولا بد من الطبع - اذا ثبتت قيمتها - للاستفادة من الجهد الذي بذلته وتجنباً من أن يعيد الجهد نفسه باحثون آخرون.

من الناس من يرى -- أو يشترط - نشر الرسالة كما هي أي كما قدمت إلى المناقشة بأبوابها وفصولها ومادتها وأفكارها. ومنهم من يرى - أو يشترط - اجراء التعديل اللازم بمقتضى المناقشة وما انجلت عنه من تنبيه وتصحيح واقتراح. ومنهم من يسمح لنفسه بأكثر من هذا، فيزيد وينقص حسب ما يراه مناسباً للنشر، فربما جد له جديد، وربما كان قد اضطر - في أثناء التأليف - إلى حذف فصل، وتقديم فصل أو حذف رأي وزيادة رأي لسبب من الأسباب التي تمليها طبيعة المرحلة في الاشراف والمناقشة... أو ضيق الوقت، وقد زالت الأسباب وهو يريد أن يواجه الناس كما يريد نفسه هو لا كما يريد الآخرون. وهذا ممكن، ولعله الأصوب اذا اقترن بالاشارة إلى الزيادة والنقصان في المقدمة ولدى الهوامش المناسبة.

ولك أن تسعى إلى الطبع بالوسائل التي تملكها حتى لو استدعى ذلك تضحية بالمال. أما اذا تهيأت لك جهات رسمية أو غير رسمية تساعدك مالياً على الطبع فيصبح العذر في التأخير غير مقبول[1].

---

(١) تساعد جامعة بغداد على طبع الرسائل التي تحصل على تقدير جيد جداً أو امتياز، وتحيل الحاصلة على «جيد» الى خبير تعتمد رأيه - وتنشر وزارة الاعلام العراقية - على نفقتها - الرسائل ذات النفع العام والدلالة الحضارية والقيمة المستديمة (المعاصرة).

اذا تهيأت لك دار تتولى الطبع والنشر لقاء شروط ترتضيها في ذلك الخير وما يوفر جهداً ، والا أخذت المسألة على عاتقك.

تتخير المطبعة المعروفة بدقتها وأمانتها وضبطها للمواعيد والشروط ، وتتفق معها على الأجور على أساس الملزمة - والملزمة ست عشرة صفحة - ومدة الطبع وعدد الملازم في الأسبوع وعدد «التصحيحات» - وتقدم للمطبعة نسخة من كتابك على ما تحب ان يخرج عليه في الناس من النظام والأناقة.

تبدأ المطبعة ، وتقدم لك الملزمة أو الملازم المتفق على عددها لتصححها التصحيح الأول مثبتا ذلك على الحواشي بما هو مصطلح عليه في هذا الباب كأن تضع الكلمة الخطأ داخل دائرة وتخرج منها سهما إلى الحاشية تكتب عند رأسه الكلمة الصحيحة. واذا أردت حذف كلمة أو سطر وضعت ذلك داخل «دائرة» وأخرجت منها سهما ثم وضعت نقاطا عند نهاية السهم... واذا كان الطبع بالحروف أخرجت السهم من الحرف الخطأ أو الزائد...

اذا انتهيت من التصحيح الأول حسن - ووجب - أن تستعين بمصحح ثان تجنبا لما من شأنه أن يفوت أمثالك من المؤلفين. لأنك تقرأ - كما رأينا - الفكرة أكثر مما تقرأ الحرف. أما القارئ الثاني فينظر إلى الحروف أولاً. ولا بأس في أن يكون هذا القارئ الثاني بعيداً عن الثقافة بالمادة الخاصة لكي يجمع جهوده للمقابلة وبيان الخطأ - المهم أن يتناول تصحيح الملزمة الواحدة أكثر من مصحح.

وتعيد الملزمة أو الملازم المصححة إلى المطبعة فتجري المطبعة اللازم لتصحيح ثان أو ثالث.

والمشهور من أنواع الطبع :

١ - الطبع بالحروف. ومن محاسنه امكان الشكل التام وامكان اختيار الحرف الاجمل ، وامكان الدقة في التصحيح لأن عامل المطبعة فيه يصحح الحرف الخطأ فقط دون تعرض للحروف والكلمات الأخرى.

٢ - الطبع على اللاينوتايب (الأنترتايب). وهذا يوفر السرعة والنظام المتصل (لأن من عيوب الطبع بالحروف ان الحروف تتآكل وتتثلم مع الزمن). ولكن الطبع فيه يتم على أساس السطر ، ومعنى هذا أنك حين تجد خطأ في حرف واحد ، أو في كلمة واحدة فان عامل المطبعة سيرفع السطر كله ويطبع سطراً جديداً وهو في هذا اذ يصحح لك الخطأ المشار اليه قد يقع في خطأ جديد في حرف أو كلمة من حروف السطر

وكلماته. ومعنى هذا أن يبقى كتابك عرضة لخطأ جديد حتى بعد التصحيح الثالث.

٣ - المونوتايب وهو يجمع بين محاسن الحرف واللاينو ويتجنب مزالقها لان لتصحيح يجري فيه على الحرف، وان حروفه تحتفظ بجدتها.

٤ - الاوفست (التصوير) - وهو يصور الورقة المطبوعة على فلم تنقل منه الى لوح (من الالمنيوم) ويجري الطبع على الالواح - وهو يحقق للطبع النظافة والاحتفاظ بالفلم ليعاد الطبع عليه كلما دعت الحاجة إلى ألوف جديدة من النسخ.

٥ - المونوفوتو (اوفست) يطبع الكلام فيه على شريط عرض إنج، بشكل نقاط، يكبر إلى الحجم المطلوب ويطبع على لوح ويجري الطبع على الالواح - وهو أحدث الانواع وأشدها سرعة ونظافة وامكان تكثير نسخ مع الاحتفاظ بالفلم لاعادة الطبع.

وتجمع الملازم بعضها إلى بعض ويطبع الغلاف، ويجلد البحث ويصبح كتاباً، وعليك أن تجد له موزعاً تدفع له النسبة المألوفة للتوزيع. ويحسن أن تعلن عنه في جريدة، ويحسن أن تهدي منه نسخا إلى الصحف والمجلات وإلى الذين يهمهم الموضوع من الناقدين والدارسين لترى وجهات نظرهم، ومناقشتهم ان وجدت دافعاً - ولا بد من ضبط الأعصاب ازاء ما تقرأ عن كتابك أحياناً من سخف أو جهل أو غرض شخصي لأن الباحث الحق أعلى من أن ينحط إلى معاملة الجهل بالجهل ومقابلة الشتم بالشتم. ان عُدته الحقيقة، والحقيقة لا تضيع، وان ضاعت فالى حين.

وتجمع ما يجد لك بعد الطبع من مادة أو رأي لتفيد منه في الطبعة الثانية، ويحسن أن تنوه بذلك في مقدمة جديدة خاصة وعلى غلاف الطبعة الجديدة كأن تكتب: الطبعة الثانية - مزيدة منقحة. ويصعب أن يمر زمن على بحث دون أن يستدعي اعادة النظر. ومن الناس من يكرر الطبعات دون أي تغيير وليس الأمر - وان أصبح مطرداً - طبيعياً. أما من يعتذر عن التنقيح والتعديل بضيق الوقت فانه يخرج عن عالم الأنموذجي.

ان البحث جزء لا يتجزأ من حياة صاحبه، تبقى صلته به ما بقي والا فما هو بالباحث الباحث.

الخاتمة

تلك نقاط أساسية في منهج البحث، وهي ليست كل شيء؛ فقد تقل، أي أنك لا تكون ملزما بها كلها في كل بحث، وانما تأخذ منها الضروري الذي يتطلبه موقفك، وتترك الباقي لغيرك أو لحالات أخرى؛ وقد تكثر، لأن هناك أموراً تنبثق عن طبيعة كل بحث، وأموراً تدخل في الجزئيات. وما على الطالب الا أن يكون من سعة الأفق والمقدرة على التصرف بحيث يتخذ الموقف المناسب لكل قضية. ولا بأس في أن يسأل أو يستشير غيره اذا استعصت عليه حالة من هذه الحالات.

المنهج مهم جداً، ولكنه لا يكوِّن الباحث. انه يوجه ويوطد الامكانات. وقد يلتزم المنهج طالب لا قابلية له على البحث، فما يجديه ذلك كثيراً، لأن المسألة ليست مسألة المنهج وحده، أي القشر والمظهر والضجيج، كأن المسألة منفصلة، فهناك بحث وهناك منهج-وهذا غير صحيح، لأن المطلوب هو الجمع-بل الوحدة-بين الاثنين، ولا يتهيأ ذلك لكل طالب.

منهج البحث في خلاصته تنمية للروح العلمي في الطالب وتعويده الاتزان والحذر مما يسهل عليه مهمته عاجلاً وآجلاً، ويجنبه ضياع الأتعاب هدراً هنا وهناك-انه الدليل على أقرب طريق إلى الحقيقة.

البحث مثل غيره من مظاهر النشاط العقلي والعملي في الحياة، يقتضي في صاحبه استعداداً وصبراً وذكاءً واستمتاعا بالعمل، والا، فلا يمكن لامرئ أن يدعي البحث أو أن يخوض معمعانه ما لم يكن مزوداً بالشرائط الفطرية والمكتسبة في المبدأ والمنتهى.

تتقرر مقدرة الباحث الأولى في التقصي والصبر على الجمع والمناقشة وعرض نتائج البحث عرضا بينا واضحاً يحقق في القارئ الهدف الذي سعى اليه ويبلغه النتائج التي توصل اليها هو، في جو من الموضوعية (أو العدالة) وبنفاذ من الحجة والرأي، وقوة في الشخصية والتكوين.

ويستطيع الباحث الحق أن يعرب عن نفسه في كل موضوع يتناوله ضمن دائرة اختصاصه-صغيرا أم كبيراً، ضيقا أم واسعا، سهلا أم صعبا. وقد يجد في موضوع يُرى غير ذي أهمية عناصر مهمة، وقد يخرج بالمحلية إلى مدى أوسع، تلتقي نتائجه فيه بنتائج نظرائه في الأمم الأخرى.

أما اذا اختار منذ البداية موضوعاً صعباً ذا بعد انساني في الفكر والحضارة والرابطة البشرية، وسار به كما يقتضي المنهج وكما تتجلى أصالته، ففي ذلك خير، ولعله الأولى؛ بل انه.

يطلب هذا، ويقرر في كل باحث، أما الباحث الأدبي فيطلب منه-زيادة على ذلك-أمر خاص ينبثق عن أنه يتعامل مع النصوص الانشائية والفنية من شعر وخطابة ورسائل... وقصص عليه ان يغوص وراء حروفها، ويلتقي والمبدعين في عواطفهم وأخيلتهم وأفكارهم كأن لم يفصله عنهم حاجز من الزمان والمكان. ولا يتيسر هذا لكل من تصدى للبحث، واذا تيسر فلا يؤاتي طالبيه على أقدار متساوية. ومن هنا كان الباحث الأدبي الحق نادراً جداً، لأنه يجب أن يكون ذا موهبة خاصة-ولم لا ؟-في استرداد الماضي ومعايشته وفهمه وسبر أغواره مع ذوق سليم (جداً) ونظر بعيد يرتفعان به عن «أكداس» المادة المجمعة أو يعدان به عن طريقها إلى مواجهة اسرار التكوين الفني والوقوف من العبقرية أو النبوغ موقف الواثق من نفسه ومن مهمته-وكدت أقول-موقف الند-انه باحث وناقد أدبي معاً وأن الأصالة مطلوبة فيه كما هي مطلوبة في الفنان، ومن هنا نتج ما نرى من اختلاف في الصور إذ يعرض الموضوع الواحد أكثر من باحث واحد؛ إن وراء كل صورة شخصية تختلف عن الشخصية الأخرى.

واذاً، فهناك باحثان: باحث له الصبر على الجمع تقف به قدراته عند هذا. وهو ذو فضل، ولكنه ليس الباحث الباحث. وان العقل الألكتروني (الكومبيوتر) يمكن أن يتولى كثيراً من مهاته ويعوض عنه. وباحث يجمع ويناقش وينفذ إلى الأسرار ويأتي بالجديد لأن عمله عمل فكري ونتائجه تعتمد مواهب شخصية نادرة وهو الباحث المطلوب في كل ميدان؛ ويشترط ميدان الأدب فيه الذوق السليم... والعناصر اللازمة للناقد الأدبي، مما يصعب-أو يستحيل-ان يتوافر للعقل الألكتروني.

ولا يعرف الفرق بين باحث وباحث الا في المجتمع الذي يحتل التأليف فيه مكانا مرموقاً، قديماً كان أو حديثاً. ألم نرث عن الحضارة العربية حكماً شديداً يقول: «لا ينبغي لمصنف يتصدى لتصنيف أن يعدل عن غرضين: أما أن يخترع معنى واما أن يبتدع وضعاً ومبنى. وأما سوى هذين الوجهين فهو تسويد الورق»-(رواه، فيمن

روى، السيوطي في رسالة آداب التأليف).

والعامل الزمني مهم في البحث–على أي حال، وليس من الباحثين من يسرعون في عملهم لأنهم في ذلك لا يجمعون كل ما يجب، ولا يجمعون بدقة على ما يجب. وليست المسألة–بعد ذلك وقبله–مسألة الجمع، وانما هي مسألة الملازمة أو المعايشة، وهذه تشترط «طول» الزمن ليختمر الموضوع، وينضج، ويصبح جزءاً لا يتجزأ من وجود صاحبه، معه في اقامته وسفره، ويقظته ونومه.

ومن هنا رأينا الجامعات المحترمة تضع للبحث حداً أدنى، وتجعل الحد الأدنى للبحث العميق أمداً غير قصير. ونرى من الغربيين من يمضي السنين في إعداد بحثه، وهو يفخر بطول المدة التي يمضيها في عمله وطول المدة التي يحصل بها على الدرجات العلمية العالية كالدكتوراه.

أما نحن فننظر إلى الأمور أحياناً نظراً معكوساً أي غلطاً، فنفخر بقصر المدة ونمدح بها، ويزداد الفخر والمدح كلما بالغنا في التقصير. وكان علينا أن نسأل: ترى هل استطاع صاحبنا أن ينفذ إلى الأسرار؟ وهل عاش الموضوع الزمن اللائق؟ فاذا كان الجواب سلبا، فما عسى أن تكون قيمة البحث «السقيط» بعد ذلك!

ثم إن عدداً لا بأس به منا يبحث ايام الطلب فقط، وهو يسعى إلى البكالوريوس (الليسانس) أو الماجستير أو الدكتوراه؛ مثل هذه الغاية المحدودة تجعل البحث وسيلة عابرة، واذا كانت كذلك لا يمنحها المرء نفسه كلها ولم يستثمر فوائدها وبذلك يضيع على نفسه وعلى بلاده فرصة تهيأت، وقد يضيع باحث يمكن أن يكون محترماً جداً و ربط بين الوسيلة والغاية وزاول البحث وهو استاذ أو عامل في أي من ميادين التخصص، والباحث الحق هو الذي يقدم الثمرات من الحقائق أيام الطلب وبعد أيام الطلب، يظل يصل الجهد بالجهد، يؤلف وينشر كأنه لا يرى المتعة إلا في ذاك.

ولا بد من أن يعرض البحث–استكمالاً للشروط وكما رأينا في أكثر من مناسبة–بلغة سليمة وعبارة رشيقة وديباجة مشرقة يرتاح لها القارئ ويأنس بها، متوسطا بين طرفي الجفاف والشاعرية.

ولا تفترض الشاعرية في الباحث ولا تطلب خشية أن يذهب بعيداً عن الحقيقة وخشية أن يتكلف ويفتعل ما ليس له.

على أنه ان تهيأ هذا القدر الأكثر فأهلاً به على صعيد آخر، اذ اننا نحتاج أحياناً إلى ان نتخفف من القيود الصارمة ومن الحواشي والاحالات ومن التزمت والجفاف،

وذلك عندما نريد أن نخرج بالبحث - أو بنتائجه إن شئت - عن المحيط الجامعي الضيق ونهيئ له عالماً أوسع من القراء ؛ وهذا يستدعي منا مرانة فنية ؛ وقليلون جداً أولئك الباحثون الذين يستطيعون أن يدعوا جانباً بحثهم في تفصيلاته وحواشيه وتعليقاته والاشارة إلى الأجزاء والصفحات والطبعات والاختلافات... ثم يمسكوا بقلمهم ويعرضوا من ذلك البحث المطروح كما استقر فيهم ، أقوى ما فيه ، بثوب جديد جميل ، فيخف على ألسن الآخرين وأسماعهم وأذهانهم ، وتستطيبه نفوسهم اذا تلامس جمال الأداء مع جمال الحقيقة.

وليس هذا بحثا لدى الدقة في العرف الجامعي ، ولكنه بحث مبسط. وليكن ، فان بنا حاجة إلى مثله.

هذه القابلية المنشئة التي هي ليست من سمات الباحثين - وان توافرت لدى عدد محدود نادر منهم - تتهيأ لأشخاص اخرين لا نسميهم باحثين ، وليس لديهم شيء من صبر الباحثين وطاقتهم في ملازمة عشرات الكتب وإمضاء عشرات الساعات في المكتبات ، كأنهم عوضوا عن هذا الضرب من الجهد بضرب من الشاعرية. ونحن اذ نحرم عليهم ولوج دنيا البحث أو ادّعاء البحث لا نريد أن نخسرهم أو أن يبقوا بعيدين كل البعد عن الدائرة. انهم ليسوا باحثين ، ولا ينهضون بأعباء البحث ، ولكنهم يمكن أن يسهموا في النتائج أو أن نسلمهم النتائج وديعة بأيديهم ، ونطلب اليهم أن يوصلوها إلى جمهور أكبر ، ونترك لهم حرية التصرف بالعرض بشرط الحرص على الجوهر.

وبهذا يؤدي الباحث خدمة جديدة اذ يهيىء مادة تغذي مواهب من نوع خاص فيها الشاعر والقاص وكاتب المسرحية وكاتب المقالة الفنية... ممن يمتلكون بعد الخيال وعمق العاطفة ويستطيعون بعملية من عمليات الخلق الأدبي الارتفاع بمادة البحث إلى ضروب من الابداع.

وتتعاون الأطراف على خدمة الحقيقة واذاعتها كلا بما هو ميسر له.

وهذا مطلوب مرغوب فيه.

واذ نذكر - في الختام - أن البحث مظهر حضاري ، نتذكر ان المنهج قرين البحث بل انه السبيل إلى نجاحه ، ولا يكون ولا يعرف ولا يقدر الا في المجتمع الأكثر حضارة. وكأن المنهج أصعب من البحث نفسه ، أو انه هكذا كان ويكون ، ولكن التجارب واتصال الخبرات جعلته والبحث امراً واحداً ، فان قلت في تلك المجتمعات : بحث ، قلت : بحث ومنهج ، ولا يذهب ظن إلى الفصل أو الازدواج.

وبعد

فقد يرى طالب فيما بسطنا من قواعد واشترطنا من مواهب أننا نهيم في أودية الخيال وأننا نطالب بما يثبط تحقيقه الهمم ويدفع المرء إلى ان يلقي السلاح قبل خوض المعركة ويعترف بالعجز قبل امتحان قواه؛ ورؤية هذا الطالب غير صحيحة لأننا رسمنا الطريق إلى المثل الأعلى فلندفع بالقلة من المبدعين إلى السير في هذه الطريق ومن ثم ليحققوا ما يحققونه، ولندعو الآخرين إلى ان يبذلوا أقصى طاقتهم وأقصى ما في إمكانهم بعد أن صار البحث درساً مثل الدروس الأخرى. أجل ولا بد من إدراك ما بين المثل والممكن. ان هذا الكتاب يحاول ان يرسم المثل الأعلى لما يمكن ان نسير عليه في البحث آملين ان يحفزنا المثل الأعلى هذا إلى تحقيق أكثر مما يستطيع باحث ان يحققه من العلم والدقة والشخصية.

ولم يرم – يوماً – إلى التعجيز، بل الواجب يقتضي التمسك بمن يبدي استعداداً أشد التمسك، وتهيئة الفرص للنبوغ، أما أولئك الذين يتعثرون منذ البداية ولا يقبلون على البحث فنكتفي منهم بأبسط ما يكفي من البحث الصفي ثم يمضون يفتشون عن مجالات تناسبهم.

مراجع نافعة

(١) مؤلفات عربية حديثة

بدوي (عبد الرحمن): **مناهج البحث العلمي**، القاهرة (دار النهضة، المطبعة العالمية) ١٩٦٣.

رستم (أسد): **مصطلح التاريخ**، ط ٣، بيروت (منشورات المكتبة العصرية) د. ت (١٩٦٦؟) (كانت الطبعة الأولى سنة ١٩٣٩).

شلبي (أحمد): **كيف تكتب بحثاً أو رسالة**، القاهرة، ط ٦ منقحة ومزيدة، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٨ (كانت الطبعة الأولى سنة ١٩٥٢).

ضيف (شوقي): **البحث الأدبي (طبيعته، مناهجه، أصوله)**، القاهرة، دار المعارف ١٩٧٢.

عثمان (حسن): **منهج البحث التاريخي**، القاهرة (دار المعارف) ط ٣ منقحة ١٩٧٠ (كانت الطبعة الأولى سنة ١٩٤٣ والثانية ١٩٦٥).

ملحس (ثريا عبد الفتاح): **منهج البحوث العلمية للطلاب الجامعيين**، بيروت (منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر) ١٩٦٠.

موافي (عثمان): **منهج النقد التاريخي عند المسلمين والمنهج الأوروبي**، الاسكندرية (١٩٧٢؟).

وتدل هذه الكتب على عدد مهم من المراجع ولا سيا الانكليزية كما اثبتها الكتاب الثالث والخامس والسابع.

(٢) مؤلفات عن التحقيق بلغة عربية

برجستراسر: اصول نقد النصوص ونشر الكتب (محاضرات ألقاها المستشرق الالماني برجستراسر بكلية الآداب في القاهرة سنة ١٩٣١ – ١٩٣٢) اعداد وتقديم الدكتور محمد حمدي البكري، القاهرة (وزارة الثقافة – مركز تحقيق التراث، مطبعة دار الكتب) ١٩٦٩.

ضيف (شوقي): تحقيق تراثنا الأدبي، القاهرة، مجلة المجلة، السنة التاسعة، العدد ١٠١ مايو (أيار)، أعاد نشره في كتابه «البحث الأدبي».

المنجد (صلاح الدين): **قواعد تحقيق المخطوطات** (الطبعة العربية الرابعة)، بيروت (دار الكتاب الجديد) ١٩٧٠، نشر لأول مرة في مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، نوفمبر ١٩٥٥.

هارون (عبد السلام): تحقيق النصوص ونشرها، (مؤسسة الحلبي وشركاه، مطبعة المدني) ط ٢، ١٣٨٥/١٩٦٥ (كانت الطبعة الأولى ١٣٧٤/١٩٥٤).

(٣) مؤلفات عن المنهج مترجمة إلى العربية

ديكارت : المقال عن المنهج ، ترجمة محمود الخضيري ، القاهرة ١٩٣٠ ، أعيد طبعه سنة ١٩٦٨ ، القاهرة (دار الكاتب العربي–وزارة الثقافة) راجعه وقدم له الدكتور محمد مصطفى حلمي .

وترجمه الدكتور جميل صليبا بعنوان «مقالة الطريقة» ، بيروت ، ط ١ سنة ١٩٥٣ (؟) ط ٢ سنة ١٩٧٠ ، ومعها الاصل الفرنسي–مجموعة الروائع الانسانية .

لانجلوا وسينوبوس : المدخل إلى الدراسات التأريخية ، ترجمة الدكتور عبد الرحمٰن بدوي ونشره مع مواد أخرى في كتاب النقد التاريخي ، القاهرة (دار النهضة العربية) ١٩٦٣ .

لانسون ومايه : منهج البحث في الادب واللغة ، نقله الى العربية الدكتور محمد مندور . بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٤٦ . ثم طبع ملحقاً لكتاب الدكتور محمد مندور–النقد المنهجي عند العرب ، القاهرة ١٩٦٩ .

هرنشو : علم التأريخ ، ترجمة عبد الحميد العبادي ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر . مط . لجنة التأليف...) ١٩٤٤ ، مقدمة المترجم بتاريخ ١٩٣٧ .

(٤) مؤلفات من التراث تتصل بالمنهج

ابن الصلاح (أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمٰن الشهرزوري المتوفى سنة ٦٤٣) ، علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح . تحـ . محمد راغب الطباخ الحلبي ، ط ١ ، المطبعة العلمية بحلب ١٣٥٠/١٩٣١ . وطبع بعنوان مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ، بمبي ، المطبعة القيمة ١٣٥٧/١٩٣٨ .

ابن جماعة (بدر الدين بن أبي اسحاق ابراهيم ... الكناني المتوفى سنة ٧٣٣) ، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم ، حيدر آباد الدكن ١٣٥٣ .

السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمٰن المتوفى سنة ٩٠٢) : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ . تحـ . فرانز روزنتال ، ترجم التعليقات والمقدمة واشرف على نشر النص الدكتور صالح أحمد العلي . بغداد . مطبعة العاني ١٣٨٢/١٩٦٣ . وطبع قبل ذلك بدمشق ، مطبعة الترقي ١٣٤٩ .

السيوطي (جلال الدين عبد الرحمٰن المتوفى سنة ٩١١) : التعريف بآداب التأليف ، تحـ . عبد الصبور مرزوق ، القاهرة ، نشر ملحقاً بمجلة الكتاب العربي . وحقق الرسالة الدكتور ابراهيم السامرائي ونشرها في مجلة كلية الدراسات الاسلامية ، العدد الثالث ، بغداد ١٩٧٠ .

(٥) مؤلفات غربية تتصل بالمنهج العربي مترجمة

فرانز روزنتال : علم التأريخ عند المسلمين ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي ، مراجعة محمد توفيق حسين ، بغداد (نشر بالمشاركة مع مؤسسة فرانكلن للطباعة والنشر ، مكتبة المثنى ، مطبعة العاني) ١٩٦٣ .

فرانز روزنتال (المؤلف السابق نفسه) : مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ، ترجمه الدكتور انيس فريحة ، مراجعة الدكتور وليد عرفات ، بيروت (نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلن للطباعة والنشر ، دار الريحاني للطباعة) ١٩٦١ .

(٦) مؤلفات فرنسية عن المنهج

Bouvier et Jourda — Guide de l'étudiant en littérature, cinquième édition, Presses Universitaires de France, Paris 1964.

Capitant (Henri) — La Thèse de doctorat en droit, Paris, 4e éd. Librairie Dalloz, 1951.

Chassong Senninger — La dissertation littéraire générale, Paris Hachette, 1955.
Descartes — Œuvres Philosophiques, tome I (Discours de la méthode) Paris, Garnier, 1963.
ونشرته دار (Hatier) مستقلة في سلسلة Nouveaux Classiques المدرسية.
L'Histoire et ses méthodes, volume publié sous la direction de Charles Samarn, Paris, Gallimard (Encyclopédie de la Pléade 1961.
Huisman et Plazolles — L'Art de la dissertation littéraire, Paris, Sedes, 1960.
Labriol (P. de) — L'Art de travailler, dans la Revue bimensuelle des cours et conférences, 39e année, 15 février, 1938.
Langlois et Seignobos — Introduction aux étudês historiques. Paris, Hachette, 1898.

وهو مترجم الى الانكليزية :

Introduction to the Study of History, trans. by G.B. Berry, London, 1912.

ونقل الدكتور عبد الرحمن بدوي أكثره إلى العربية في كتاب عنوانه : «النقد التاريخي».
Lanson — Les méthodes de l'histoire littéraire, dans la méthode dans les sciences, 2e série, 1911 et 1924. Méthode de l'histoire littéraire "Les Belles Lettres" Paris, 1925.
وقد أعيد طبع أعمال لانسون المتعلقة بالمنهج في كتاب خاص هو :
Essais de méthodes decritiqoe et d'histoire littéraire ,Paris, Hachette, 1965.
Paris, 1925.
Larousse du XXe Siècle. Paris (Librairie Larousse).
Mornet — Comment préparer et rédiger une dissertation pour la licence ès. letteres. Paris, Hatier (Connaissance des lettres).
Perus (Jean) — Méthodes et techniques de travail en histoire littéraire, Paris, Editions Sociales, 1972.

(٧) عن التحقيق بالفرنسية

Blachère et Sauvaget Règles pour Editions et Traductions de Textes Arabes. Paris "Les Belles Lettres" 2e édition, 1958.
Roger (Loufer) — Introduction à la textologie. Paris, Larousse, 1972.

(٨) عن المنهج باللغة الانكليزية

Barzum, Jacques and Grff, Henry F. — The Modern Research. Harcourt, Brace and Company. New York, 1957.
Houghton Mifflin, 1954.
Cecil, B. Williams and Allan H. Stevenson — A Research Manual for College Studies and Paper. Revised, edition Harpor & Brothers publishers. New York. 1951.
Elliott & Gordasco — University Handbook for the Research and Report Writing, Michigan, Edward Brothers, 1946.
Lycyle Hook & Marry Virginia Gaver — The Research Paper, Printic-Hall, INC, New York, 1948.
Turabian, Kate L. — A Manual for Writers of Term Papers, Theses, and Dissertations, The University of Chicago Press, Chicago & London.

يمكن لدى الحاجة -- الاستغناء بأي كتاب من هذه الكتب عن الأخرى . وتنص الجامعة الامريكية ببيروت على كتاب (Turabian) ورأيت الكتاب الخامس جيداً - على قدمه .

(٩) منهج البحث الأدبي عند العرب

رسالة للدكتوراه في قسم اللغة العربية ، اعداد أحمد جاسم النجدي وحصل بها على الدرجة العلمية في حزيران ١٩٧٦ .

(١٠) العقل الاكتروني والدراسات الأدبية

The Computer and Literary Studies, Edited by A. J. Aitkem and R. W. Bailey and N. Homilton — Smith, University Press, Edinburgh — 1973.

للمؤلف

المطبوع

- **الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي :**
ج ١ ، بغداد . مطبعة المعارف ١٩٥٨ ، ج ٢ . بغداد . مطبعة العاني ١٩٦١ .
- **الابن وسبع قصص أخرى (مختارة ومترجمة عن الفرنسية) :**
بغداد . مطبعة اتحاد الادباء العراقيين ، ١٩٦٠ .
- **لامية الطغرائي (تحقيق . تحليل . مناقشة) :**
بغداد . مطبعة العاني ، ١٩٦٢ .
- **مقالات (في النقد الأدبي ... والتربية) :**
بغداد . مطبعة اتحاد الادباء العراقيين ١٩٦٢ .
- **الطغرائي (حياته . شعره . لاميته) :**
بغداد ، منشورات مكتبة النهضة ، مطبعة التضامن ١٩٦٣ .
- **في القصص العراقي المعاصر (نقد ومختارات) :**
بيروت . المكتبة العصرية ، ١٩٦٧ .
- **تدريس اللغة العربية :**
(في المدارس المتوسطة والثانوية - في اصول التدريس ...) ، النجف ، مطبعة النعمان ١٩٦٩ .
- **محمود أحمد السيد (رائد القصة الحديثة في العراق)** بيروت . دار الآداب . ١٩٦٩ .
- **ملاحظات على الموسوعة العربية الميسرة** : بغداد ، مطبعة الارشاد . ٧٠
- **منهج البحث الأدبي** : ط ١ بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٧٠ ، ط ٢ ، بغداد ، مطبعة أسعد ، ١٩٧٢ ، ط ٣ . بغداد . مطبعة أسعد . ١٩٧٦ .
- **ديوان الخريمي :**
جمع وتحقيق - بالاشتراك مع محمد جبار المعيبد) ، بيروت ، دار الكتاب الجديد ، ١٩٧١ .
- **ديوان الجواهري :**
جمع وتحقيق (بالاشتراك مع د. ابراهيم السامرائي و د. مهدي المخزومي ، رشيد بكتاش) ، ج ١ - ج ٦ بغداد وزارة الاعلام ١٩٧٣ - ١٩٧٧ .

- **ديوان الطغرائي :**

(تحقيق بالاشتراك مع الدكتور يحيى الجبوري)، بغداد ، وزارة الاعلام ، ١٩٧٦ .

- **ملاحظات على وفيات الأعيان:**

(ط . بيروت) بيروت ، مؤسسة الرسالة ١٩٧٧ .

- **وراء الأفق الأدبي :**

مقالات ، بغداد ، وزارة الاعلام ١٩٧٧ .

- **الاعمال الكاملة لمحمود أحمد السيد :**

إعداد وتقديم (بالاشتراك مع الدكتور عبد الاله أحمد ، بغداد ، وزارة الثقافة والفنون ١٩٧٨ .

- **مقدمة في النقد الأدبي :**

بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات ، ١٩٧٩ .

المعد للطبع :

- **درة التاج من شعر ابن الحجاج للاسطرلابي تحقيق.**
- **محمد بن سلام وطبقات الشعراء.**
- **فوات المحققين.**

الفهـــرس

المقدمات ٥
تمهيد ١٩
الفصل الأول : البحث والبحوث ٢٧
الفصل الثاني : الباحث ٤٣
الفصل الثالث : اختيار الموضوع ٦١
الفصل الرابع : الخطـــة ٦٩
الفصل الخامس : المصادر ٧٩
الفصل السادس : جمع المعلومات – الجزازات ٨٩
الفصل السابع : المسودَّة ١٠١
الفصل الثامن : المبيضَّة ١٢٥
الفصل التاسع : من الطبع إلى المطبعة ١٣٥
الخاتمة ١٤٩
مراجع نافعة ١٥٥

METHODOLOGY OF LITERARY RESEARCH

دراسات
STUDIES

مكتبة
مؤمن قريش
moomenquraish.blogspot.com

منهج البحث الأدبي

قد يلاحظ محبو الأدب الحديث وطالبو درسه أو تدريسه أن نصيبهم من « منهج البحث الأدبي » قليل – أو قليل جداً – والملاحظة صحيحة، ويمكن أن يسجل أمثالها المعنيون بميادين خاصة أخرى، ويعرف السبب في ذلك إذا تذكرنا أن المألوف في البحث الجامعي الاختصاصي بالقديم والمصادر القديمة، وعلمنا أن الكتاب – أي كتاب – يرسم الخطوط العامة وأن الأدب الحديث والأمور الأخرى تدخل في هذه الخطوط وننتفع بمدارها العام.

لقد بذلنا في سبيل تأليف « منهج البحث الأدبي » غير قليل من الجهد والوقت في التجربة والاطلاع والتفكير، والتسويد والتبييض، وما كنا لنصرّح بهذا لولا أننا نريد القول أنه لا بد من أن يكون قد فاتنا شيء أو أشياء، وأن نكون قد نظرنا إلى الأمور من زاوية اهتمامنا دون عناية تذكر بزوايا اهتمام الآخرين. وهذا يعني الترحيب بملاحظات الأساتذة والقراء والطلبة للعمل على إيفائها حقها لدى أول فرصة تسنح.

ISBN: 9953-36-150-9

منشورات 2003
لا لا لا للعدوان على العراق

المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بيروت، الصنايع، بناية عيد بن سالم، ص.ب: ٥٤٦٠-١١
العنوان البرقي: موكيالي،
هاتفاكس: ٧٥١٤٣٨/٧٥٢٣٠٨